


العقلانية المتسمة بالعروبة والإسلام

• شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

• تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط . المغرب

# المغرب بين الإمامين البخاري ومسلم

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

# الاتجاه السلفي بالمغرب

للأستاذ عبد القادر العافية

العدد 240 • ذو الحجة 1404 هـ • شتنبر 1984م • الثمن : 4 دراهم

الترجمة العربية لمذكرات جلالة الملك الحسن الثاني

# الحسن الثاني

## ملك المغرب



# التحدي

صدرت عن المطبعة الملكية بالرباط الطبعة العربية لكتاب "التحدي" بقلم جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
وتضم هذه الطبعة وثائق تنشر لأول مرة .




شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها،
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهما
في البلاد العربية: 67 درهما
في العالم: 77 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat



## فهرس العدد 240



# العَقلانيّة
## المتّسمة بالعُروبة والإسلام

● ● في المنحى السياسي الذي يتجهه جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله على صعيد العلاقات الدولية ـ كالعهد به على المستوى الوطني ـ يتجلى الطابع العقلاني البالغ الإتزان والنضج والإستواء والتوازن، الشديد الانضباط والفعالية والجدية،القوي الارتباط بقيم الإسلام ومقومات حضارته وخصائص ثقافته ومقاصد شريعته وأهداف رسالته، مما يضفي على العمل الدولي الذي يباشره العاهل الكريم قدراً كبيرا من حُسْن الأُحْدُوثَةِ ويَرْقَى به وبوطنه وبشعبه إلى مصاف الدول العاقلة المدركة لوظيفتها على المسرح الدولي.

● والحق الذي لا مِرَاءَ فيه أن الخطوة الموفقة السّديدة الرشيدة التي أقدم عليها ـ في وعي كامل وتقدير عميق للمسؤولية ـ جلالة الملك الحسن الثاني بالتوقيع على معاهدة الاتحاد بين الدولة الشقيقة ليبيا من الأعمال الكبيرة التي جاءت في الوقت المناسب لتشهد ـ في قوة وجزم ـ على عبقرية قائد مسيرة المغرب المظفرة ونبوغ الفكر الحسني في مختلف ميادين النشاط السياسي والتحرك الديبلوماسي، ولتنطق ـ أيضاً ـ بمدى العقلانية التي تتسم به هذه الأعمال سواء ما تعلق منها بالعمل الوطني أو ما

اتصل بالتحرك الواعي والنشيط على المستوى العربي والإسلامي والإفريقي والدولي دعماً للإخاء وتقوية للصداقة وتزكية للوفاق ومساندة وتأييداً للأمن والسلام العالميين.

● ● لقد صدق جلالة الملك الحسن الثاني إلى أبعد حدود الصدق الأخلاقي والسياسي حينما قال في معرض الحديث المسهب عن الاتفاقية المغربية ـ الليبية «إن تضامننا مَبْنِيٌّ على ماهو عقلاني وتاريخي وعربي ومسلم»، وهو تعبير بالغ الدلالة صريح المعنى واضح القصد يؤكد بما لا يرق إليه الشك أن السياسة المغربية تقوم على العقلانية وتنهض بالتخطيط وتتسم بطابع الاستقرار والدوام، فهي ليست ـ قطعا ـ سياسة ارتجالٍ، ولا هي سياسة مناسباتٍ، ولا هي وليدة الصدف العمياء والظروف الطارئة. وهو الأمر الذي يعطي للعمل المغربي على جميع الأصعدة الثقل والقيمة والاعتبار والأهمية الذي هو جدير بها أقوى ما تكون الجدارة.

● ● وفي هذا السياق، فإن الاتفاقية المغربية ـ الليبية التي فتحت عهداً جديداً في العلاقات العربية الإفريقية والإسلامية، ثمرة هذه السياسة باعتبارها إنجازاً بالغ القيمة والنفاسةِ من إنجازات جلالة الملك ادام الله عزه.

● وهو عمل من صميم أهداف التضامن الإسلامي. بل هو تجسيد واقعي وعملي للتضامن القائم على أساس الإسلام والعروبة ووحدة الانتماء الإفريقي جديرٌ بأن يكون مثالاً يحتذى ونموذجاً يقتدى به في العالم العربي الإسلامي وفي القارة الإفريقية، وبذلك يكون جلالة الملك الحسن الثاني قد أضفى على فكرة التضامن الإسلامي الطابع العقلاني والسمة الواقعية وخرج بها من مجال التنظير والتأصيل والتقعيد إلى مجال التنفيذ والتطبيق والفعل الحضاري الشامخ بإيجابياته وفعالياته وقدراته على التغيير والتجديد والتوحيد ● ●

دعوة الحق

# جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يشرح في خطاب سام بمناسبة الذكرى 31 لثورة الملك والشعب المراحل الكاملة لفكرة الاتحاد بين المغرب وليبيا

# تضامننا مبني على ما هو عقلاني وتاريخي وعربي ومسلم



● ● بمناسبة الذكرى الواحدة والثلاثين لثورة الملك والشعب وجّه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطاباً سامياً إلى شعبه الوفي خصصه حفظه الله لشرح الأهداف والمقاصد التي تنطوي عليها المعاهدة المبرمة بين جلالته أعزه الله وفخامة العقيد معمر القذافي قائد الفاتح من شتنبر في الجماهيرية الليبية.

وفيما يلي نصّ الخطاب الملكي السامي مع النص الكامل للاتفاقية المغربية الليبية ● ●

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز.

في كل سنة من يوم 20 غشت نلتقي لنحتفل بذكرى ثورة الملك والشعب ولمن يجهل تاريخ المغرب الأصيل القديم يظهر له أو يظن أن هذه الثورة كانت ثورة ظرفية التقى فيها الشعب المغربي وملك الشعب المغربي في سنة من السنوات وقرن من القرون، والحالة هذه ـ وكل مؤرخ يعرف هذا ـ أن تاريخنا المجيد الحافل بالأمجاد والملاحم منذ ألف وأربعمائة سنة سجل فيما سجل من التاريخ ملاحم وثورات ولم يكن لتلك الملاحم ولا لتلك الثورات أن تنجح أو أن يخرج منها المغرب والإسلام والعروبة والأصالة المغربية مرفوعي الرأس، إذا خرج منها المغرب في هذه الحالة فما ذلك إلا لأنه كان يعتمد قبل كل شيء على التحام متين بين الملك وبين شعبه، فثورة الملك والشعب إذا كانت تذكرنا بماض قريب عليها أن تجعلنا ننظر لما وراءها من معالم الطريق معالم التاريخ، ذي القرون، عليها أن ترسم لنا الطريق للمستقبل والسبيل لمستقبل أبنائنا حتى لا نكون نزلاء أو فضوليين على التاريخ، فثورة الملك والشعب ليست ثورة ظرفية كما قلت لكم، ما هي إلا سنة من سنننا وعادة من عاداتنا وخطة سياسية وأخلاقية من خططنا، نعم اكتست هذه الثورة، ثورة الملك والشعب، ثورة 20 غشت 1953، اكتست طابعا خاصا وتحلت بحلة خاصة، ذلك لأننا لم نواجه عدونا وجها لوجه، بل واجهنا مستعمرا، لم نكن مسلحين، بل كان هو وحده مسلحا، لم نكن ندا لند، لا، كنا تحت ربقة الاستعمار، ومن هنا يظهر الفرق بين هذه الثورة والثورات التي سبقتها وهي ثورة الحق والشعب الذي على الحق والملك الذي يسير في طريق الحق، فمن مغلوبين أصبحنا غالبين ومن عزل أصبحنا مجندين مسلحين، ومن مستعمرين أصبحنا طلقاء، بل أصبحنا مفتاح تحرير إفريقيا كلها، فكانت ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت يوم نفي والدنا جميعا رحمه الله محمد الخامس طيب الله ثراه، يوم نفي من بلده وانتزع من عرشه ذلك اليوم أصبح المغلوبون غالبين، وأصبح الذين هم عزل مسلحين وحارب الشعب وصبر الملك إلى أن اراد الله سبحانه وتعالى أن يتوج جهاد الجميع وتضحية الجميع بالشيء الفريد من نوعه وذلك أن عودة ملك المغرب وأب المغرب محمد الخامس رحمه الله من منفاه السحيق تكون ربما المثل الوحيد والفريد في التاريخ ألا وهو رجوع ملك إلى عرشه، رجوع لا في حقائب المستعمر ولا في سيارات المستعمر ولا على أكتاف المستعمر، رجع على هامات الشجعان من شعبه، رجع على الأكتاف الشريفة من أمته، رجع ليقول الملك من جهته «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور»، بعد أن قال شعبه الوفي في عدة مظاهرات ابن يوسف إلى عرشه ويزيد المراكشيون وببطره.

هذه شعبي العزيز ـ هي الأمارات الخاصة التي يتحلى بها المغرب ولم تكن كما قلت لك انتصاراتنا في الماضي ومنذ قرون إلا لأن الشعب والملك كانوا جسدا واحدا، وتجسد هذا الالتحام أكثر وأكثر حينما حاربنا الاستعمار وحينما انتصرنا جعلنا الاستعمار الفرنسي والإنجليزي في إفريقيا ثم بعده البرتغالي والإسباني شيئا صار في خبر كان.

ولست في حاجة أن أقول لك، شعبي الوفي ـ ما هي الدروس التي يجب أن نستخلص مما قلته لك سواء من ماضينا البعيد أو تاريخنا الحديث، فأنت لست في حاجة، فأنت شعب أصيل مدرك للحقائق قادر على التحليل والتفسير والاستنباط والتطبيق فلم يبق لي في هذا الباب إلا أن أدعو لك الله مخلصا أن تبقى شعبي العزيز إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها شعبا متلاحما متلائما وعلى الخصوص شعبا ذا ذاكرة، ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين﴾.

إياك ثم إياك شعبي العزيز أن تكون نساء. كن ذكورا علما مني أنك لا اليوم ولا الغد ولا بعد عقود فيما إذا تذكرت ملاحمك وتاريخك كيفما كانت العواصف التي يمكن أن تهب عليك أو الإعصارات التي تهددك، يكفي أن ترجع وبسهولة إلى قاموسك الضخم، قاموس تاريخك ستجد فيه ما يجب أن تجد من المراجع ومن الفتاوي التاريخية لتتغلب على الصعاب وليبقى المغرب هو المغرب.

شعبي العزيز.

إذا تذكرت وهذه من أحسن الصدف وأرغدها وأحمد الله عليها، ففي السنة الماضية في مثل هذا اليوم 20 غشت تطرقت وإياك أو تطرقنا معا إلى الحديث عن المغرب العربي وعما يمكن أن ننتظره من المغرب العربي وكان خطابي كله حول بناء هذا المغرب الذي يجب أن يقف على رجليه في أقرب وقت ممكن. فأنا بالنسبة إلي كخديم شعبي وبالتالي كمواطن من المغرب العربي الكبير، علي أن أسعى لأن يوجد هذا المغرب العربي كنت فيه سباقا أو كنت فيه تابعا، المهم ليس هو الذي يسبق بل هو الذي يدلي بدلوه ويعطي تفكيره وإحساسه ويقوم بمجهود ما حتى يجعل من الحلم حقيقة، وحتى يجعل من المطامح شيئا ملموسا يعيش في إطاره الفقير والغني، الطفل والشاب والكهل.

ففي الشهور الماضية علمنا ببشارة عظمى وبارتياح عميق أن الشقيقات الجزائر وتونس وموريتانيا عقدت فيما بينها معاهدة لحسن الجوار والأخوة، ورأينا في هذه الخطوة الجريئة تعبيرا يؤكد إرادة قادة المغرب العربي، إرادتهم لبناء هذا المغرب العربي، وباركنا في هذه الخطة وفي هذه الخطوة وطلبنا الله أن تأتي الفرصة لاستكمال وحدة المغرب العربي وحتى لا يواخذنا التاريخ أو يواخذ علينا اننا لم نقم بما يجب علينا من مجهود في التفكير وابتكار في العمل جاءت فرصة تاريخية أن دول المغرب العربي التي هي في أطراف الجناح الأيمن والأيسر ألا وهما ليبيا والمغرب، جاءتهما الفرصة هما كذلك لكي يضيفوا اتحادهم إلى الاتحاد الذي سبقهم في المجموعة الثلاثية بين الجزائر وتونس وموريتانيا فالمهم عندي ليس أن يتم الأمر بين الجناحين أو أن يبتدئ من الصدر، المهم هو أن يقف هيكل المغرب العربي على رجليه.

وهنا شعبي العزيز - نظرا لأهمية الموضوع سأخاطبك بالعربية الدارجة وسأحاول ألا أنزلق إلى الفصحى، لكي أحكي لكم بإيجاز كيف وقع اتحاد الدولتين، فيوم الجمعة 13 يوليوز بعدما كنا في الفرح والسرور والغبطة الكبيرة بتدشين حي ابن امسيك، بعد ذلك اللقاء الرائع الذي كان بيني وبين سكان الدار البيضاء، رجعت إلى هنا واقتبلت في مكتبي بعثة أرسلها لي صديقي معالي العقيد القذافي مكونة من مستشار له اسمه السيد الزوي، ومن سفير، واستقبلتهم هنا بمكتبي حملوا لي رسالة من عند معالي العقيد وكان بجانبي مستشاري السيد أحمد رضا اكديرة ووزيري في الداخلية السيد ادريس البصري وكنا خمسة ولا أحد منا كان في إمكانه أن يقول وأنا الأول ماذا سينتج عن هذا اللقاء، وقدم لي السيد المبعوث الزوي الرسالة التي كانت تحتوي على أربع أو خمس صفحات وقرأتها وأطلعت عليها بسرعة وهي رسالة دورية أرسلها معالي العقيد إلى جميع رؤساء الدول العربية ويقول فيها باختصار : «إنني في السنة الماضية أي في يوليوز الماضي أخذت على نفسي أن أزور عدة دول عربية كان بينها وبين ليبيا مشاكل قائمة وذوبت تلك المشاكل وترفعت عن الحساسيات والأنانية وذهبت إلى عدة دول منها اليمن الشمالي والمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية ومررت على سوريا وأخيرا جئت إلى المغرب» - وفعلا كان معالي العقيد قد زار المغرب في يوليوز في رمضان - وكنت يقول العقيد في زيارتي هذه أرمي إلى شيء ألا وهو أن أشارك بقدرتي في تحسين الأوضاع العربية وتنقية الأجواء العربية حتى لا يفوتنا الزمان

وحتى لا نجد أنفسنا أمام ليس الأمر الواقع، ولكن أمام إقبار المصير العربي، ولكن تضيف رسالة معالي العقيد أرى أن هذه سنة مضت وأن الأجواء العربية لم تزد إلا تكهربا والعلاقات الثنائية بين بعض الدول العربية لم تزد إلا تنافرا، وعلى كل حال أمام هذه الحالة الموجودة فأنا عندي أزمة ضمير ولازم على كل دولة عربية أن تتحمل مسؤوليتها أمام هذا الأمر الواقع».

قرأت الرسالة وتوجهت إلى المبعوث وقلت له ما يلي وسأحكي لكم ذلك باختصار : قلت له بلغ فخامة العقيد أنني أشاركه هذه المرارة وأنني أشاطره هذه الخيبة وأنا شخصيا ـ قلت له ـ كرئيس مؤتمر القمة العربية أريد أن يعقد مؤتمر قمة عربي في أقرب وقت ممكن فأنا الأول أرى أن الأجواء والمناخ غير مهيئين بل الأمور تتفاقم يوما عن يوم، وقلت له يا أخي الآن، فاقد الشيء لا يعطيه فماذا بين يدي ليبيا والمغرب ؟ فهل ليبيا والمغرب أرضهما محتلة، قلت له هل هما من دول المواجهة، قلت له لابد إذن أن نرجع إلى أصحاب الحق الحقيقيين ونسألهم سؤالا، وأصحاب هذا الحق هم المصريون والسوريون والأردنيون والفلسطينيون وبالطبع جميع المسلمين بالنسبة للقدس الشريف وسوف نقول لهم ما علينا نحن إلا أن نعينكم أما أن نقوم ونقرر تحرير بلادكم فهذا يعنيكم أو نقرر كيف يقف الكيان الفلسطيني ليصبح دولة فهذا قبل كل شيء يهم الفلسطينيين ما علينا نحن الآن إلا أن نكون معكم في أي طريق اتخذتموها إن أردتم استرجاع الأراضي السليبة والمحتلة عن طريق الحرب فنحن معكم ويعرفون أن المغرب وفي بكلمته ونعرف أن العقيد القذافي سوف يكون وفيا كذلك وإن أردتم استرجاعها عن طريق المفاوضات فباسم الله نحن مستعدون أن يجند كل واحد أصدقاءه لاسترجاع الأراضي عن طريق المفاوضات اما أن نقوم نحن بدور الناس المحتلين أو الذين اغتصبت لهم أرضهم قلت للسيد الزوي فاقد الشيء لا يعطيه وهذا ضرب من الخيال ولكن قلت له وهنا جاءتني الفكرة قلت له ولكن أنا عندي شيء وأنتم لديكم شيء آخر قال ماذا ؟

قلت له هيا نقوم بإنشاء وحدة بين ليبيا والمغرب حتى لا نقول للعرب تجندوا وكيت وكيت لا علينا أن نريهم على أننا مستعدون نحن الأوائل لنخلق فوق ثلاثة آلاف كيلومتر التي تفصل بيننا وننشئ جسرا للتضامن ليس تضامنا ديماغوجيا ولا شعارات، ولكن تضامنا مبنيا على ما هو عقلاني وتاريخي وعربي ومسلم وما هو ينتمي للبحر الأبيض المتوسط وما هو أصيل بين الشعبين ليبيا والمغرب، وأنا من الآن على استعداد إن أردتم تحقيق هذه الوحدة. حقيقة لا الوفد الليبي الذي كان معي ولا حتى المغاربة الإثنين اللذين كانا جالسين فوجئوا بالطبع حتى أنا فوجئت وأنا أتكلم، لست أفاجأ من باب الاستغراب بل فوجئت أنه كوني لم أفكر في هذا، سنوات من قبل، استغرابي كوني أتساءل هذا الذي نقوله اليوم لماذا لم نقله منذ سنين من قبل، بطبيعة الحال في أي وقت جاء الخير ينفع والأمور بمواقيتها ولا يفعل ربك إلا خيراً، قلت لهم ـ أي للوفد الليبي ـ رافقتكم السلامة، عليكم أن تردوا جوابي لمعالي العقيد وبعد يومين كان جواب معالي العقيد جواب الفرح والترحيب والاندهاش العميق ليس اندهاش التخوف، لا، قالوا لي لفظ الاندهاش، قلت لهم مهما استعملتم هذا اللفظ هذا يدل على أن الرئيس يعطي للألفاظ معانيها، قال نعم، لقد خرجنا ووقعت لنا نكسات وجربنا هنا وهناك ولا نريد أن تقع لنا نكسة أخرى بين دولتين عربيتين وإلا فإن ضرر النكسة سوف يكون أكبر بكثير من عدم تحقيق هذه الوحدة ولكن إذا كانت نيتنا حسنة لا ليبيا ولا المغرب وهذا كلام الرسل الليبيين ـ العقيد يرحب ويهلل وهو مستعد أن نسير في هذا الاتجاه وسوف أختصر الأحقاب التاريخية. المهم

أن نجاح المسألة يجب أن تتوفر فيها العناصر الآتية : أولا الإراة الحقيقية المهمة من الطرفين، وقد وجدت ولله الحمد الإيمان بأن الإرادات تخضع الضرورات الجغرافية - العمل على شيء يكون محدودا ليس شعارات ولا كلاما أجوف وليس أسلوبا فارغا أخيرا وهذا هو المهم أكثر ما يمكن من السرية وفي ظرف شهر تماما وما قلته لكم وقع في يوم 13 يوليوز من هذه السنة، ويوم 14 غشت كنا نوقع الاتفاقية في وجدة ثلاثون يوما بالضبط بين الفكرة وبين إنجازها وقبل أن أقول لك شعبي العزيز نظري في الموضوع أريد قبل كل شيء أن تسمع نص هذه المعاهدة وسأطلب من فقيهنا الحاج محمد باحنيني تلاوة نص الاتفاقية.

وبعد ذلك واصل جلالة الملك الحسن الثاني خطابه السامي :

لقد سمعت قراءة نص المعاهدة التي نقترح عليك أن تصوت عليها بنعم يوم الاستفتاء، إلا أن هذه القراءة لا تكفي، وانه ابتداء من الغد سنوزع أكثر ما يمكن من النسخ وسنعطي كذلك للصحف جميع النصوص حتى يمكن لك أن تطلع عليها، كما أننا تركنا الحرية لجميع أعضاء حكومتنا ورؤساء الأحزاب السياسية وكل من تطوع لينظموا ندوات وتجمعات في المدن والقرى لكي يفسروا لكم نصا بنص ما ترمي إليه هذه الاتفاقية.

وإنني أعتقد - شعبي العزيز - أنه في الظروف الراهنة وطبقا لما جاء في الديباجة حتى لا نقع في النكسات وفي الخيبات التي وقعت فيها الدول العربية الأخرى سابقا عندما أرادوا إقامة اتحادات أو وحدة اعتقد شخصيا - شعبي العزيز - أن هذا النص الذي أعرضه عليك للاستفتاء هو صالح لك حالا واستقبالا، صالح حالا لأنه أحسن ما يمكن أن يكون الآن، واستقبالا لأنه في بنوده وفي مواده ليس هناك أي شيء يمنع أن يحسن ويوسع أو تدخل عليه إصلاحات أجدر وأنفع أقول لك - شعبي العزيز - إن هذا النص صالح للأسباب الآتية :

1 - في الديباجة، والديباجة هي كما يقول الفقهاء حينما يريدون تفسير القرآن أو الحديث أسباب النزول أو بلغة القانون دافع المشروع، فالديباجة هي التي تقول بالضبط : ماذا نرمي إليه من وراء هذا الاتحاد بين ليبيا والمغرب ؟

الديباجة من جملة ما تقول فيه ان هذا الشيء وضع أساسا وأولا وأخيرا للحفاظ على حقوق العرب والأمة الإسلامية وللدفاع عن حقوقها وعن مشروعيتها، فهذا مهم جدا.

2 - تقول الديباجة أن هذا الاتحاد اسمه الاتحاد العربي الإفريقي، وكان يمكن أن نسميه الاتحاد العربي، ولكن لا، اتفقنا نحن الإثنين لا العقيد معمر القذافي ولا عبد ربه، على أن المغرب وليبيا هما بلدان عربيان ولكن كذلك من القارة الإفريقية، وهذا ما يجعل خلافا للاتفاقيات العربية التي كانت قبل، لم يبق هذا الاتحاد بين دولتين عربيتين، بل أصبح الاتحاد بين كل دولة عربية أرادت أن تنضم إليه أو كل دولة تنتمي للأسرة الإفريقية ولو كانت في الطرف الآخر من إفريقيا مثل الموزمبيق مثلا أو كانت في وسط إفريقيا مثل نيجيريا، وهذا يظهر أن أظهر شيئا الواقعية أولا، فنحن نعيش في إفريقيا، ويظهر أنه ليس هناك أي روح عنصرية وحينما تقول الدول الإفريقية والأسرة الإفريقية، لا تقول الدول التي تنتمي إلى الأسرة الإفريقية أو التي دينها الإسلام، بل نقول نظرا للتسامح الموجود في الإسلام ونظرا للتضامن الذي يجب أن يكون هو روح الدول الإفريقية والعربية انه كيفما كانت تلك الدولة الشرط فيها هو أن تكون منتمية للأسرة الإفريقية فهذه المسألة مهمة جدا وهذه ظاهرة جديدة، وهذا هو الذي يظهر أن هذه المعاهدة ليست معمولة حالا، ولكن سوف تكون استقبالا أصلح وأنجع فيما هو عليه الآن، نقول كذلك إن هذه المعاهدة من مصلحتك - شعبي العزيز - أن تقول لها نعم،

لماذا ؟ لأنها مبنية على القانون، ومن باب الإنصاف وليس نحن الذين أضفنا هذا الفصل المتعلق بمحكمة العدل الاتحادية، يجب أن تقول إن الجانب الليبي وفي الحقيقة الأخ العقيد معمر القذافي هو الذي أضاف هذا الفصل قلت له هداك الله ونحن نضحك هل حينما يتزوج الناس يفكرون في القاضي الذي سيفصل بينهم، قال لي لا، نحن لا نريد التعسف ولا نريد أن يتعسف علينا أحد، ويجب أن نعطي لأنفسنا مرجعا قانونيا حتى إذا أخل أحدنا إما في التطبيق أو التسيير فعوض أن نتنازع أو تقع القطيعة بيننا سنحيل المسألة على محكمة اتحادية.

وقلت له إذا كان هذا هو الدافع فجازاك الله خيرا، بل هناك إجراءات أخرى تجعل محكمة العدل الدولية بلاهاي هي التي ستقوم مقام هذه المحكمة الاتحادية إذا لم تتوصل المحكمة الاتحادية لأي حل بيننا، ولكن هذا سيجيء في تبادل الرسائل بيننا ولا يدخل في الاتحاد، ولكن لتعرف فقط أن هذه المعاهدة معمولة تحت ظل القانون والقانون الدولي، قانون دولي ثنائي بيننا نحن الإثنين في محكمة، ولكن إذا لم تتوصل المحكمة إلى حل المشكل سنكتب معا للاهاي وسنقول لها من الآن مسبقا ان أي مشكل أحيل عليها يجب أن تعتبر أن كلا الطرفين قابلين للتحاكم أمامها، لأن محكمة لاهاي لا يمكن أن تنظر في القضايا إلا إذا كان الخصمان متفقين، بحيث ها أنت ترى - شعبي العزيز - من الناحية القانونية والفضيلة التي أدخلناها في هذه المعاهدة، القانون، الشرع وليس قانون الضعيف أو قانون القوي الشرع الثنائي إذا لم يكف، فهناك الشرع الدولي، محكمة لاهاي الدولية التي حكمت لنا بحق بيعة سكان الصحراء للملوك العلويين.

من فوائد هذه الاتفاقية وهو البند الثالث من المادة الثامنة، اتفاقية عالمية وليس جهوية حيث نقول ما هي الأهداف - وحينما يعمل الإنسان اتفاقية يهدف إلى شيء ما - وهذا هو بيت القصيد وهو الهدف «يهدف الاتحاد إلى المساهمة في الحفاظ على السلام كلما كان قائما على أساس العدل والإنصاف ومتسما بصفة الدوام والاستقرار» فهذه المسألة مهمة جدا بالنسبة لأصدقائنا أو خصومنا في الخارج، لم نعمل اتحادا للشغب ولا اتحادا لكي نزعج الناس ولا الاتحاد ضد أحد، بل عملناه ويهدف قبل كل شيء حتى يكون هذا الاتحاد منصفا لنفسه ولفضيلته التي اختارها، المساهمة في الحفاظ على السلام، وما معنى الحفاظ على السلام ؟ وهو أنه غدا إذا كانت هناك قضية مشروعة في أوروبا أو إفريقيا أو أمريكا اللاتينية أو آسيا، وقررت الدول أو مجموعة الدول كهيئة الأمم المتحدة مثلا أن ترسل قوات للحفاظ على الأمن والسلام وكان ذلك السلام مطابقا للحق وللإنصاف، الاتحاد المغربي الليبي بدون أي تردد سيكون جندي مغربي وجندي ليبي واقفين جنبا إلى جنب في المكان الذي ارتأت المنظمة الدولية لتطبيق روح الاتفاقية التي تقول في صالح الحفاظ على السلام كلما كان ذلك السلام قائما على أساس العدل والإنصاف ومتسما بصفة الدوام والاستقرار.

أخيرا - شعبي العزيز - هذه الاتفاقية لا تنقص أي شيء من حرية تصرف لا ليبيا ولا المغرب ستقول على أن اتفاقية الاتحاد هذه لا تلغي الاتفاقيات الأخرى التي هي بين كل دولة مع الدول الأخرى وفي المستقبل لا تمنع أن يقوم المغرب بعقد اتحاد مع أي دولة أراد، وليبيا كذلك على شرط ان هذا الاتحاد والاتحاد ألا يكون بالطبع الهدف منه الإضرار بالاتحاد الأصيل وهو الاتحاد بين الدولتين الليبية والمغربية.

إذن - شعبي العزيز - سوف ترى وستسمع أناسا سيأتون ليفسروا لك أكثر مني وأحسن مني وبتطويل وستسمع وستقرأ فأنا حاولت فقط أن أظهر لك فلسفة هذه الاتفاقية.

فهنـاك من بـاب الإنصـاف المـادة العـاشرة تقول : يكون للاتحاد ميزانية إدارية وميزانية للتنمية، فأنا لم أقبل هذه المادة العاشرة، فقال لي صديقي العقيد معمر لماذا لم تقبلها، فقلت لـه لم أقبلها لأنني أعرف أن هنـاك عددا من الحسـاد أو أقزام سيـاسيين سيظنـون أن المغرب طـامـع في خيرات ليبيا، وهذه المادة إن أردت سوف نلحقها في رسالة ولكن سوف لن تكون في الاتفاقية حتى لا يقال إننا طامعون، فكان جوابه، إذا لم تكن هذه المـادة العـاشرة في الاتفـاقيـة فسوف لن أوقع، فـالاتفـاق بيننـا نزيـه ونحن إخـوة نتبـادل الأخذ والعطـاء، هـذا من بـاب الإنصـاف حتى تكـون منصفين مع التاريخ.

وهكذا - شعبي العزيز - فما كـان حلما تحقق وتحقق بكيفية أرادها الله سبحـانه وتعـالى مرنة لبقة طيبـة وأقول بريئة لأن هنـاك نـوعين من الاتفـاقيـات، اتفـاقيـة بريئـة وأخرى غير بريئـة، فالاتفاقية التي لدينا مع ليبيا بريئة وليس لدينـا أي مشكـل معها يجب حلـه، وليس لـدينـا مشكـل حـدود أو جرف قـاري ونحن نبعـد عن بعض بـ 3000 كلم، إذن الاتفاقية التي بيننا ليست فقط نزيهة بل أكثر هي بريئة، لأنها ليست موجهة ضد أي جهة، معمـولة فقط لفـائـدتنـا وتترك البـاب مفتوحا لكل من أراد أن يلتحق بنا.

وكما قلت في بداية خطابي هي تكميل للشيء الذي قـامت بـه الجزائر وتونس وموريتـانيـا فعلى كل حـال إذا بـدأوا هم من الوسـط ولا شيء يمنعنـا نحن الأجنحة أن نتعاون فيما بيننـا، فكل مـا كـان اتحادنا واقفا على رجليه ويتم تعيين الأمين العـام ومقر الأمـانـة العـامـة يشتغل وتكـون النصوص والبروتـوكـولات موضـوعـة وتكـون القـاطـرة على السكـة الحـديـديـة إذ ذاك سيكـون المغرب وليبيـا مفتوحين للحوار مع جميع من أراد أن يفكر أو أن يضع أفكارا جديـدة أو أن يلتحق بنـا، أما الحكمـة واللبـاقـة والاحتيـاط من النكسـات والخيبـة يلـزم علينـا قبـل كـل شيء أن يعين الأمين العـام ومقر الأمانة العامة وقد اتفقت مع صديقي العقيـد معمر القذافي أن تكون الأمـانـة العـامـة في طرابلس وأن يكون الأمين العام مغربيا وسنعينه إن شاء الله بعد المصادقة على المعاهدة ونحن مستعدون لنتـذاكر مع أي واحد ومرحبا بكل من أراد الانضمام، ولكن حتى نقف على أرجلنـا وحتى يعين الأمين العـام ويجلس في مكتبـه ويعين الأمين العـام المسـاعـد واللجن وتهيأ البروتـوكـولات والقـانـون الأسـاسي لمحكمـة العدل الاتحاديـة لأنـه مهم جـدا إذ ذاك وحتى لا يقـع الخلــط فمن أراد أن ينضم إلينـــا فمرحبا بـه ونحن سنبـادر بمفاتحة الآخرين في الأمر وليس من الضروري أن يكـونـوا من إفريقيـا بل يمكن أن يكـون من دولـة عربيـة أخرى، وليس هـذا مـوجهـا ضد أي بلـد لا شمالي ولا جنـوبي ولا شرقي ولا غربي وإنما أقول على كل حـال حتى لا يطرق أحد بابنـا ونـواخـذ على أننـا لم نفتح لـه البـاب، لا لسنـا في حاجة الآن لمن يطرق بـابنـا حتى ننتهي من ترتيب شـؤوننـا وشـؤون بيتنـا وبعد أن نكون قد جهزنـاه وسكـنـا فيـه، فـنـرحب بكل طارق سواء للدخول أو للمشاركة.

شعبي العـزيـز، في يـوم 31 غشت سـتـدعى للاستفتـاء لكي تقول نعم أو لا، بكل إنصاف وبكل إخلاص وبكـل مـا في قلبي من وطنيـة، ووطنيتي لا يفوقها إلا إيماني بالله وتعرف أن وطنيتي كمـا قلت لك وطنيـة وثنيـة، بكل إنصاف لا آمرك أبـدا بل أقول لك بكـل إنصاف من مصلحتك أن تقـول نعم علما مني أنه دائما أنت وأنا على دبدبة واحدة علما مني أنـك تعرف والتجربـة أعطتـك هـذا أن نبضك أحس به وأنت تحس بنبضي فإذن إلى اللقاء معكم في الاستفتـاء يـوم 31 من هـذا الشهر وأطلب من الله أن اختياركم سـوف لن يخيب أملي نعم، في الأسابيع المقبلة سـوف تـذهب إلى اقتراعـات أخرى لتعيين منتخبيكم ولا يجب أن أنص على بنـد من الدستور وهو الفصل الثالث الذي يقول :

الأحزاب السـيـاسيـة والمنظمـات النقـابيـة والمجالس الجماعيـة والغرف المهنيـة تسـاهم في

تنظيم المـواطنين وتمثيلهم معنى هـذا إذا أرادت المجالس البلدية والقروية، وإذا أراد المرشحون أن يتقدموا كأحرار بدون انتماء إلى حزب ذلك من حريتهم لأن المجالس البلدية والقروية يرى النـاس من هم أصلح لهم لتمثيلهم ويـسير مـدينتهم ولكن من الآن أقول لكم انه ممنوع دستوريا في اليوم الذي ستجري فيه الانتخابات التشريعية القادمة وهـو يـوم 14 شتنبر إنـه ممنـوع أن يتقـدم أي شخص حرا معنى لابد لكل مرشح أن يكون منتميا لحزب ما يختار الحزب الـذي يريـد وهذه حريته، ولكن لماذا لا يمكنه أن يتقدم ؟ لأنـه أولا إذا أراد أن يكـون فريقـا من الفرق في البرلمـان يجب أن يبلغ عددهم أكثر من إثني عشر شخصا.

ثانيا : أن هـذا الإنسـان الـذي سيتقدم لنفرض أنه نجح، هل له برنامج ؟ هل له جمـاعـة ستعينـه على تطبيقه ؟ هل لـه مجموعة بقربـه ستضع لـه برنامجه ؟ إذا سرنا في هذه الطريق فسوف نخلق مرتزقة الـذين سيكـونـون لنـا عشرين أو خمسـة وعشرين صوتـا الـذين لاهم من هنـا أو من هنـاك يبيعون أصواتهم لهذا الحزب أو ذاك الحزب حيثما كانت هناك أزمة وزارية وهذا يـستحيل نهائيـا على الديمقراطية المغربية وعلى الفضيلة المغربيـة أن تخلق مثل هذه الأخلاق فلهـذا فإن ظهير الـدستور الذي هو اسمى قانون ينص على أن النـاس ليس لهم الحق في أن يتقدموا للانتخاب ليس الغير المبـاشر بل انتخاب البرلمـان دون أن يكونوا منخرطين في حزب سياسي من الأحزاب المعترف بها قانونيا.

شعبي العزيز :

حرر والـدي بمعيتـك وفيـك ولـك حرر هـذا الـوطن العـزيـز فـأراد الله سبحـانـه وتعالى لابنـه وخـادمـه وتلميـذه وخـادمـك أراد اللـه أن أضم مـا سلبنا من أراضينا لولا أنت ما بقي من بعض المدن في الشمال ولكن أراد الله كذلك أن أقدم على ما كان حلما في ذهن والـدي ومن كـان معـه وممن التحقـوا بـالرفيـق الأعلى ألا وهـو تكـوين صرح المغرب العربي وها نحن ولله الحمد أقدمنـا عليـه وسنقوم بـه وحتى لا يكـون أي خلط في الأذهـان فـالنص العربي وسيتلـوه نص الترجمـة الرسميـة التي ستصدر في الجريدة الرسمية بعد غد، وما عـدا هذين النصين كلما اعتمد عليه لن يكون إلا تلفيقا أو تحريفا.

شعبي العزيز :

هنا أمامي ثلـة من قـدمـاء المقـاومين وجيش التحرير ليسـوا كلهم أمـامنـا منهم من هـو غـائب ومنهم من قضى نحبه ولكن باسمكم وبـاسمي أترحم على من مـات واستشهـد وبـاسمكم أنـوه بهم وأقـول لهم إن التاريخ لن ينسـاكم وأن أملنـا أن يجد دائما المغرب لدى أمهاته وأزواجه من يمكن في كل وقت وحين أن يـمي نفسـه مقاوما أو عضوا في جيش التحرير لأن الحياة ليست إلا مقاومـة وليست إلا تحريرا ليس بـالضرورة بـالحرب ولكن التحرير البشري تحرير القيمة البشرية من الجوع والجهل وسطوة القوي على الضعيف.

وأرجو الله سبحانـه وتعـالى أن يكون عشرين غشت هذا ليس احتفـالا بـالماضي وأمجاد المـاضي، ولكن لبنة للمـستقبل وأن نحتفل في السنة المقبلة إن شـاء اللـه في عشرين غشت لا بـالاتحاد الليبي المغربي الذي هـو الاتحـاد العربي الإفريقي ولكن أن نحتفل في الـسنـة المقبلة وفي مثـل هـذا اليـوم باتحاد أوسع وأشمل نرجو الله سبحـانـه وتعـالى أن يوفقنا جميعا للوصول إليه وإلى تحقيقـه واللـه لا يخيب من التجأ إليه واللـه سبحـانـه وتعـالى مـا عودنا إلا الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

# المعاهدة المنشأ بمقتضاها اتحاد يضم دولة المملكة المغربية ودولة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

إن المملكة المغربية
والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

إدراكا منهما للأخطار التي تتعرض لها الأمة العربية والعالم الإسلامي عامة وفلسطين السليبة والقدس الشريف بوجه خاص نتيجة سياسة العنف والعدوان التي ما فتئ الصهاينة ينتهجونها عابثين بحرمات الإسلام ومقدساته ومنتهكين لحقوق المسلمين والعرب، بعد أن أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الكبرياء وتمكن منهم الغرور فصاروا لا يأبهون بالمبادئ والمثل العليا التي يقوم عليها المجتمع الدولي ولا يعيرون اهتماما للمقررات الصادرة عن المنظمات والمحافل الدولية على اختلاف مستوياتها.

وشعوراً منهما بأن درء هذه الأخطار الداهمة التي تستهدف الأمة العربية والعالم الإسلامي وفي مقدمتها فلسطين والقدس الشريف يتطلب توحيد الرؤية وشحذ العزائم وحشد الجهود لرد العدوان وإحقاق الحق وصيانة مصالح العرب والمسلمين والدفاع عن حقهم في الوجود والكرامة.

وإيماناً منهما بأن انتهاج هذا السبيل سيكون عاملاً حاسماً يتيح للأمة العربية والعالم الإسلامي أن يستعيدا مجدهما التالد ويبالا المكانة اللائقة بماضيهما المجيد ويصرفا جهودهما للنهوض بشعوبهما وإعدادها لولوج القرن الواحد والعشرين، مسلحة بكل ما من شأنه أن يحلها مقاماً رفيعاً بين الشعوب المتقدمة في مجالات العلم والتقنية ومختلف ميادين الرقي البشري والحضاري.

ووعياً لما أبانت عنه تجارب سابقة من صعاب تعترض سبيل الوحدة العربية وما تقتضيه الحكمة من الاعتبار بالنكسات التي نشأت عن الاستهانة بتلك الصعاب في الماضي وما يتطلبه حسن التدبير من عمل متواصل وسعي دؤوب لبلوغ الهدف المتوخى على سبيل التدرج من غير عجلة في التصور ولا ارتجال حين الإقدام على الإنجاز.

وشعوراً منهما - على وجه الخصوص - بما يجمع شعوب المغرب العربي من أواصر متينة قوامها وحدة الأصل والجغرافيا والتاريخ والدين واللغة وأنماط العيش وأساليب الحضارة واعتباراً لتطلع هذه الشعوب وقادتها منذ زمن بعيد إلى إقامة اتحاد بينها يعزز صلاتها القائمة على وحدة المصير والحوار ويسير بها قدماً نحو تكوين وحدة متكاملة لا يستهان بوزنها في الميدانين السياسي والاقتصادي بين شعوب العالم المتقدمة ولاسيما في حظيرة دول حوض البحر الأبيض المتوسط التي تتقاسم - بصرف النظر عما ينفرد به كل منها من خصائص - تراثاً حضارياً يستمد جوهره من قيم روحية وعقلية مشتركة.

وَرَغبَةً مِنهُمَا فِي الإِستِجَابَةِ لِهذِهِ التَّطَلُّعَاتِ وَالمُسَاهَمَةِ فِي تَحقِيقِ هذَا الطُّمُوحِ لِيَخرُجَ عَلَى نَحوٍ يَتَّسِمُ بِالوَاقِعِيَّةِ مِن مَجَالِ الحُلمِ إِلَى حَيِّزِ التَّطبِيقِ المُحكَمِ

وَإِذَا كَانَ مِنهُمَا أَنَّ أَقوَمَ سَبِيلٍ إِلَى ذَلِكَ يَتَمَثَّلُ فِي إِقَامَةِ اتِّحَادٍ بَينَهُمَا مِن شَأنِهِ أَن يَكُونَ مُنطَلَقاً لِقِيَامِ هَيكَلٍ أَوسَعَ هَدَفُهَا خِدمَةُ وَحدَةِ الشُّعُوبِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ وَتَحقِيقُ مَا تَصبُو إِلَيهِ مِن عِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ .

وَاعتِبَاراً لِكَونِ هذَا الإِتِّحَادِ يُشَكِّلُ لَبِنَةً أَسَاسِيَّةً لِوَحدَةِ المَغرِبِ العَرَبِيِّ وَبِالتَّالِي خُطوَةً تَارِيخِيَّةً فِي سَبِيلِ تَحقِيقِ وَحدَةِ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ. اتَّفَقَتَا عَلَى مَا يَلِي :

## المَادَّةُ الأُولَى

يُنشَأُ بِمُقتَضَى هذِهِ المُعَاهَدَةِ إِتِّحَادٌ يَضُمُّ دَولَةَ المَملَكَةِ المَغرِبِيَّةِ وَدَولَةَ الجَمَاهِيرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ اللِّيبِيَّةِ الشَّعبِيَّةِ الاشتِرَاكِيَّةِ، وَيُسَمَّى الإِتِّحَادَ العَرَبِيَّ الإِفرِيقِيَّ.

## المَادَّةُ الثَّانِيَةُ

الرِّئَاسَةُ هِيَ الجِهَازُ الأَسمَى لِلإِتِّحَادِ ، وَيَشتَرِكُ فِي الإِضطِلَاعِ بِمُمَارَسَتِهَا جَلَالَةُ مَلِكِ المَغرِبِ وَفَخَامَةُ قَائِدِ ثَورَةِ الفَاتِحِ مِن سِبتَمبِر وَتَختَصُّ بِسُلطَةِ إِصدَارِ القَرَارَاتِ .

## المَادَّةُ الثَّالِثَةُ

تُحدَثُ تَحتَ سُلطَةِ الرِّئَاسَةِ أَمَانَةٌ دَائِمَةٌ يَتَدَاوَلُ البَلَدَانِ مَقَرَّهَا وَتَكُونُ لَهَا مَندُوبِيَّةٌ دَائِمَةٌ فِي كِلَيهِمَا. وَيَجِبُ أَن يَكُونَ أَمِينُ الإِتِّحَادِ العَامُّ مُنتَمِياً إِلَى جِنسِيَّةِ الدَّولَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ بِهَا مَقَرُّ الأَمَانَةِ الدَّائِمَةِ وَأَن يَكُونَ الأَمِينُ العَامُّ المُسَاعِدُ تَابِعاً لِجِنسِيَّةِ الدَّولَةِ الأُخرَى.

وَتَسْتَغْرِقُ مُدَّةُ التَّعَاقُبِ سَنَتَيْنِ .

## المَادَّةُ الرَّابِعَةُ

يَكُونُ لِلإتِّحَادِ المَجَالِسُ الآتِيَةُ :

- المَجْلِسُ السِّيَاسِيُّ
- مَجْلِسُ الدِّفَاعِ
- المَجْلِسُ الإقْتِصَادِيُّ
- مَجْلِسُ العَمَلِ الثَّقَافِيِّ وَالتِّقْنِيِّ

وَتَتَأَلَّفُ هَذِهِ المَجَالِسُ - تَبَعاً لِمَا تُقَرِّرُهُ الرِّئَاسَةُ - مِنْ مُنْتَدَبِينَ لِكُلٍّ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ عَدَدُ مُمَثِّلِي كُلِّ دَوْلَةٍ مُسَاوِياً لِعَدَدِ مُمَثِّلِي الدَّوْلَةِ الأُخْرَى .

وَتَقُومُ بِدَوْرٍ إِسْتِشَارِيٍّ وَتَكُونُ مُهِمَّتُهَا فِي نِطَاقِ اخْتِصَاصِهَا :

- دِرَاسَةَ القَضَايَا الَّتِي تَعْرِضُهَا عَلَيْهَا الرِّئَاسَةُ .
- إِقْتِرَاحَ الحُلُولِ .
- إِعْدَادُ المَشَارِيعِ الَّتِي تَطْلُبُ إِلَيْهَا الرِّئَاسَةُ إِعْدَادَهَا كُلَّمَا رَأَتْ فَائِدَةً فِي ذَلِكَ .

## المَادَّةُ الخَامِسَةُ

يَكُونُ لِلإتِّحَادِ هَيْأَةٌ إِتِّحَادِيَّةٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ أَعْضَاءٍ مِنْ مَجْلِسِ النُّوَّابِ بِالمَمْلَكَةِ المَغْرِبِيَّةِ وَأَعْضَاءٍ مِنْ مُؤْتَمَرِ الشَّعْبِ العَامِّ بِالجَمَاهِيرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ اللِّيبِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ الإشْتِرَاكِيَّةِ ، وَمُهِمَّةُ هَذِهِ الهَيْأَةِ تَقْدِيمُ تَوْصِيَاتٍ لِلرِّئَاسَةِ قَصْدَ تَعْزِيزِ الإتِّحَادِ وَتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ .

## المَادَّةُ السَّادِسَةُ

يَكُونُ لِلإتِّحَادِ لَجْنَةٌ تَنْفِيذِيَّةٌ تَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ بِالمَمْلَكَةِ المَغْرِبِيَّةِ وَاللَّجْنَةِ الشَّعْبِيَّةِ العَامَّةِ بِالجَمَاهِيرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ اللِّيبِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ الإشْتِرَاكِيَّةِ مُهِمَّتُهَا تَنْفِيذُ وَمُتَابَعَةُ قَرَارَاتِ الرِّئَاسَةِ .

وتعقد اللجنة التنفيذية اجتماعات دورية مرة في كل بلد على وجه التناوب .

## المادة السابعة

يكون للاتحاد محكمة اتحادية يصدر بتشكيلها قرار من الرئاسة.

إذا تنازع الطرفان فيما يتعلق بتنفيذ أو تفسير هذه المعاهدة يكون لأي منهما الحق في عرض الأمر على المحكمة للفصل فيه .

وتكون أحكام وآراء المحكمة نهائية وملزمة .

## المادة الثامنة

يهدف الاتحاد إلى :

- توثيق عرى الأخوة بين الدولتين وشعبيهما
- العمل لرقي الأمة العربية والدفاع عن حقوقها .
- المساهمة في الحفاظ على السلام كلما كان قائما على أساس العدل والانصاف ومتسما بصفة الدوام والاستقرار .
- نهج سياسة مشتركة في مختلف الميادين .
- المساهمة في توحيد المغرب العربي وبالتالي في تحقيق وحدة الأمة العربية .

## المادة التاسعة

تهدف السياسة المشتركة المشار إليها في المادة السابقة إلى تحقيق الأغراض التالية :

- في المجال الدولي : تعزيز أواصر المودة الأخوية بين البلدين وإقامة تعاون دبلوماسي وثيق بينهما .
- في مجال الدفاع : صيانة استقلال كلا البلدين .
- في المجال الاقتصادي : السعي لتحقيق التنمية الصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية بكلا البلدين واتخاذ ما يلزم من

وَسَائِلَ لِبُلُوغِ هَـٰذِهِ الْغَايَةِ ، وَلَاسِيَّمَا بِإِحْدَاثِ مُنْشَآتٍ مُشْتَرَكَةٍ وَإِعْدَادِ بَرَامِجَ اقْتِصَادِيَّةٍ عَامَّةٍ أَوْ نَوْعِيَّةٍ .

ـ فِي الْمَجَالِ الثَّقَافِيِّ : إِقَامَةُ تَعَاوُنٍ يَرْمِي إِلَى تَنْمِيَةِ التَّعْلِيمِ عَلَى اخْتِلَافِ مُسْتَوَيَاتِهِ وَإِلَى الْحِفَاظِ عَلَى الْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةِ ، وَصِيَانَةُ الْهُوِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاتِّخَاذُ مَا يَلْزَمُ مِنْ وَسَائِلَ لِبُلُوغِ جَمِيعِ هَـٰذِهِ الْأَهْدَافِ وَلَاسِيَّمَا بِتَبَادُلِ الْأَسَاتِذَةِ وَالطَّلَبَةِ وَإِحْدَاثِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ ذَاتِ الصِّبْغَةِ الْجَامِعِيَّةِ أَوِ الثَّقَافِيَّةِ أَوِ الْمُتَخَصِّصَةِ فِي الْبُحُوثِ .

## الْمَادَّةُ الْعَاشِرَةُ

ـ يَكُونُ لِلِاتِّحَادِ مِيزَانِيَّةٌ إِدَارِيَّةٌ وَمِيزَانِيَّةٌ لِلتَّنْمِيَةِ .

## الْمَادَّةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ

تَحْتَرِمُ كِلْتَا الدَّوْلَتَيْنِ سِيَادَةَ الدَّوْلَةِ الْأُخْرَى احْتِرَامًا مُطْلَقًا وَتَتَعَهَّدُ بِعَدَمِ التَّدَخُّلِ فِي شُؤُونِهَا الدَّاخِلِيَّةِ .

## الْمَادَّةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ

كُلُّ اعْتِدَاءٍ تَسْتَهْدِفُ لَهُ إِحْدَى الدَّوْلَتَيْنِ يُعْتَبَرُ اعْتِدَاءً عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُخْرَى

## المادة الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ

لَا يَحُولُ الِاتِّحَادُ بَيْنَ أَيٍّ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ الْمُشَارِكَتَيْنِ فِيهِ وَبَيْنَ عَقْدِ اتِّفَاقَاتٍ تُشْبِهُ أَوْ تُحَاكِي الْمُعَاهَدَةَ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا ، بَلْ يَجُوزُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا إِبْرَامُ ذَلِكَ مَعَ غَيْرِهِمَا مِنَ الدُّوَلِ .

وَيَجُوزُ لِلدُّوَلِ الْأُخْرَى الْمُنْتَمِيَةِ إِلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَوِ الْأُسْرَةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَى هَـٰذِهِ الْمُعَاهَدَةِ وَأَنْ تَصِيرَ أَعْضَاءً فِي الِاتِّحَادِ بِشَرْطِ أَنْ يَقْبَلَ الطَّرَفَانِ ذَلِكَ .

## المَادَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَة

تَتَوَلَّى لَجْنَةٌ خَاصَّةٌ تُعَيِّنُ الرِّئَاسَةَ أَعْضَاءَهَا تَقْدِيمَ مَشَارِيعِ الاتِّفَاقِيَاتِ التَّكْمِيلِيَّةِ الرَّامِيَةِ إِلَى تَوْضِيحِ وَبَسْطِ الأَحْكَامِ الوَارِدَةِ أَعْلَاهُ.

وَتُعْرَضُ المَشَارِيعُ الآنِفَةُ الذِّكْرِ عَلَى الرِّئَاسَةِ لِلْبَتِّ فِيهَا.

## المَادَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَة

يَقُومُ بِتَمْثِيلِ مَصَالِحِ كُلٍّ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ فِي الدَّوْلَةِ الأُخْرَى وَزِيرٌ أَوْ أَمِينٌ مُقِيمٌ.

## المَادَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَة

تَدْخُلُ هَذِهِ المُعَاهَدَةُ حَيِّزَ التَّنْفِيذِ فَوْرَ المُوَافَقَةِ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ شَعْبِ المَمْلَكَةِ المَغْرِبِيَّةِ وَشَعْبِ الجَمَاهِيرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ اللِّيبِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ الاشْتِرَاكِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ اسْتِفْتَاءٍ وِفْقاً لِلإِجْرَاءَاتِ الجَارِي بِهَا العَمَلُ فِي كُلٍّ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ.

وحُرِّرَ بمدينة وجدة يومَ الاثنين 16 ذي القعدة عام 1404 الموافق لـ 13 أغسطس 1984.



# الرّسالة الملكيّة السّامية إلى حُجّاجنا الميامين

• • وجّه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله رسالة سامية إلى حجاجنا الميامين تلاها على أعضاء الفوج الأول بمطار محمد الخامس يوم 12 غشت المنصرم بالنيابة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري.
وفيما يلي نص الرسالة السامية • •

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

جرت السنة الحميدة والتقاليد المرعية التليدة أن نخصكم في مثل هذه المناسبة بكلمة توجيهية تذكركم وترشدكم ويكون لها، إن شاء الله تعالى، أثرها في نفوسكم ومكانها في قلوبكم.

حجاجنا الميامين.

أنتم الآن ضيوف الرحمن دعاكم ربكم فأجبتم دعوته ولبيتم نداءه وأقبلتم عليه وعزمتم على التوجه إليه وقلوبكم عامرة بمحبته ونفوسكم مفعمة بالشوق إليه، هانت عليكم الصعاب ورخص عندكم فراق الأهل والأحباب، وقصرت في أعينكم المسافات الطويلة، وصارت الأيام على كثرتها قليلة ولم يعد يشغل بالكم سوى الوصول إلى بيته الحرام والمقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ستَصِلُون في حفظ الله ورعايته إلى أم القرى، ومهبط الوحي ومنطلق الإسراء، وستدخلون إن شاء الله المسجد الحرام آمنين، وستطوفون كما طاف الأنبياء، وتُصَلُّون كما صلى الأولياء، وتكبرون وتهللون وتتضرعون وتبتهلون، وكلكم في لباس واحد وهيأة واحدة وقد تجردتم من شواغل الدنيا، وانصرفتم عن زينتها، وانقطعتم عن فتنتها، ونسي الغني منكم غناه والفقير منكم فقره، وذو المنزلة والمكانة منزلته ومكانته، وكأنكم في يوم العرض على الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وستكون لكم لحظات، تجلسون فيها في ذلك البيت العتيق، ويخلو كل واحد منكم إلى نفسه في سكون ذلك البيت وهدوئه، وفي جلاله وجماله، وهيبته ووقاره، وتستعرضون ذنوبكم وتتذكرون خطاياكم وما فرطتم في حق الله وفي حق عباده فيتجلى عليكم ربكم برحمته التي وسعت كل شيء وبعفوه الذي وعد به أمثالكم من الأوابين التوابين فتقر أعينكم بما اذخره الله لكم من جميل عفوه وكريم فضله وعظيم إحسانه وسعة مغفرته، فتختلط عبرات الندم بدموع الفرح وكآبة الخوف بإشراقة الرجاء وقشعريرة الهلاك بانتفاضة النجاة.

وسيكون لكم يوم بعرفات لا كالأيام، فليس في الدنيا يوم أعظم من ذلك اليوم مشهدا، ولا أكثر منه في الحاضرين من الناس والملائكة عددا، ولا أجمل نقاء ولا أحسن صفاء ولا أظهر لعزة الإسلام وانتصاره وقوته وانتشاره من ذلك اليوم، ولا رؤي الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم منه في ذلك اليوم، يوم تتنزل عليكم فيه الرحمة ويتجاوز الله فيه عن الذنب، ويوم لا دعاء أفضل من دعائه ولا إجابة أكثر من إجابته، قال مولانا محمد ﷺ : (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

فطوبى لكم معاشر الحجاج بذلك اليوم وما يسبقه ويلحقه من أيام الله. وهنيئا لكم بتلك المشاهد الربانية والمواكب النورانية وبتلك المراتب العالية واللحظات الغالية وهنيئا لمن وفقه الله منكم فتفضل عليه بالقبول وتكرم عليه بالرضا وجعل حجه مبرورا وسعيه مشكورا فإن الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة.

حجاجنا الميامين،

إن سرورنا لعظيم وفرحتنا لكبيرة ونحن نراكم اليوم قد شددتم الرحال لزيارة قبر جدنا مولانا محمد ﷺ، والصلاة في مسجده الشريف، واللجوء إلى كنفه المنيف، يدفعكم حبه وتصديقه والإيمان به وهو القائل ﷺ، (لا يومن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين).

وهو القائل : (اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه)، فإذا دخلتم مسجده ﷺ، وزرتم قبره فاقرئوه منا السلام وادعوا لنا في حضرته وكونوا وفقكم الله في منتهى الأدب في مقامه واخفضوا الجناح لأهل المدينة ولزوار الرسول الأعظم واصبروا لمن قسا عليكم واصفحوا عمن أساء إليكم، وأفسحوا في المجلس وأسعفوا في الزحام وتحلوا بالحلم والعفو والصفح والرحمة والمروءة والنبل فإنها أخلاق رسول الله الذي تزورون، وصفات النبي الذي تحبون، وشيم ساكن المدينة الذي إليه أنتم قاصدون ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

واعلموا وفقكم الله أنكم وجوه بلدكم في موسم الحج كله وان أسلافكم حافظوا على شرف بلادهم وسمعتها وذيوع صيتها وعلو مكانتها بأخلاقهم الفاضلة وسلوكهم النبيل فسيروا على نهجهم القويم وصراطهم المستقيم وتذكروا دائما قول الله تعالى : ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾.

فلا تضيقن صدوركم بما تلاقون من زحام الحجاج وكثرة المشقة فإن ذلك امتحان لكم واختبار لصبركم وابتلاء لطاعتكم لربكم وكفارة لذنوبكم وطهارة لنفوسكم من الكبرياء والتعالي والأنانية.

ولا تنطقن ألسنتكم إلا بما يرضي الله ورسوله فإن الفسوق كما يكون باليد والعين يكون باللسان وسائر الجوارح وهو مفسد للحج كالجدال.

واسئلوا حفظكم الله عن أمر دينكم وما يصح به حجكم ولا يمنعكم الحياء ولا الكبرياء من السؤال فإن الله تعالى يقول : ﴿فاسألوا أهل الذكر

إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر هم علماء هذا الأمة وهم ورثة الأنبياء وهم النجوم في السماء بهم تسترشدون وبهديهم تهتدون حتى لا تقعوا في غلط يفسد، لا قدر الله، حجكم أو يبطل سعيكم.

واعلموا أن الحج ركن من أركان الدين لقول الله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾، وقوله : ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾، وقوله ﷺ : «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وان هذا الركن لا يتم إلا بنية خالصة وأعمال وأقوال مخصوصة وترتيب محكم ومنهج منظم وليس الحج رحلة سياحة ولا فترة استجمام وراحة ولا هو من أجل الحصول على لقب الحاج ولا من أجل ما يصاحب الذهاب والأياب من احتفال وابتهاج فإن من كان غرضه ذلك وتعلقت نفسه بما هنالك كان قعوده أولى من ذهابه وتوفير ماله أجدى من إنفاقه فاحرصوا حفظكم الله على أن تكون نيتكم خالصة لوجه الله وعلى أداء المناسك على وجهها والإتيان بالأركان بتمامها والمحافظة على الواجبات بكمالها والرجاء بعد ذلك في الله سبحانه ليتقبل حجكم ويرزقكم ثوابه.

واعلموا علمكم الله كل خير أن لوطنكم عليكم حقا ولملككم عليكم حقا ولإخوانكم في الدين عليكم حقا فابتهلوا إلى الله العلي القدير وأنتم في ذلك المقام الذي لا يرد فيه الدعاء أن يحيط بالعناية والرعاية والحفظ والسلامة بلدكم وأن يوحد كلمتها ويجمع شملها ويعلي رايتها وينصر جيشها ويهزم أعداءها وادعوا لنا بأن يوفقنا الله إلى ما فيه خير هذا البلد وسعادتُه وطمأنينتُه وازدهارُه وارتقاؤه وأن يمدنا بمدده ويكلأنا بحفظه حتى نحقق لوطننا العزيز جميع ما يصبو إليه من عزة ورفعة ولا تنسوا الدعاء لولي عهدنا وفلذة كبدنا الأمير سيدي محمد ولصنوه مولاي رشيد وسائر أفراد أسرتنا وأن يتغمد الله بواسع رحمته والدنا المنعم مولانا محمد الخامس وسائر شهداء هذه الأمة وأن يجمع كلمة الأمة الإسلامية ويوحد صفوفها ويكتب لها الغلبة والظفر والنصر والعزة والسؤدد ويسلك بها طريق الخير حتى تكون خير أمة أخرجت للناس بفضله ومنه وكرمه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

والله يوفقكم ويصلح أحوالكم ويكتب لكم السلامة في الذهاب والإياب ويجعل حجكم مبرورا وسعيكم مشكوراً.

والسلام عليكم ورحمة الله

اقرأ في العدد القادم

الإمامة ورسالة المسجد
للأستاذ عبد العزيز بغداد

# المغرب
## بين الإمامين البخاري ومسلم

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

كان اهتمام علماء المغرب بالدراسات الحديثية نظير عنايتهم الفائقة بالأبحاث القرآنية غير أنهم كانوا يحترزون دائما من العمل المكرر ويعتمدون على الشرق مهد الإسلام وعلومه في كل ما يتفق وروح السنة ووحدة المذهب والسلفية الحق في المغرب.

ومن أسباب تعلق المغرب بمذهب مالك انطلاقه من الحديث الشريف ومن «عمل أهل المدينة» وإشراقة الرسول عليه السلام وقد بدأت الكتب المصنفة في التفسير والحديث وعلوم القرآن والسنة تتوارد على الأندلس ومنها إلى المغرب منذ القرن الثالث الهجري فدخل صحيح البخاري عن طريق عمر بن الحسن، والواقع أن أول من أدخله إلى الأندلس ثم المغرب هو عبد الله بن ابراهيم الأصيلي (392 هـ / 1001 م)، ودخلت سنن النسائي على يد أبي بكر بن الأحمر محمد بن معاوية بن مروان المحدث الأندلسي المتوفى عام 365 هـ / 975 م) وقد تعرف المغرب والأندلس لأول مرة على غريب الحديث «للخطابي» بواسطة ابن الضابط أبي عمرو عثمان بن أبي بكر الصدفي صاحب الرحلة إلى الشرق. والواقع أن أول من أدخله إلى الأندلس ثم المغرب هو عبد الله بن ابراهيم الاصيلي (392 هـ / 1001 م).

على أن صعصعة بن سلام الشامي هو في الحقيقة أول من أدخل الحديث عموما إلى الأندلس والمغرب وقد روى عن الأوزاعي.

وقد أكب علماء المغرب - كما قال ابن خلدون - على صحيح مسلم خاصة وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه على أن بعض المغاربة يفضل (سنن النسائي) على البخاري كما يرى ذلك أبو مروان الطبني ويرويه عن بعض شيوخه (فتح المغيث - السخاوي ج 1 ص 31) وقد اطلق حفاظ أعلام اسم (الصحيح) على السنن منهم ابن السكن (353 هـ) والدارقطني وأكد ابن رشيد أن كتاب النسائي أبدع الكتب المصنفة في السنن بل قيل بأنه أشرف ما وضع في الإسلام (السخاوي ج 1 ص 84).

ولم يذكر عالم حديثا موضوعا في سنن النسائي إلا الحديث الذي ذكره ابن الجوزي وقد رد عليه (كما ذكر حديثا في البخاري وآخر في مسلم) وتكديس الأسانيد في مكان واحد مثل الإمام مسلم على خلاف البخاري الذي يفرق الحديث الواحد في أماكن متعددة ولعل مما رغب بعض المغاربة في سنن النسائي قصده جمع ما ثبت عن الرسول عليه السلام مما يمكن أن يستدل به الفقهاء غير أن الاهتمام بالنسائي لم ينتشر لأنه كان شافعيا.

وقد انتقل علم الحديث من الأندلس إلى حاضرة القيروان فلما اضطرب أمر افريقية بعبث العرب فيها وقرطبة وآخر ملوك بني أمية رحل من هذه وتلك من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة

فنزل أكثرهم مدينة فاس وأعلى سند في الحديث دخل إلى المغرب هو سلسلة محمد بن عبد الله الرجراجي في صحيح البخاري عن المرغيثي عن ابن طاهر عن القصار عن خروف بسنده إلى الإمام محمد بن اسماعيل البخاري وانفرد المغرب بروايات خاصة، وقد صنف الشيخ عبد الحي الكتاني «التنبيه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة» جعله مقدمة للجزء الثاني من صحيح الإمام البخاري الذي أخذ بالفوتوغراف من رواية الحافظ أبي عمران موسى بن سعادة المتوفي عام 522 هـ وصدر في الموضوع «ذيل ابن سعادة لمحمد بن مخلوف الفاسي» وقد بلغ صحيح الإمام البخاري مكانة في قلوب المغاربة جعلت طبيب المرابطين والموحدين الشاعر أبا بكر بن أبي مروان المتوفى عام 916 هـ بمراكش يحفظه بأسانيده ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر (ذي الرمة) وهو ثلث لغة العرب.

ومعلوم أن الطبيب أبا جعفر بن هارون الترجالي صاحب السلطان أبي يعقوب يوسف الموحدي هو تلميذ ابن العربي المعافري في الحديث وكان لأبي يحيى هانئ بن الحسن اللخمي الغرناطي (المتوفى عام 614 هـ) مشاركة في الحديث والأصول والطب وقد ازدهرت دراسة الحديث في عهد عبد المومن بن علي الذي أحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وأصدر بذلك مرسوما (عام 550 هـ) في العدوتين (المغرب والأندلس). وكان الذي دشن هذا الاتجاه قبله هو المهدي بن تومرت المتوفي عام (524 هـ) بإصداره «محاذي الموطأ» وهو عبارة عن موطأ مالك بن أنس مجردة من الإسناد (طبعت بالجزائر 1903 م)، وتوجد نسخة في رق الغزال ينقصها قليل في مكتبة جامعة القرويين ونسختان في المكتبة العامة بالرباط وكان المحدثون في طليعة بطانة الأمير فهذا ابن عياش عبد الملك اليابري كاتب عبد المومن الموحدي من أهل الحديث والرواية ويعقوب بن يوسف بن عبد المومن الموحدي الذي ولد عام 555 هـ كان هو نفسه عالما بالحديث يحفظ متونه ويتقنها وكان فقهاء العصر يرجعون إليه في الفتوى وله (الترغيب في أحاديث العبادات) وهو الذي نظم قراءة الحديث بمراكش في القرن السادس الهجري وقد اختار لتأديب أبنائه عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري المحدث الحافظ قاضي قرطبة واشبيلية ومرسية وسبتة وسلا، ولابن حوط هذا (كتاب في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي) نزع فيه منزع أبي نصر الكلاباذي (لم يكمله) وقد توفي بغرناطة عام 612 هـ، ومن المحدثين الذين كانوا يحضرون مجالس المنصور الموحدي ابن الفرس عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي المتوفي 597 هـ وقد أجازه ابن طاهر المحدث وابن العربي المعافري وعياض والمازري وعلي بن الحسن الطبري وابن القطان وابن قطرال واشترك بالرواية في السماع مع أعلام بقايا المائة السادسة في الشرق والغرب وقد ألف في (أحكام القرآن) كتابا يعتبر أجل ما صنف في بابه وقد عين المنصور الموحدي لقراءة الحديث بين يديه في مجالس حافلة بالقصر الملكي ابن القطان علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني الفاسي المتوفى بسجلماسة (عام 618 هـ) وكان متبحرا في علوم الحديث بصيرا بطرقه عارفا برجاله عاكفا على خدمته ناقدا مميزا صحيحه من سقيمه، وكانت إليه النهاية والإشارة في عصره وله مؤلفات عديدة في علم الحديث وهو أول شخصية مغربية ركزت الدراسات الحديثية على الأساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الأصالة والجدة، وممن كان يحضر مجلس ابن القطان في مراكش ابْن قطرال علي بن عبد الله الأنصاري القرطبي الذي عرض عن ظهر قلب صحيح البخاري (توفي بمراكش عام 651 هـ) وأستاذ ابن القطان في الحديث هو يعيش بن علي أبو البقاء (المتوفى عام 626 هـ) وكان المامون بن يعقوب الموحدي هو أيضا محدثا حافظا ضابطا للرواية يسرد كتب الحديث وخاصة البخاري والموطأ وسنن أبي داود، على أن ملوكنا كانوا يستجلبون كبار المحدثين من العالم الإسلامي مثل ما فعل أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله الذي يجمع في شهر رمضان من كل سنة بعض أقطاب الفكر الإسلامي في دروس حديثية حافلة وصلت الماضي بالحاضر ومما امتازت به هذه الدروس أن صاحب الجلالة الحسن الثاني يتوجها بإملاءات قيمة ويفتح باب المناقشة الحرة بين العلماء أمام أعضاء السلك الدبلماسي ورجال السياسة ويشارك شعب المغرب العربي عن طريق التلفزة في الاستفادة من هذا الحوار الإسلامي الحي في أعلى المستويات فهي عبارة عن منتدى عام يتبارى فيه رجالات

الفكر وجهابذة المعرفة من الخليج إلى المحيط ومنذ القرن السابع رأينا عمر بن مودود بن عمر الفارسي المتوفى بمراكش عام 639 هـ يدرس الحديث بمراكش أيام الرشيد الموحدي بعدما جال في العراق والشام ومصر، وممن دخل مراكش وأغمات وريكة ودرس بهما في ولاية أبي إسحاق بن أبي يعقوب الموحدي يحيى بن عبد الرحمن الاصبهاني الذي ولد بدمشق عام 548 هـ وتوفي عام 608 هـ وهو متسع الرواية في الحديث واستمر سوق الحديث في اتساق وانتظم بث العلم في العامة في عهد السلطان أبي سالم المريني وكان أبو عنان فارس ابن أبي الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني (759 هـ) عرفا بعلوم القرآن ناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عرافا برجاله وتزعم بعد ذلك محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله السعدي (المتوفى عام 932 هـ) دراسة الحديث وضرب المثل لذلك وكان يحفظ صحيح البخاري بالإضافة إلى ديوان المتنبي ثم صار المنصور السعدي يعقد مجلسا للحديث يدرس فيه البخاري الشيخ أبو القاسم بن علي بن قاسم بن مسعود الشطيبي قاضي الجماعة بمراكش (المتوفى عام 1002 هـ) الذي كان يحفظه من كثرة تكراره وقد برز في هذا العصر محمد بن قاسم القصار الفاسي محدث المغرب (المتوفى عام 1012 هـ).

وفي العهد العلوي انطبع التراث الإسلامي بمزيد من الاحتفاء برصيد السنة النبوية من خلال الحديث الصحيح فقد وجه المولى اسماعيل رسالة ضافية للتذكير بلحمة النسب وأخوة الإسلام كلها آيات وأحاديث تدعم هذا الرباط الأصيل ثم التنويه بمناقب الخلافة، والرسالة غير مؤرخة.

(العز والصولة لابن زيدان ج 1 ص 285)
إلى سعد بن زيد ملك الحجاز

وقد تصدى أمير المؤمنين السلطان محمد بن المولى عبد الله بن اسماعيل العلوي (المتوفى سنة 1204 هـ) للتجميع والتصنيف فألف كتبه (الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد) (أربعة أسفار) و(الفتوحات الإلاهية في أحاديث خير البرية) (جمع في صغراه بعض أحاديث الأحكام من الصحيحين ومسندي أبي حنيفة وموطأ مالك ثم ألف الكبرى بعدما وقف على مسند الإمام الشافعي ومسند الإمام أحمد والعربي بن الصديق بن عبد الملك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله يعد من كبار رجال العلم والحديث (توفي 1288 هـ) وقد جلب الملك الهمام محمد بن عبد الله إلى المغرب مسانيد أبي حنيفة وأحمد الشافعي وأمر علماء عصره بشرح مؤلف الصغاني الحديثي فشرحه الشيخ التاودي ابن سودة ورتب أوقافا لسرد الحديث وإملاء نظرياته كما حبست أرباع على قراءة البخاري بشرح حجر وكان الأمراء في بلاد الشام قد اتخذوا نفس البادرة فقد ذكر النعيمي (المتوفى عام 927) في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) (ج 1 ص 14) أنه كان من شروط الوقف في دمشق قراءة صحيح البخاري في ثلاثة أشهر من السنة كما وزع السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله على علماء فاس (الأربعين النووية) لشرحها وصنف علماء المغرب تعاليق وشروحا وحواشي ضافية حول كتب الصحح فلمحمد بن الحسن العمراني الجنوي الفاسي المفتي المحدث المتوفى عام 1200 هـ تعليق على ما كتبه السلطان المولى سليمان على بعض الأحاديث وكان اسم رجال الحديث وخاصة الإمام البخاري يتردد على الألسنة في كل مكان في مجلس العلم وفي الشارع وداخل الأسر وحتى في الجيش، فمن عرف من علماء المغرب بهذه النسبة أبو عمران موسى المصمودي الشهير بالبخاري ولعله هو موسى بن زيري الهسكوري ومحمد بن محمد بن ابراهيم الزموري البخاري وموسى بن باكر بن ياسين بن يمويمن البخاري الهسكوري ومحمد بن البخاري الدرعي وقد نسب جيش السلطان مولاى اسماعيل العلوي إلى البخاري فكان رجاله يسمون جنود البخاري يحملون في الحروب نسخة من الصحيح تيمنا بالحديث النبوي وكانت المجالس السلطانية تتفتق عن بوادر علمية كالتقييد الذي صنفه الشيخ الطيب بن كيران (المتوفي عام 1227 هـ) بمناسبة مذاكرة جرت في مجلس السلطان المولى سليمان العلوي وكان يترأس هذا المجلس شيوخ جماعة العلماء مثل محمد التهامي بن حماد بن عبد الواحد الحمادي قاضي مراكش وآخر حفاظ المغرب (المتوفى عام 1249 هـ) الذي عين شيخ مجلس الصحيح بين يدي السلطان، ومن شيوخ السلطان محمد بن عبد الرحمن الذين كانوا يترأسون مجلسه في الحديث الصادق بن محمد الهاشمي الشريف السجلماسي (المتوفى عام 1279 هـ وكان

سلطان المغرب الحسن الأول قدس الله روحه يقرأ البخاري في الأشهر الثلاثة وله رسالة كتبها لسائر الأمصار حظهم فيها على التقوى واتباع السنة، وفي عام 1290 هـ أقام سنة عيد الفطر بالرباط وختم به صحيح البخاري على العادة وكان فقيه المجلس هو الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة وقد سردت في حفلة (ختم البخاري) عام 1290 هـ نيف وخمسون قصيدة أجاز عنها كل الشعراء ومن ملوكنا المحدثين المولى عبد الحفيظ (المتوفى عام 1356 هـ) الذي نظم (مصطلح الحديث) وقد صنف الشيخ عبد الحي الكتاني كتاب «المنهج المنتخب المستحسن فيما أسندناه لسعادة المولى عبد الحفيظ بن مولاي الحسن» كما ألف الشيخ أبو حامد محمد المكي البطاوري الرباطي (المتوفى عام 1355 هـ) كتاب (الدروس الحديثية في المجالس الحفيظة) طبع بالرباط في 128 ورقة، وتتجلى المكانة المرموقة التي كانت لصحيح البخاري في مدى اهتمام العلماء به شرحا وتعليقا وحفظا وتدريسا وهاكم صورة عن هذه اللائحة الشريفة : ـ «كتاب الشرف على أعلى شرف في التعريف برجال سند البخاري من طريق أبي علي ابن شرف» لابن الشاط قاسم بن عبد الله «ترجمان التراجم في ابداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري» لابن رشيد محب الدين محمد بن عمر السبتي المتوفى بفاس عام 721 هـ وله أيضا «إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح» و«السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن»، «مساطع الأنوار في استخراج ما في حديث الاسراء من الاسرار» لمحمد بن محمد بن ابراهيم البخاري الزموري نزيل الحرمين المتوفى عام 839 هـ.

ـ حاشية على صحيح البخاري لأحمد زروق البرنوسي المتوفى عام 899 هـ / في عشرين كراسة اقتصر فيها على ضبط الألفاظ وشرحها (حاشية على صحيح البخاري في أربعة أسفار اختصرها (من فتح الباري للحافظ بن حجر) ابراهيم بن هلال بن علي السجلماسي المتوفى عام 903 هـ) ـ «أغنية البدوي وعجال القروي على ما في البخاري من الأثر النبوي» لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العياشي وهو مختصر لكتاب «معونة القارئ لصحيح البخاري» لابن الحسن المكي ـ «إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب» لمحمد بن أحمد القماني المكناسي الفاسي (919 هـ) . «الكوكب الساري في اختصار البخاري» لمحمد بن عيسى بن عبد الله منصور بن حرزوز المكناسي ـ تشنيف السامع ببعض فوائد الجامع على صحيح البخاري «لعبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري العارف (المتوفى عام 1036 هـ) ـ » زاد المجد الساري لمطالع البخاري «لمحمد التاودي بن سودة (المتوفى عام 1076 هـ) ـ » أطال فيه النفس خصوصا في تفاريع المذهب المالكي ـ «حاشية على صحيح البخاري» لسيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري (توفى عام 1091 هـ) ـ «مجمع الفوائد بجامع الأصول ومجمع الزوائد» في مجلدين لمحمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي المتوفى بدمشق عام 1094 هـ وهو يحتوي على الصحيحين والموطأ بالإضافة إلى السنن والمسانيد والمعاجم (أي أربعة عشر كتابا في عشرة آلاف حديث).

ـ حاشية على صحيح البخاري (طبعت بفاس في 200 ص) لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الفهري المتوفى عام 1096 هـ وكذلك (أرجوزة) في اصطلاح الحديث ـ «نظم اللآل والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر» لمحمد بن أحمد ميارة الحفيد الفاسي المتوفى عام 1144 هـ ولمحمد بن أحمد ميارة (شارح المرشد المعين لابن عشر) المتوفى عام 1072 هـ شرح على البخاري.

ـ «حاشية على صحيح البخاري لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي المتوفى عام 1144 هـ وفيها من التحقيقات العجيبة والتخريجات الغريبة ما يكل عنه الحصر وقد أولع بها المتأخرون لنفاستها واستنتاجاتها الأصلية والفرعية.

ـ «مقدمة على صحيح البخاري» نسختان بخط المؤلف لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم جسوس (1182 هـ).

ـ «شرح على صحيح البخاري» للإمام السدوسي الفاسي.

ـ «شرح مشكلات في صحيح البخاري» لمحمد بن يوسف الحسني ـ رسالة في مناسبة ابتداء البخاري بقوله «كيف كان بدء الوحي» لمحمد بن محمد بن قدور

المراكشي الاسكندري المكنى الأبيض، وله أيضا «القول المستملح في علم المصطلح» ـ «حاشية على البخاري» و«اختصار القسطلاني على البخاري» واختصار الإصابة لابن حجر لمحمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الايسي الحضيكي المتوفى عام 1189 هـ، وكان حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن الحاج المتوفى عام 1239 هـ محدثا حافظا يستحضر حديث الصحيحين لا يعزب عنه من صحيح البخاري لا حرف ولا كلمة ولا ما يتعلق به من اللغة وتعليقه للبخاري مضمنه ذكر كل ما اتفق معه في إخراج حديثه ومناسبة كل ترجمة لما قبلها وما بعدها ومصداق كل حديث من كتاب الله وكان في تفسيره مجتهدا لا يتقيد بتفسير وقد نظم مقدمة ابن حجر وشرحها في سفر سماه «نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري».

له رسالة في لفظة قال الواردة في أثناء إسناد الحديث.

ـ شرح صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن محمد البناني الفاسي مفتي المالكية بمكة (1245 هـ).

ـ شرح على البخاري يسمى «نوافح الورد والعنبر والمسك الداري بشرح آخر ترجمة صحيح البخاري» لعبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي المتوفى عام 1254 هـ بالمدينة المنورة وله أيضا «منح إلاهية ومواهب اختصاصية على ترجمة بدء الوحي من صحيح البخاري».

ـ «ختمة صحيح البخاري» لأحمد بن طالب بن سودة شيخ الحديث بفاس المتوفى عام 1321 هـ واسمها «عون الباري على فهم آخر ترجمة صحيح البخاري» وكان يسرد الصحيح في مجلس سلطان المغرب الحسن الأول قدس الله روحه.

ـ شرح لآخر ترجمة من صحيح البخاري لأبي الفضل جعفر بن ادريس الحسني المتوفى عام 1323 هـ.

ـ ختمة الإمام البخاري لمحمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني المتوفى قتيلا (1327 هـ).

ـ إملاءات وختامات رائعة على صحيح البخاري لأحمد بن موسى السلاوي المتوفى في عام 1328 هـ.

ـ افتتاحات وختمات على البخاري لأحمد بن قاسم جسوس المتوفى عام 1331 هـ.

ـ «السر الساري من ثلاثية صحيح البخاري» لمحمد بن علي دينية الرباطي (1358 هـ).

ـ المدد الساري من فتح الباري في بعض ما يتعلق بآخر ترجمة من البخاري لعبد الرحمن بن محمد بن زيد العلوي المتوفى عام 1365 هـ.

ـ «لباب القاري من صحيح الإمام البخاري» لابن الموقت محمد بن محمد المراكشي (1369 هـ) (اقتطف فيه بعض أحاديث البخاري دون ترتيب).

ـ ولشيخنا محمد المدني بن الحسني الرباطي المتوفى عام 1378 هـ كتب منها :

ـ الميدان الفسيح من بسملة الصحيح
ـ ثالث افتتاح لأصح الصحاح
ـ رباعيات البخاري الخ

ـ شرح على البخاري لمحمد بن يحيى بن عمر المختار الولاتي الشنقيطي امتاز بالتنبيه على كل حديث تمسك به مالك في الموطأ، وله أيضا شرح مختصر ابن أبي حمزة وهو «سلم الفقه الضراية على أجمع النهاية في اختصار البخاري الشرقية وقد انكب علماء المغرب على صحيح مسلم خاصة وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري ويكفي التنظير بين ما صدر حول الكتابين للتعرف على مدى أهمية كل منهما، وقد انفردت مجالس لتدريس صحيح مسلم في الحواضر والبوادي، فهذا منذ القرن الأول خلف بن عمر الباجي يدرس صحيح الإمام مسلم في أغمات ويحضر درسه ابن الصيقل الشابي المتوفى بفاس عام 500 هـ كما كان علماء فاس يدرسون صحيح مسلم طول السنة وقد صدرت حول صحيح مسلم مصنفات وتعليقات وتقييدات وشروح نذكر منها على سبيل المثال : «اكمال المعلم شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض و«مكمل إكمال الاكمال» لمحمد بن يوسف السنوسي اكمال الاكمال هو لمحمد الأبي ويوجد أيضا اكمال الاكمال لمحمد بن ابراهيم الليثي البقوري الأندلسي المتوفى بمراكش عام 707 هـ، واكمال الاكمال على صحيح مسلم «للشريف الإدريسي أبي القاسم السلاوي تلميذ ابن عرفة التونسي وقد اقتصر على أبحاث ابن عرفة وأصحابه.

ـ شرح مقدمة صحيح مسلم لابن المواق محمد بن يحيى المراكشي قاضي فاس (المتوفى عام 642 هـ) هو تلميذ ابن القطان وله تعقيب على كتابه الموسوم ببيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام.

ـ حاشية على صحيح مسلم لأحمد بن أبي المحاسن الفاسي الحافظ المتوفى عام 1021 هـ.

ـ ختمة لصحيح مسلم وأخرى للموطأ لمحمد بن جعفر الكتاني (المتوفى عام 1345 هـ) وله «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» (طبع بفاس عام 1328 هـ) (والرسالة المستظرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) (مصطلح الحديث).

ـ تعليق على صحيح مسلم لعيسى بن أحمد الهدبي البجائي بن الشاط.

ـ «زاد المسلم بما اتفق عليه البخاري ومسلم» لمحمد حبيب الله مايابي الشنقيطي المتوفى بالقاهرة عام 1363 هـ وقد عينه السلطان مولاى عبد الحفيظ مدرسا وخطيبا بمراكش واختارته مشيخة الأزهر أستاذ كلية أصول الدين.

ـ (تعليق على الموطأ) موسوم بأقرب المسالك (ختمة علي صحيح مسلم) و(تعليق ثالث على البخاري أو ختمة لصحيح البخاري للتهامي بن الحاج المدني جنون (المتوفى عام 1331 هـ) كما له تتميم لبترات في حاشية ابن زكري علي البخاري، ويتجلى مدى إقبال علماء المغرب على ختمات البخاري في تجديد طبعاتها علاوة على توافر تدريسها أو سردها ولا يقل ما صنفه المحدثون المغاربة في شرح موطأ مالك بن أنس عما ألقوه حول صحيح مسلم فرحل بعضهم لأخذ صحيحها كابن حنين علي أحمد الكناني الفاسي المتوفى عام 569 هـ) حيث سمعها من الغزالي برواية ابن بكير، وقد سمع يحيى بن يحيى الليثي الطنجي عالم الأندلس والمغرب في عصره (المتوفى عام 234 هـ) الموطأ من مالك وسفيان بن عيينة كما سمعها كل من قرعوس وشبطون زياد بن عبد الرحمن الذي أدخل الموطأ إلى الأندلس فألزم هشام بن عبد الرحمن الأموي الناس بمذهب مالك حوالي 170 هـ في حياة مالك.

ـ ومما صنف بهذا الصدد أيضا : تفسير موطأ مالك لعبد المالك بن حبيب القرطبي (238 هـ).

ـ شرح على الموطأ اسمه «الدليل» لعبد الله بن ابراهيم الأصيلي المتوفى عام 392 هـ أشار فيه إلى الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة، قال الدارقطني : لم أر مثله «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» لابن العربي المعافري المتوفى بفاس عام 543 هـ ولابن العربي شرح ثان للموطأ هو «المسالك في شرح موطأ مالك».

ـ «مشارق الأنوار على صحيح الآثار» للقاضي عياض المتوفى عام 544 هـ وهو تفسير غريب الحديث المختصر بالموطأ والبخاري ومسلم.

ـ محمد بن سعيد بن أحمد بن زرقون الشريشي مسند الأندلس قاضي سبتة (المتوفى عام 586 هـ) له كتاب في الجمع بين المنتقى والاستذكار (في شرحي الموطأ للباجي وابن عبد البر) ولمحمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي المغربي (المتوفى عام 625 هـ) «المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار» في عشرين مجلدا (3000 ورقة).

ـ «تقريب المدارك في وصل المقطوع من حديث مالك» لعلي بن محمد الفاسي المحدث الراوية المتوفى في حدود 610 هـ).

ـ «غريب الموطأ» لمحمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي قاضي تلمسان (المتوفى عام 625 هـ) ونزيل فاس ومراكش.

ـ «جني الجنتين في فضل الليلتين» (في بلاغات الموطأ) لابن مرزوق الخطيب محمد بن أحمد صاحب السلطان أبي الحسن المريني المتوفى عام 781 هـ.

ـ «بغية المسالك إلى شرح موطأ مالك» في ثلاثة أسفار لعلي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي المتوفى سنة 1143 هـ بالمدينة المنورة.

ـ شرح على الموطأ (لم يكمل) للعربي بن أحمد بن التاودي بن سودة (توفي عام 1229 هـ).

ـ حواش وتعليقات على الموطأ (شرح الزرقاني) للسلطان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي المتوفى عام 1238 هـ.

ـ شرح على موطأ مالك اسمه «تقريب المسالك لموطأ مالك» لأحمد بن الحجاج المكي السدراتي السلاوي المتوفى عام 1253 هـ.

- «حاشية على الموطأ» لمحمد بن المدني جنون شيخ الجماعة بفاس وقاضي مراكش (1302 هـ).

- تقييد على الموطأ مع ختم لها لأبي حامد محمد المكي البطاوري الرباطي (1355 هـ) وله أيضا شرح «ألفية العراقي» في مصطلح الحديث و«شرح البيقونية في أقسام الحديث».

- شرح الموطأ لابن المواق.
- شرح الموطأ «لعمر الورياغلي».
- شرح الموطأ لأحمد بن نصير الداودي.

وكان بعض علماء الشرق أو نزلائه من المغاربة يستهدون بقبس علماء جامعة القرويين من حملة الشريعة وحماة السنة وحفاظ الحديث ومن جملتهم الشيخ محمد بن جعونة بن مالك الفاسي المعافري نزيل الاسكندرية (توفي عام 574 هـ) الذي سمع الموطأ بفاس من ابن الرمانة، وقد كان علماؤنا من مجتهدي المذهب المالكي يرجعون إلى نصوص الحديث لنقد بعض التفريعات المالكية كما فعل المحدث الراوية عمر بن عبد الله القرشي التونسي المتوفى بمراكش عام 598 هـ حيث صنف مجلدا في شواذ المذهب المالكي ولعلي بركة التطواني (المتوفى عام 1120 هـ) كتاب في الفقه جله أحاديث وقد نقل الحافظ ابن حجر «في الدرر الكامنة» عن سير النبلاء للذهبي أن ابن رشيد كان على مذهب أهل الحديث في الصفات لا يتأولها.

وكان في سبتة وحدها محدثون كبار وقد أجاز الحافظ تقي الدين تيمية لصاحب سبتة بجملة من أسانيده في عشر ورقات وصدر عنه ذلك وهو معتقل في سجن الاسكندرية عام 709 هـ) ومن جملتهم القاضي عياض صاحب الغنية وهي فهرسة في اصطلاح أخذ الحديث وسماعه من الأشياخ وله أيضا «منهاج العوارف إلى روح المعارف» في شرح مشكل الحديث وكذلك خاتمة المسندين قاضي سبتة عبد الله بن محمد بن علي بن ذي النون الحجري المتوفى عام 591 هـ والعجوز المسنة المسندة أم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري السبتي وقد روى يوسف بن موسى السبتي الفاسي الحافظ صحيح الامام البخاري عن الزبيدي وابن الصلاح وقد توفي آخر المائة السابعة وكانت مراكش وفاس ومكناس وحتى قرى الصحراء مركزا للدراسات الحديثية فهذا ابن الصباغ محمد بن محمد المكناسي قد أملى بمكناسة في حديث «يا أبا عمير ما فعل النغير» أربعمائة فائدة.

ومن كتب الحديث المعتمدة لمحدثين مغاربة :

- «مفتاح النظر في الحديث» لمحمد بن عبد الكريم المغيلي (المتوفى عام 909 هـ) يبحث مع النوري في تقريبه.
- نظم في اصطلاح الحديث لعبد الله بن علي بن طاهر بن الحسن السجلماسي (المتوفى عام 1045 هـ).
- نظم ألقاب الحديث و«عقد الدرر في نظم الفكر» لمحمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي (المتوفى عام 1052 هـ) مع شرح عليه.
- رائد الفلاح بعوالي الاسانيد الصحاح «لابن القاضي عبد الرحمن بن أبي القاسم المتوفى عام 1082 هـ.
- «أرجوزة في اصطلاح الحديث» لعلي بن سليمان الدمناتي البوجمعاوي الرحالة الراوية المسند المتوفى عام 1306 هـ.
- وقد أقرأ الكتب الستة في مراكش وألف «أجلى مسانيد على الرحمن في أعلى أسانيد علي بن سليمان» ذكر فيه أسانيده في الحديث والتفسير.
- حاشية على شرح الفاسي في منظومة القاب الحديث لأحمد بن محمد بن الخياط الزكاري الفاسي المتوفى عام 1343 هـ.
- طلعة الأنوار في مصطلح الحديث «وشرحه لعبد الله الصديق علي بن يوسف الناصري.

ومن المحدثين المغاربة الذين زاروا الشرق فكان لهم ضلع في دعم الحركة الفكرية المنطلقة من الحديث النبوي :

- ابن حركاش سالم بن ابراهيم السرقسطي الفاسي الذي توفي بمصر.
- ابن سنجون مروان بن عبد الملك اللواتي الطنجي الذي أقام في الشرق سبع عشرة سنة يقرر الحديث.
- ميمون الصحراوي المتوفى بمراكش سنة 506 هـ يقال إنه شيخ القاضي عياض أخذ الحديث بمكة عن الشيخ حسن بن علي الطبري.

كما سمع ميمون أبو عمر بن ياسين اللمتوني علي الطبري صحيح مسلم.

- موسى بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد أبو هارون الاغماتي المحدث (المتوفى عام 516 هـ، رحل إلى مصر والحجاز وخراسان وما وراء النهر وأقام بنيسابور.

- منصور بن محمد بن الحاج داود اللمتوني تلميذ الصدفي المحدث الحافظ فخر لمتونة توفي ببياسة (547 هـ).

- اليسع بن عيسى بن حزم الجياني المحدث الحافظ المتوفى بمصر عام 579 هـ وقد خرج من مراكش عام 543 هـ بعد أن روى صحيحي البخاري ومسلم والسنن عن علماء المغرب.

محمد بن المنذر المراكشي (نزيل حلب المتوفى عام 628 هـ درس الحديث ببغداد.

- يونس بن طربية القصري (من قصر كتامة بالمغرب) تولى قضاء طرابلس الغرب وولي التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641 هـ.

- الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام بن فتح الغماري المغربي نزيل القاهرة (المتوفى عام 712 هـ)، وهو آخر المسندين من رجال الحديث الذين بلغوا درجة الرسوخ والتمكين وقد أخذ عنه أبو حيان والذهبي والسبكي ونوه به ابن حجر.

- محمد بن سليمان المراكشي الصنهاجي من شيوخ الاسكندرية ومن المحدثين والمسندين بمصر (توفي عام 717 هـ).

- أحمد بن المواق التجيبي الفاسي (المتوفى عام 725 هـ) الذي استظهر الموطأ بمصر فضرب شيوخ المالكية الطبول على رأسه إشادة وتنويها.

- محمد بن سعيد الرعيني الفاسي المسند رحل إلى المشرق وأخذ عن أعلامه (توفي عام 787 هـ).

- محمد بن علي بن عبد الواحد بن النقاش شمس الدين أبو أمامة الدكالي المصري (763 هـ) ولده هو أبو هريرة عبد الرحمن صاحب ابن حجر العسقلاني.

- يحيى بن عبد الله الزرهوني (المتوفى عام 773 هـ) أقرأ الحديث في (المصرغتمشية) له تخاريج.

- محمد الدقاق الدغمي السلاوي الذي قام بتدريس الحديث في المدينة المنورة أكثر من عشر سنين وكان معظما عند ملوك الشرق وخصوصا السلطان العثماني الذي كان يوجه إليه جائزة سنية في كل عام وممن صحب ابن دقيق العيد يحيى أبو زكرياء الدكالي الحافظ.

- محمد بن موسى بن علي أبو البركات المراكشي الحافظ (823 هـ) يعرف بابن موسى هو سبط العفيف اليافعي. أخذ الحديث عن الولي العراقي وابن عرفة وابن حجر الهيثمي ولم يكن له بالحجاز نظير في حفظ المتون والحديث جال في الشام ومصر واليمن حيث اظهر امتيازا في الحديث له :

1) مختصر في علوم الحديث (كابن الصلاح).

2) شيء على نمط الموضوعات لابن الجوزي.

3) موافقات لأصحاب الكتب الستة (دالة على سعة مروياته).

- شريفة بنت عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الفاسي محدثة توفيت بمكة عام 882 هـ سمعت من الزين المراغي المسلسل وغيره وأجازها ابن الكويك وعائشة ابنة عبد الهادي وجماعة.

- رضوان الجنوي شيخ القصار (المولود بفاس والمتوفى بها عام 991 هـ) كان حافظا راوية وهو آخر المحدثين بالمغرب أخذ عن عبد الرحمن سقين عن القلقشندي وابن فهد والسخاوي وكلهم عن الحافظ ابن حجر العسقلاني).

- عبد الله بن محمد الوردي المراكشي له رحلة للمشرق سمع الحديث وله سند صحيح كان حيا عام 999 هـ).

أحمد المقري خطيب جامع القرويين وصاحب نفح الطيب (المتوفى عام 1041 هـ) الذي تصدى لتدريس الحديث النبوي في دمشق ومصر. وقد كان لإدريس العراقي الفاسي (المتوفى عام 1183 هـ) فضل على محدثي مصر حيث استدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة آلاف وذلك في كتابه «فتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير» وكان سيدي عمر الفاسي يقول إنه احفظ من ابن حجر وقد ورد على المغرب محدثون مشارقة منهم محمد صالح بن خير الله الحسني الرضوى السمرقندي الذي قدم إلى فاس واتصل بعمر بن محمد بن المكي. وزار المغرب الأقصى مرتين (1287 هـ و1297 هـ) مسند المدينة المنورة علي بن ظاهر الوتري (المتوفى عام 1322 هـ) وهو الذي أحيا موات الرواية بالمغرب وأنعشها بالمشرق وأخذ الحديث عن قاضي فاس محمد بن عبد الرحمن العلوي وقاضي مكناس المهدي بن الطالب بن سودة وعن جعفر بن ادريس

الكتاني وعن العربي بن داود الشرقاوي وعن مسند زرهون محمد الفضيل بن الفاطمي الإدريسي وعن مسند الجزائر علي بن محمد ويرجع فضل الشهرة الواسعة التي حظي بها ابن حجر في المغرب إلى شرحه لصحيح الإمام البخاري مما حدا كافة العلماء إلى إجلاله والاستناد إليه والثقة به في رواياته وكان الناس يتركون بنسخ كتبه وقد كانت خناثه بنت بكار المعافري زوج سلطان المغرب المولى اسماعيل العلوي تكتب معلقة وشارحة على هامش الاصابة لابن حجر كما كتبت فاطمة بنت أحمد زويتين الفقيهة بخطها نسخة من صحيح الإمام البخاري في خمسة أجزاء ولوعا منها بالحديث وقد برز كثير من النساء المغربيات في حفظ نصوص الحديث ومن بينهن رحمة بنت الجنان المكناسية زوج الحاج عزوز حافظة لأحاديث كثيرة من الصحاح ومن شيوخ ابن حجر :

- ابن أبي البركات الكمال المكناسي وقد نص ابن حجر على أن ابن أبي البركات هذا أجازه مكاتبة بحديث المصافحة.

- ابن شقراء شمس الدين محمد بن بدر الدين محمد بن يحيى السلاوي المتوفى عام 779 هـ.

- العالمة المغربية المحدثة عائشة بنت علي بن عمر الصنهاجي التي توفيت بمصر عام 739 هـ وقد أخذ عنها ابن حجر بواسطة تقي الدين محمد الفاسي (المتوفى عام 842 هـ) الذي قال فيه ابن حجر «وافقني في السماع بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت أوده وأعظمه وقد درس بالجامع الأزهر، وقد شارك النساء في رواية صحيح البخاري منهن العز بنت محمد بن علي بن أبي غالب العبدري التي روته عن أبيها وكذلك المحدثة أمة الرحيم بنت ضياء الدين عيسى بن يحيى السبتي أجاز لها جماعة من علماء القرن الثامن الهجري وأشاد بها ابن حجر، وقد أسس جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله «دار الحديث الحسنية» التي تشرفت بالتدريس بها ومنها منذ تأسيسها وقد تخرج منها عشرات الطلبة متخصصين في علوم القرآن والحديث، ومعلوم أن أول من بنى دار الحديث (التي كانت تعرف في الشرق بدار السنة) نور الدين زنكي (المتوفى عام 596 هـ) وقد تولى مشيختها الحافظ ابن عساكر إمام أهل الحديث في زمانه (توفي سنة 571 هـ)، وقد انقطع بدار الحديث الأشرفية محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد الشيخ تاج الدين المراكشي المتوفى عام 752 هـ، وليوسف بدر الدين بن عبد الرحمن البيباني المراكشي وهو والد بدر الدين الحسني (أصله من مراكش ولد في بيبان بمصر وتوفي بدمشق (1279 هـ) التحديث عن نازلة دار الحديث (400 بيت) وما رسماه حول العدوة الجنوبية الغربية للبحر الأبيض المتوسط، أي المغرب، يصدق على العدوة الشمالية، أي الأندلس، فلبقي بن مخلد القرطبي (276 هـ) كتاب في الحديث مرتب على أسماء الصحابة وهو صاحب التفسير الذي لم يؤلف مثله في الإسلام كما لابن حزم قاسم بن ثابت السرقسطي (302 هـ) «الدليل» في شرح غريب الحديث ولقاسم بن اصبغ محدث الأندلس (340 هـ) «مسند مالك» و«الصحيح على هيئة صحيح مسلم» ولابن الدباغ خلف بن قاسم القرطبي (393 هـ) «مسند حديث مالك بن أنس» ولابن الصفار يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي (429 هـ) «الموعب في شرح الموطأ» ولابن بطال بن خلف بن عبد الملك اليمني القرطبي (449 هـ) شرح على البخاري كما لابن عبد البر (463 هـ) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ولأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (474 هـ) «التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح» ولابن فتوح الحميدي محمد الميورقي تلميذ ابن حزم (488 هـ) «الجمع بين الصحيحين وتفسير غريب ما في الصحيحين» وللحسين بن محمد الغساني الميورقي (498 هـ) «التعريف بشيوخ البخاري» و«التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين» و«ما ائتلف خطه واختلف لفظه من أسماء رواة الصحيحين (عمومية 1211) (101 ورقة).

ولابن الدباغ أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز محدث الأندلس في عصره (546 هـ) «طبقات المحدثين والفقهاء».

ولابن بشكوال (المتوفى عام 578 هـ) (الغوامض والمبهمات من الأسماء، ويعرف بغوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة) ولابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي (581 هـ) «المعتل في الحديث» والجامع الكبير (في عشرين مجلدا) وغريب القرآن والحديث «والجمع بين الصحيحين» ولأبي بكر بيبش العبدري قاضي شاطبة (582 هـ) : «التصحيح في أخبار

الصحيح للبخاري» و«جمع الأحاديث التي زاد مسلم في تخريجها على البخاري» ولعلي بن أحمد بن يوسف الغساني الوادآشي (609 هـ) اقتباس السراج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج «ونهج المسالك في شرح موطأ مالك» ولعبد الله بن سليمان داود الاندي الحارثي الغرناطي (612 هـ) «تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي» (لم يكمله) وهو محدث يميل إلى الاجتهاد، وللزهري محمد بن أحمد بن سليمان الاشبيلي (قتله التتار عام 617 هـ) «البيان والتبيين في أنساب المحدثين» (في ستة مجلدات) ولابن خلدون أبي بكر محمد بن اساعيل الاونبي (636 هـ) : «المنتقى» (في رجال الحديث). و«المعلم بأسماء شيوخ البخاري ومسلم» (في مجلدين) أسماء شيوخ مالك و«علوم الحديث وصفات نقله» ولابن عسكر محمد بن علي الغساني قاضي مالقة (636 هـ) «المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي» (في القراءات والحديث) ولابن الطيلسان القاسم بن محمد القرطبي (642 هـ) «غرائب أخبار المسندين» و«الجواهر المفصلات في المسلسلات» ولابن عتيق محمد اللاردى الغرناطي (646 هـ) «أنوار الصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح» ولابن المزين أحمد بن عمر القرطبي المتوفى بالأسكندرية (656 هـ) «المفهم لما أشكل من كتاب مسلم»، و«شرح صحيح البخاري» وهو غير ابن مزين محمد بن ابراهيم الأودي تلميذ الإمام مالك وقاضي الجماعة بقرطبة (183 هـ)، ولابن فرح محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المتوفى بأسيوط عام 671 هـ (وهو صاحب التفسير) : «التقريب لكتاب التمهيد» «مختصر التمهيد لابن عبد البر» ولابن الملقن زين الدين عمر بن علي الوادآشي المتوفى بالقاهرة (804 هـ) «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» وللمنتوري محمد بن عبد الملك الغرناطي (834 هـ) «الأمالي في الأحاديث العوالي» كما برز في كل من تونس والجزائر محدثون أفذاذ منهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن الاشيري الصنهاجي الذي كان كاتبا لصاحب المغرب وأقام بدمشق وحدث بالموطأ وأسمع الحديث في حلب وتوفي شمالي بعلبك (561 هـ)، وعبد العزيز بن ابراهيم الجزائري الاباضي (1223 هـ) صاحب «كتب في أصول الحديث» وأحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني المحدث الذي صنف نحو مائة كتاب منها «نظم الخصائص النبوية» و«فتح الباري في شرح غريب البخاري».

تلك صورة مكبرة عما كان لأئمة الصحاح من ضلع وطيد في دعم الدراسات الحديثية خاصة، والعلوم الإسلامية عامة في المغرب العربي منذ أزيد من ألف عام فكانت إحدى الركائز التي وثقت الروابط بين الشرق والغرب في ظل الإسلام ولغة القرآن.

عبد العزيز بنعبد الله



# مُنَاقشَة وَرَدّ

للدكتور ممدوح حقي
(مقديشيو/الصومال)

الحديث عن الجريمة وكون التكافل الاجتماعي عاملا مهما في تخفيف وطأتها يجرنا حتما إلى بحث ارتكاس المجتمع ضدها بالعقاب. ولقد تطور البحث في الجريمة والعقاب مع الدراسات المعاصرة تطورا كبيرا وظهر علم جديد اسمه «علم الإجرام» وبرز معه علم آخر اسمه «علم العقاب» واتسعا اتساعا فيحا حتى أصبح التخصص في أحدهما أو كليهما يحتاج إلى جهد سنين طويلة.

عرف سذرلاند وكروسي الأمريكي علم الإجرام بأنه «العلم الذي يدرس الجريمة بوصفها ظاهرة اجتماعية» وعرفه تيسفورد الإيطالي بأنه «العلم الذي يشمل جميع الأبحاث والدراسات المتعلقة بالجريمة والمجرم والبيئة وأسباب الإجرام وأساليب الوقاية منها وقمعها» ولوحظ أن مشكلة الجريمة تزداد خطورة وتطورا مع الحضارة الحديثة حتى ليصح القول بأن هناك (انفجارا إجراميا) شبيه ما يقال «انفجار سكاني».

وأما علم العقاب (1) فيدرس معاملة المجرمين وعلاج المحكوم عليهم بالسجن مثلا فيبحثه كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن، ويتابع المجرم فيدرسه وهو تحت الإشراف الاجتماعي والاختبار والرقابة والعلاج النفي والتأهيل المهني..الخ.

وعرفوا الجريمة بأنها «الأفعال التي تخالف قواعد القانون أو المجتمع أو الأخلاق أو الدين..» ولوحظ أنها مع الانفجار الإجرامي تضع المجتمع أمام تكاليف باهظة جدا على الصعيدين الوطني والعالمي، وتشكو منها حتى الدول العظمى الغنية. ولهذا اتجه العلماء لبحث الوقاية منها قبل وقوعها وتخفيف حدتها والإقلال منها ما أمكن بنقل البحث من الاهتمام بالجريمة إلى الاهتمام بالمجرم. وظهرت النظرية القائلة بالتفريد، والنظرية النفسية والنظرية الاجتماعية... وأن المجرم إنسان مريض هو أجدر بالعلاج منه بالانتقام. ونظرية السجون المفتوحة، ونظرية العناية بالمجرم بعد خروجه من السجن وتأهيله مهنيا..الخ.

وتعددت المدارس الفقهية حول هذا الموضوع واشتجرت الآراء، فتشكلت مدارس فقهية كالمدرسة التقليدية

---

1) أبرز ما ظهر في هذا البحث «علم الإجرام المقارن» لهيرمان مانهايم (1970) و«علم الإجرام والعقاب» لجاك ليوتي من المعاصرين و«عقوبة الإعدام بين الإبقاء والإلغاء» لعبد الوهاب حومد (مجلة الفكر عدد 4 مجلد 7 عام 1977).

والمدرسة الجزائية، والمدرسة الوضعية، والمدرسة الجغرافية، والمدرسة السياسية، والمدرسة النفسية، والمدرسة البيولوجية، والمدرسة الاجتماعية...الخ.

وبرزت علوم جديدة في الإجرام كعلم الاجتماع الجنائي، وعلم الحياة الجنائي، وعلم التحقيق الجنائي، وعلم الإحصاء الجنائي، وعلم المورفولوجيا الجنائية، وعلم الجغرافية الجنائية، وعلم القضاء الجنائي، وعلم النفس الجنائي، وعلم الإجرام المقارن...الخ.

وتعدد وصف الجريمة فقيل : جريمة تأديبية، وجريمة مدنية، وجريمة أخلاقية، وجريمة دينية، وجريمة جزائية، وجريمة طبيعية، وجريمة مصطنعة (2)...الخ.

ورجعت أبحاث ويلابورتا الذي ظهر في القرن السابع عشر والعالم سيزار لومبروزو وتلميذيه أنريكو فيري وغارو فالو الذين ظهروا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. ودخل في الموضوع علماء نفسيون ليس لهم أي علاقة بالقانون أمثال : فرويد وأدلر ويونغ وما يزال العلماء في أخذ ورد حتى اليوم.

## الفقه الإسلامي والجريمة :

كيف يجد الفقيه المسلم نفسه أمام هذا الركام من الأبحاث المحدثة ليتخلص مقارنة تنتهي به إلى رأي واضح حول التكافل في المجتمع الإسلامي والتضامن عندهم ؟ قد يبدو لأول وهلة أن البحث صعب متراكب عويص وهو في الواقع كذلك، لكنه ليس حريراً على شوك. فالإسلام لا يعرف هذا التنويع المترف في البحث بل يبسط الأمور ـ كعادته ـ تبسيطا يجعلها واضحة مشرقة وفي متناول الرجل العادي، وذلك من مميزات الفقه الإسلامي وقدرته، ويعرف الجريمة ـ أي جريمة ـ بأنها «إتيان ما منعه الدين أو امتناع عما أمر به، أي إما أن تكون إيجابية بارتكاب الممنوع أو سلبية بالامتناع عن المأمور به، وما عدا ذلك فكله مباح. وغالبا ما تنشأ الجريمة بسبب اقتصادي كالحاجة الملحة والفقر المدقع. ولما كان البشر قد خلقوا متفاوتين فلا سبيل إلى التساوي المطلق فيما بينهم مهما حاولنا. ومن كاسر القوانين الطبيعية كسرته وأخضعته لقوانينها المرسومة بقدرة إلهية بالرغم منه. ووجد الإسلام أنه إذا حيل دون وقوع الجريمة بحائل وقائي، خفت حدتها إلى أدنى درجة، أما محوها من الوجود بتا، فيبدو أنه مستحيل عمليا ـ والأسباب عديدة وفيرة لا مجال لبحثها هنا، ووجد أن التكافل الاجتماعي خير وسيلة لتخفيف حدتها. وجاءت الحضارة الغربية بعده بأكثر من ألف سنة فتوصلت بعد جهود من البحث جبارة إلى ما عرضه الإسلام قبلها بعشرة قرون ببساطة ويسر ووضوح. وقبلت نوعا من التكافل شبيها به أسمته «التضامن الاجتماعي» لكن هذا التضامن لم يتوصل إلى ما كان مرجوا منه، وبدل أن تنقص الجرائم وتخف حدتها زادت مع التقدم الحضاري كما وكيفا، وأصبحت خطرا يهدد المدنية بالفوضى، والحضارة بالفناء، فما هو السبب ياترى ؟!

## الفرق بيننا وبينهم :

الفرق بيننا وبينهم أن ديننا أقام التكافل الاجتماعي على أسس أخلاقية تعززها عاطفة الرحمة وذلك ما افتقده الغرب حين أقام تضامنه الاجتماعي على القانون وحده وما يسنده من عقاب. فحين وصف القرآن الكريم الرسول الأعظم بأنه على خلق عظيم ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (القلم 4)، وبقول الرسول ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».. آمن المسلمون بأن حسن الخلق يحل كثيرا من المشاكل الاجتماعية بعيدا عن ضغط القانون وصلفه. فإذا أضيف إليه الصفة المميزة للدين الإسلامي وهي «الرحمة» أدركنا الفارق العظيم بين تكافلنا وتكافلهم، وتضامننا وتضامنهم. فالمسلم مسؤول عن نفسه وعن أسرته جميعا حتى الأحفاد والأسباط عند الحاجة. وعن أبويه وأجنحتهما (الأعمام والأخوال) وأولادهم، وعن آباء أبويه وأجنحتهم كذلك. ولا يشعر حامل هذه المسؤولية الشرعية بضغط على نفسه مادام يقوم بواجبه مؤمنا بأنه واجب شرعي وأخلاقي معا، وأن الرحمة فيه هي الأصل. ولا ينسى وهو يعطف على والديه أن يقول : ﴿**رب ارحمهما كما ربياني**

2 ) أبرز الجريمتين الأخيرتين بحث طريف للعالم غاروفالو الإيطالي، وناقشه فيهما العالمان دوركايم وليوتي والنقاش بينهم جميعا من أمتع ما يدرس ويبحث.

صغيرا﴾ (الإسراء 24)، وحين يصلح بين متخاصمين يرجو الرحمة من الله ﴿**فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾ (الحجرات 10)، وحين يتجه بقلبه إلى الله تعالى بالدعاء فإنه يطلب منه الرحمة ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة**﴾ (آل عمران 8). ووصف الله تعالى نبيه بأنه نبي الرحمة : ﴿**فبما رحمت من الله لنت لهم**﴾ (آل عمران 159). وكتب رب العالمين على نفسه الرحمة : ﴿**فقل سلام عليكم، كتب وبكم على نفسه الرحمة**﴾ (الأنعام 54)، فالرحمة هي الصفة المميزة للإسلام. ولهذا ينفذ المسلم التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي من خلال الرحمة والخلق الحسن، ويقبله ويطبقه من غير ضجة ولا تأفف ولا مشاكل.

والذي نراه أن إثارة عاطفة الرحمة في نفوس المؤمنين بهذا العصر لا تكفي وحدها بسبب الفساد الأخلاقي الذي استشرى ببلاد المسلمين ومزق مجتمعهم. فلابد من عمل تنظيمي دقيق يقوم به المسؤولون المخلصون مقتدين بالخطط التنظيمية التي سبقنا الغرب إليها. وسيبقى المجتمع الإسلامي - على أي حال - هينا وأقل اجراما من مجتمعهم، لأن ما بناه الدين خلال العصور الطويلة وأقامه على الزمن المديد، وطبقه المسلمون خلال أربعة عشر قرنا لا يمكن أن يتزعزع بالسهولة التي يحلم بها الأعداء في الخارج وفي الداخل.

ولقد ورد لفظ «الرحمة» ومشتقاته في مختلف سور القرآن الكريم (330 مرة) والمسلم الذي كررها حتى تشبع بها من خلال إصرار القرآن الكريم عليها وتأكيده إياها، ولا يفتح صلواته إلا باسم الله الرحمن الرحيم، ولا يبدأ عملا مهما كان صغيرا إلا بترديد البسملة... انطبعت الرحمة في نفسه وانعكست على كل علاقاته المدنية وصلاته السياسية، وأثرت حتى في تحركاته العسكرية وحروبه وشهد له بذلك ألد أعدائه وقال الفيلسوف الاجتماعي الكبير غوستاف لوبون : «ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب» والعرب هم طليعة الجيوش المسلمة حتى أواخر العهد العثماني.

أما الغربي - والغرب جله مسيحي - الذي يفتتح صلاته بقوله : «أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك وليأت ملكوتك كما في السماء كذلك على الأرض» فهو لا يرى في الله إلا صاحب سطوة وسلطة وملكوت. واليهودي الذي يفتتح صلاته بقوله : «ادوناي ايلو ايلو الوهينو مليخ هاعولام..» (يا سيدي ياإلهي ياملك العالم القاهر) فهو لا يرى في إلهه إلا القوة والقهر والجبروت.. وانعكس التأثير الديني على كليهما فكانا جبارين في جميع علاقاتهما مع الآخرين.

المسيحي الذي استعمر العالم بالقهر والسطو، واليهودي الذي ارتكب الإجرام والتعذيب والفتك حتى إنه لم يكف عن قتل الأنبياء الذين جاؤوا لهدايته : ﴿**ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق**﴾ (البقرة 61 / آل عمران 21) أليس منهم يوشع الذي وقف الشمس في قبة الفلك (3) وأمرها ألا تغيب حتى ينجز ما بدأ به : أحرق مدينة أريحا وسوى بنيانها بالأرض وقضى على كل ذي حياة فيها من إنسان وحيوان ونبات ولم يرحم عجز الشيوخ، ولا ضعف النساء ولا براءة الأطفال، أليس منهم رئيس وزرائهم بيغن صاحب مذبحة دير ياسين بفلسطين ؟ أليس منهم وزير حربيتهم شارون صاحب مذبحة صبرا وشاتيلا في بيروت ؟ أليس المسيحيون مازالوا يطالبون بدم نبيهم الذي صلبه اليهود واليهود يفاخرون بذلك ؟!! أين هؤلاء وأولئك أمام الإسلام القائم على الرحمة والعطف ودام تكافله الاجتماعي هذا الدهر الطويل واستمر.

إن تكافلنا الاجتماعي مجاني وتطوعي، وتضامنهم لا يفيد منه إلا المشتركون في صندوقه كالمستفيدين بالتقاعدية يدفعون الثمن مسبقا أو يقتطع من مرتباتهم طوال حياتهم، ويعاملون حين حاجتهم إليه معاملة قانونية لا أثر فيها للخلق اللين ولا اللطف. ولنأخذ مثالين صغيرين لتوضيح البحث :

1 - اللقيط : يتكفل به بيت المال - إذ لا ذنب له - فيوجد له مرضعة، ثم تتبناه أسرة وتحضنه برحمتها فيعيش

3 ) قال أحدهم : «أراد يوشع بن نون أن يوقف الشمس في قبة الفلك، فوقفه غاليله عند حده».

إنسانا سويا مع أبنائها لا يشعر بغربته عن المجتمع، بينما يقذف اللقيط عندهم إلى دار اللقطاء يعيش مع أمثاله بين أيدي من يسمونهم ملائكة الرحمة وهن في الغالب يمثلن العطف تمثيلا - وليس من بكى من حرقة كمن تباكى - فيشب وفي نفسه حقد تثيره عقدة النقص فيندفع إلى العناد ومعاكسة المجتمع وإثارة الفوضى وارتكاب الإجرام ما استطاع إلى ذلك سبيلا. ليس هذا رأينا بل هو رأي علمائهم وباحثيهم الاجتماعيين والأخصائيين. ما ذلك إلا لافتقاره إلى الرحمة. والملاحظ أن عدد اللقطاء في ديار الإسلام نادر، يكاد لا يذكر، وفي الغرب المسيحي يكاد عدد اللقطاء لا يحصى من كثره، وهو عندهم شائع فاش، ولا تخجل الأم أن تحمل من أب غير شرعي وتقذف بوليدها إلى دار اللقطاء وكأنه عمل جد طبيعي !!!

2 - القتل : في القرآن الكريم : ﴿**ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**﴾ (المائدة 35)، فالمسلم الذي يرتكب جريمة القتل ويحكم عليه بدفع الدية، ويعجز عن دفعها يقف المجتمع إلى جانبه ويساعده على التكفير عن ذنبه بالندم والتوبة فيدفع الثمن عنه ويسمونها «العاقلة» ويكون ذلك من أقرباء القاتل في الغالب فإذا لم يكن له عاقلة دفع الدية عنه بيت مال المسلمين !!! وذلك من أنبل مواقف التكافل الاجتماعي إذ يكسب المجتمع رجلا نادما تائباً يسعى من جديد ليعيش شريفا محترما. وكذلك يحدث عند وجود قتيل مجهول القاتل، يؤدي ديته بيت المال لشعور الدولة الإسلامية بأنها مسؤولة عن حياة مواطنيها.

أما في بلاد الغرب، ففكرة الدية فيها آيلة إلى الزوال، والقاتل يحبس عددا من السنين يُعَيِّنها القانون حين يعجز عن دفع ما يسمونه «التعويض» ولا يتقدم لمساعدته أحد ليغسل قلبه بالندم والتوبة. ولو أن له في صندوق التضامن الاجتماعي مال، فلا يسمح له بصرفه في هذا الوجه !!

ومجال المقارنة بين التكافل في الإسلام والتضامن الغربي واسع جدا لا يكفيه مؤلف واحد مها جهد فيه، كيف تقارن مؤسسة الحسبة والتعزير وقاضي المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتربية الوقائية بمنع أسباب الجريمة المباشرة كالخمر والزنى والربا... وكيف نجد لها جميعا في قوانينهم ما تقارنها بهذه ؟! ولا أجد ما أختم به هذا البحث أجمل ولا أدق من كلمة الأستاذ محمد الشدادي الأمين العام للمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي (نشرت في العدد الرابع من مجلة المنظمة (1982) فهي على إيجازها واضحة بينة قال :

«من هنا كان التشريع الإسلامي يحتل مكانة متميزة حتى بالنسبة لأحدث التيارات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، فهو يجعل من الإنسان غاية ومن الدفاع عن حقوقه مطلبا، ومن توفير الضمانات الكافية له مطمحا. وإن كثيرا من فقهاء القانون الجنائي الوضعي، يتجهون في الوقت الحاضر نحو المناداة بتبني نظام للتجريم والعقاب شبيه بنظام التعزير الذي أخذت به الشريعة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. وينادون بالمرونة في قاعدة (لا جريمة ولا عقوبة إلا بقانون) وبالخروج عليها بالقدر الذي لا يجعل التشريع الجنائي نصوصا جامدة أو مجردة من المرونة اللازمة لمواجهة الإجرام الذي يزداد تفاقما وانتشارا كلما تقدمت الحضارة وتعقدت الحياة الاجتماعية».

## خلاصة البحث :

لقد اوجزت البحث في التكافل الإسلامي (الاجتماعي) إيجازا أرجو ألا يكُون قد تطرق إليه الخلل ومع ذلك فقد جاء طويلا ضافيا، وكان حقه أن ينهض لبحثه مؤلف كامل، بل المؤلف الواحد قليل. وإذا كنت ألخصه هنا فإني أضغطه ضغطا شديدا وأعده إيجاز الموجز، ويمكن عرض الخطوط العريضة التي رسمت، والفكرة المتباينة التي اندرجت تحتها على النحو التالي :

1 - إذا كان تشريعنا مثاليا،فلماذا نحن في مؤخرة الأمم ؟! لعل من أهم الأسباب ابتعادنا عن جوهر ديننا وتعلقنا بالمظاهر والقشور.

2 - ليس ديننا دينا تعبديا تراجعيا يربطنا بالمسجد وحده، بل هو دين يرفع إحدى يدينا إلى السماء فيربطنا بالله، ويشد الأخرى نحو الأرض ليربطنا بالمجتمع. ولهذا نعد حركة مصطفى كمال الذي فصل الدين عن الدولة حركة تراجعية ممقوتة، ونرى في كتاب علي عبد الرازق وأمثاله وأتباعه خطأ جسيما ومحاكاة مؤسفة للمجتمع

النصراني الغربي، وتبعية حزينة لأعداء الإسلام من المستشرقين.

3 ـ وديننا يجعل منا مجتمعا حقيقيا واقعيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. مجتمعا متكافلا متضامنا ينطبق عليه وصف العلماء للمجتمع المتكامل، بينما لا نرى في مجتمعات الآخرين إلا تجمعات فمحاكاتها واتباعها خطأ جسيم. لدينا كنوز فلماذا ندفنها أو نقذفها تحت الأرجل ونتحلى ببهارج سوانا من الناقصين.

4 ـ ومجتمعنا ليس مجتمعا مغلقا كاليهودية والبرهمية وما شابههما، بل هو مجتمع مفتوح على العالم يأخذ ويعطي، ويتعامل بصدق وأمانة وشرف.

5 ـ والتكافل في الإسلام صيغة تدل على المشاركة، يبتدئ الإسلام فيها بكفالة المسلم قبل أن يولد، ويعايشه مساعدا معاونا في ولادته وطفولته، ويفاعه وشبابه.. حتى إذا أصبح رجلا تام الرجولة طالبه برد الجميل فحمله دفع الصدقة والزكاة للفقراء والمعوزين وبالإنفاق فوق ذلك للمحتاجين قال تعالى : ﴿**وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾ (الذاريات 19) وبدأ بأبويه ثم بالأقربين ثم بالأيتام. وقد يطالبه فوق ذلك كله بما يحتاج إليه ليصرف في حاجة اجتماعية مشروعة. وقد يطالبه بدمه للجهاد في سبيل الله، والدفاع عن حوزة الديار الإسلامية.

6 ـ والإسلام يعتبر المال مال الله، ونحن موكلون عليه وكالة نستخدمه في سد حاجاتنا وحاجات سوانا في مجتمعنا ضمن إطار شرعي منظم.

7 ـ ويقوم التكافل الاجتماعي على قاعدتين هما : الواجب الشرعي، والرحمة الأخلاقية، فيقف في وجه الفقر المدقع، والتعاسة الشقية كالسد يمنع كثيرا من جرائم الحقد الطبقي الناتجة ـ في الغالب ـ عن الحاجة الشديدة.

8 ـ وهذا فرق بيّن بين تكافلنا الإسلامي وتضامنهم الاجتماعي الذي لا يفيد منه إلا المشتركون في صندوقه، وهو قائم على القانون، خاليا من أي رحمة، فهو كمن يقوم على رجل واحدة لا يلبث أن يقع.

9 ـ الجريمة ظاهرة اجتماعية برزت مع أول تجمع بشري قبل أن تتكون المجتمعات، وما زالت تنمو وتزداد وتكسب من تكنولوجيا الحضارة حتى أصبحت خطيرة جدا، وإلغاؤها في حكم المستحيل، لكن يمكن تخفيف وطأتها وتقليل عدد المجرمين إلى أدنى حدّ ممكن. إذا بث الرحمة الإسلامية في قلوب الناس، وقام التكافل الاجتماعي على الواجب الشرعي والرحمة معا.

10 ـ لم ندّع في خلال بحثنا دعوى، ولم نعرض فكرة أو نبدي رأيا إلا أيدناه بآية كريمة أو حديث شريف، ونادرا ما لجأنا إلى غيرهما، وبينا أن النظريات الإسلامية في التكافل الاجتماعي نبيلة غاية في النبل، وأشرنا في آخر المقال إلى أن هناك اتجاها لدى فقهاء القانون الجنائي نحو الأخذ ببعض تشريعاتنا فيما يتعلق بهذا المقام. وختمناه بكلمة أمين عام المنظمة الاجتماعية فهو بحكم مركزه الرفيع، وصلاته العربية والدولية، واشتراكه في الندوات والمؤتمرات، أعلم العارفين بما يدور فيها، وأجدر أن تؤخذ كلمته مرجعا في هذا الموضوع وأشرنا في النهاية إلى ضرورة تجديد النظر بطرق التكافل التطبيقية، وإيجاد سند قويّ له Sanction وإلا بقي في حكم النظريات.

## من موضوعات العدد القادم:

- في رحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
- الأسدي شاعر الوحدة الإسلامية في الأندلس
- المنتقى من أدعية المستغيثين بالله.

# نعم لوحدتنا الشماء

للشاعر الأستاذ محمد الكبير العلوي

من العروبة قاصيها ودانيها ... لوحدة المغرب السامي تهانيها
هذا لعمرك ركن من عقيدتها ... قدما ومرمى عظيم من مراميها
ما أمة المجد إلا أمة شرفت ... واعتز حاضرها الزاهي بماضيها
سما بها الحسن الثاني فحقق ما ... كانت تتوق إليه من أمانيها
وقادها القائد الليبي متجها ... حيث العلا فانتشت في زهوها تيها
وسادها الود والعهد الوطيد وقد ... «أضحى التداني بديلا من تنائيها»
واستقبلت عهدها الوضاء وابتسمت ... «وناب طيب لقاها عن تجانيها»
يا أمة المغرب الحر الكبير ألا ... هبي لأمجادك الغراء تحييها
ما نحن إلا أشقاء ستجمعنا ... بين الورى وحدة لا يمترى فيها
لنا قلوب وأحشاء وأفئدة ... على المحبة والأشواق نطويها
نعم نعم نحن أولى أن نشيد بها ... وأن ترددها الأكوان توجيها
وأن نباهي بها جاراتنا شرفا ... فلا جناح علينا إذ نباهيها
نعم لعهد جديد طالما شغفت ... به العروبة حلما من مرائيها
نعم لوحدتنا الشماء مشرقة ... بيضاء غراء في أسمى معانيها
حسب العروبة أن تسمو بعزتها ... فخرا وتشرق في الدنيا معاليها
لها جناحان قد قاما لنهضتها ... سيبلغان بها أقصى مراميها
هذي طرابلس الأمجاد عالية ... أعلامها تتسامى في مراقيها
وذا رباط العلا والفتح تغبطه ... كبرى العواصم دانيها وقاصيها

قد أسسا وحدة شماء شامخة ... إلى العلا تتحدى من يناويها
فعاهل المعجزات الغر رائدها ... وقائد الثورة العصماء حاميها
قطبان شقا طريق النصر واضحة ... فليقف نهجهما أهل العلا فيها
وبينا كيف تبنى المكرمات ألا ... فليقف نهجهما الوضاء بانيها
وقائدان أعادا للعروبة ما ... كانت تناسته قدما من مباديها
أولى لها ثم أولى أن تجلهما ... قدراً وعزاً وإكباراً وتنويهاً
كانت تتيه على الدنيا بوحدتها ... فخراً وتسمو فلا شعب يساميها
لا شعب في هذه الدنيا يفاخرها ... بين الشعوب ولا ماض كماضيها
أيام فاضت على الدنيا جحافلها ... وجاوز البحر والأدغال حاديها
جيوشها السمر في الأرجاء ضاربة ... والخصم مندهش ذعرا يداريها
ونوقها في مراعي الغرب سائمة ... أيام كانت أوروبا من مراعيها
حتى انتهت لصراع قاتل وغدت ... تقصي الشقيق وتدني من يعاديها
كانت لها رتبة تسمو ومنزلة ... يعلو على قمة الجوزاء دانيها
فاستنزلت مجدها الأعلى بفرقتها ... وحطمت صرحها السامي بأيديها
عق الأب الإبن فيها وهي شاهدة ... يقرر الزور والبهتان ناديها
وحارب الجار فيها جاره حنقا ... فلا حقوق له فيها يراعيها
ولم تفدها من الأيام تجربة ... ومشكلات عويصات تعانيها
ولم تبال بغارات تباكرها ... من الأعادي وويلات تقاسيها
هذي تقاطع هذي وهي منشدة ... بيتا أشاعته تمثيلا وتشبيها
إن السلامة من سلمى وجارتها ... أن لا تمر بواد حول واديها
وتلك تهدي إلى هذي شتائمها ... آن الهدايا على مقدار مهديها
كم من بواعث نادتها لوحدتها ... وكم دواعي شتى من دواعيها
وكم خطيب أجاد القول يندبها ... وشاعر هام مفتونا بواديها
حتى إذا استيأس الداعي وأسلمها ... للواقع المتردي في مهاويها
وقال كل زعيم في محافلها ... علي نفسي أحميها وأكفيها
إني أرى أمتي بالخلف قد رضيت ... فكيف لا أرتضي ما كان يرضيها
قامت لها همتا قطبين دأبهما ... أن ينقذاها وإن جلت دواهيها
وأن يقودا مسيرات النضال بها ... وأن يضيئا شموسا في دياجيها
وأن يشقا طريق النصر ملحمة ... وقصة لا يزال الدهر يرويها
فقام خلفهما شعب توحده ... بواعث ودواع لست أحصيها
مولاي يا صانع الأمجاد يا ملكاً ... تأوي الشعوب إليه فهو حاميها

قدت المسيرات نحو المكرمات فما — في الخافقين مسيرات تحاكيها
في كل يوم فتوحات موفقة — ووحدة وانتصارات تواليها
فليسم شعب عظيم أنت عاهله — ولتعل أمة عز أنت راعيها
عبأتها لطلاب المجد فانتفضت — من البغاز إلى أقصى صحاريها
وحلقت في سماء العز شامخة — تعلو على قمة الجوزا روابيها

**محمد الكبير العلوي**

الدكتور عبد الهادي التازي
يكتب
"في تاريخ تازة"
اقرأ المقال في العدد القادم

# ابن العابد الفاسي

للأستاذ عبد الكريم التواتي

في الأحاديث الهامشية لمؤتمر أدباء العرب الثامن الذي انعقد سنة : (1972 م) بدمشق أثيرت، وربما لأول مرة، قضية حساسة تتعلق ببعض أسباب تفكك عرى الأدباء العرب، وأسباب انحسار مد الأدب العربي عبر عالمه، وتقاعسه عن مسايرة التيارات الواقعية حتى للبيئة التي ولد فيها، والتي كان يجب أن يكون صورة حية ناطقة ومجسمة لها، وعجز بالمرة عن مواكبة الحضارة العالمية المعاصرة، بل مواجهة تحديات آدابها : مجالا وأهدافا وانتشارا..

وكانت القضية المثارة هي فحوى السؤال الآتي : لماذا لا يقرأ الأدباء العرب الشرقيون أدب أخوانهم أدباء المغرب العربي الكبير، ليعرفوا إلى أي مدى يسهم هؤلاء الاخوان في معركة المصير التي تخوضها كافة الشعوب العربية، وإلى أي حد هم ملتزمون ثم ليتعرفوا بالتالي على اتجاهات هؤلاء الإخوان حتى فيما يتعلق بموضوع الأداء الفني، وبموضعهم بين التراث والمعاصرة.

وإذا كان حضور بعض أدباء المغرب الكبير هو السبب قطعا في طرح مثل هذا السؤال من طرف الإخوان الشرقيين الذين جوبهوا بهذا الحضور نفسه، والذي يعتبره أدباؤنا نحن المغاربة نوعا من الالتزام، مع القطع بأن جوابا شافيا ولو معنويا لم يكن له وجود، باستثناء دوامة من الآراء الطوباوية التي تبحث عن نفسها، فإن السؤال الذي نطرحه نحن ـ ونحن نحاول معالجة مظاهر الثقافة والفكر في المغرب عبر مراحله التاريخية، ومن خلال ما تبقى لنا من آثار رجاله، والشيء بالشيء يذكر فيشكر أو يحتقر ـ هو لماذا لا نهتم نحن الأدباء المغاربة أولا بتراثنا الفكري والحضاري لا القديم ـ وهو تراث ضخم دسم، ولا المعاصر، وهو ذو معطيات، من الإنكار للواقع، وصفها بأنها متقاعسة كلية عن مسايرة واقعنا المعيش ؟ أو على الأقل، لماذا لا يكون من بين اهتماماتنا الثقافية ؟ أو لماذا لا يأخذ حظا محترما من هذه الاهتمامات، لا في خصوص الدراسات الجامعية والأكاديمية وإنما أيضا في مناهجنا المدرسية، حتى لا ينفصم حاضرنا عن ماضينا بالمرة، وحتى لا ينعزل هذان عن الواقع الإنساني العام، لأن الاستعداد ـ وإن لم يكن فطريا لدى جميع شعوب الأرض ـ فإن الأصالة تحتاج إلى معاناة مستمرة، وتواصل الأزمنة، إذ ما كان لمجتمع يتعمد قطع صلاته بماضيه ـ ولا سيما إذا كان هذا الماضي مشرقا وضاء كماضينا ـ أن يحقق شيئا كثيرا في حاضره أو أن يطمح إلى أن يصبح شيئا مذكورا في مستقبله.

وإذا كان (الماهتا غاندي) محرر القارة الهندية بمعونة (علي جناح) و(محمد إقبال) مصيبا إلى أقصى حد، حين نادى بضرورة فتح النوافذ على العوالم الخارجية حتى يتجدد هواء البيت ويتكيف، فإن الاقتصار على ما تحمله هذه النوافذ الخارجية مع التفكير في هجر الدار وذكرياتها وتاريخ تأسيسها ومن أسسوها وتحملوا العرق، وبذلوا الدم

والتضحيات في سبيل ارساء قواعدها ورفع بنائها، ليس فحسب جهلا لقيمة الوطن أو المنبت والمنحدر لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم مهما يكن وضعها الاجتماعي - وإنما هو بالدرجة الأولى إنكار لأهم ميزات الأدب الواقعي.

أعني مؤثرات البيئة والمناخ، وبالتالي هو إنكار للمقومات الذاتية له. وللمجتمع الذي يصوره ويحاول بإيحاءاته وتوجيهاته الهادئة أو الصاخبة أن يطوره لما هو أحسن وأفضل، ثم هو أيضا تخل عن الالتزامية المنادى بها آنيا، وهروبا وانسيابا من الواقع المفروض.

ومن هنا التزمنا نحن - في دراساتنا لهذا الجانب من الحضارة الفكرية للأمة العربية، والمغرب جزء من هذه الأمة، وتراثها - تَناوُلَ خصوص أدباء المغرب وشعرائه، ومعالجة آثارهم ومخلفاتهم مع محاولة إبراز تأثيرهم في أحداث زمانهم أو تأثرهم بهذه الأحداث.

والتزمنا كذلك أن نتناول لا خصوص القلة المشهورين وإنما أيضا، وربما بالدرجة الأولى - أولئك المغمورين الذين تراكم على أخبارهم الطمى، وتحولت أضابير أخبارهم إلى خروم.

ومن هؤلاء هذه الشخصية الموحدية التي نحللها الآن محاولين عن طريق ما عثرنا عليه من آثارها القليلة جدا أن نعالج بعض مناحيها.

وهذه الشخصية هي شخصية أبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الفاسي... ونسبة ابن العابد الفاسية - أي إلى فاس - لا تعني قطعا انتماءه إلى أسرة الفاسيين الفهريين، إذ لم تكن ظهرت بعد الأسرة الفهرية الفاسية، ذات المجد العلمي على مسرح الأحداث، وإنما تعني هذه النسبة أن مسقط رأس الرجل أو منحدره هو مدينة فاس، تماما كأبي عشرة الفاسي قاضي الجماعة بمراكش لعهد مترجمنا، وقد تكون هذه النسبة هي الجامعة بين الرجلين والسبب الذي من أجله دعا القاضي أبو عشرة ابن العابد لتقلد مهام عقد الشروط والكتب عنه.

والمراكشي صاحب الاعلام لدى تقديمه ابن العابد الفاسي، لا يشير لا إلى تاريخ ولادته، ولا إلى تاريخ وفاته، وإنما يشير إلى أن الرجل (وفد على الأندلس في حدود الثلاثين وستمائة هجرية 630 هـ) مما يثبت عصر المترجم له أي أنه العصر الموحدي وأنه ممن نشأ في عنفوان دولتهم وزاهر عهدها.

ويشير المراكشي بعد ذلك إلى كيف أن ابن العابد الفاسي لدى وفادته على الأندلس (ارتسم بالكتابة عن الأمير أبي عبد الله بن يوسف بن نصر بن الأحمر).

ومن المؤكد أن الوصول إلى منصب من هذا القبيل يتطلب نضجا عقليا وتجربة غير قليلة وعمرا مناسبا الشيء الذي قد يدفعنا إلى الظن بأن صاحبنا هو من مواليد العشر الأوائل من سنوات القرن السابع الهجري...

أما متى غادر فاسا في اتجاه الأندلس، وما هي الفترة التي قضاها هناك، وهل توجه ابتداء برسم الكتابة عند الأمير ابن الأحمر ؟ أم لتلقي العلم كما كان شأن جل علماء المغرب لذلك العهد ؟ أم برسم الرباط والجهاد وقد كانت بلاد الأندلس يومئذ تعد دار رباط، وكان من ألزم ميزات العلماء لن يحجوا ويعتمروا ويعتكفوا ويرابطوا في الثغور برسم الجهاد، كل هذه الأسئلة لا يوجد عنها جواب محدد شاف.

أما من هم شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والرواية، ومن هم تلامذته الذين تلقوا عليه ونقلوا عنه إلى غير ذلك من الأمور التي اعتاد مؤلفو كتب الطبقات أن ينصوا عليها فهذه أشياء أيضا لا نجد عنها أي جواب.

إلا أن ما سبقت الإشارة إليه من أن ابن العابد (تلبس حينا بعقد الشروط والكتب عن قاضي الجماعة بمراكش أبي الحسن بن محمد بن أبي عشرة الفاسي ومن توليه الكتابة للأمير ابن الأحمر، وما ثبت أنه كان مقصود الأدباء والشعراء يوجهون إليه إنتاجهم، التماسا لتشجيعه لهم، كما حدث لابن عبد الله الجنان، الذي فاتحه بالرسالة العينية، أو يمدحونه بأشعارهم كما تثبت المراسلة التي تمت بينه وبين أبي القاسم عبد الكريم بن عمران، والتي مهد لها ابن عمران هذا بالأبيات الشعرية التالية وهي أبيات تؤكد ما نذهب إليه من تغلب الروح الدينية والتصوف على أدباء ذلك العصر وقد جاء في هذه الأبيات :

إذا الشعر وافى في شعار ابن عابد
تقاصر فيه الوصف عن حسن موصوف

سبى مهجج الرائين لألأ لؤلؤ
له فوق أجياد الاجادة مرصوف

ورق نسيما فانتشق لهبوبه
شذا ورق من جنة الخلد مخصوف

يولـــد في أهـل الـوقـــار سماعـــه
خفـوق اهتزاز مثلمـــا شطـح الصـوفي
لئن زان تـــــأليفي ببعض قريضـــــه
فقـــد تجتلي الحسنـــاء في خشن الصـوف

كل هذه الأمور تثبت :

أولا : إن الرجـل كان من حيث الـوضـع الاجتماعي منسوبا في زمرة الفقهاء، وإنه لـذلـك كان على درجة علمية عالية، أهلته لتقلد مهمة عقد الشروط وكتابة الضبـط لقـاضي الجماعة، خاصة إذا استحضرنا الأهلية المفروضة في هذا الصنف من الرجـال معهد الموحدين، حيث كان يشترط، لا التفتح الفكري والعقلي، مـع القـدرة على استنبـــاط الأحكام من الكتاب والسنة فحسب، وبما يتساوق والوضع العـام ـ وإنما كان يتطلب بعد توفر كل ذلـك وفرة التضلع الواسـع والكافي لمعرفة عقائد القوم وأسس مذهبهم الكلامي.

ثانيـا : إن الرجل كان ذا اتصال بـالسيـاسـة والشؤون العامة، إذ مهمة الكتابة للأمراء في تلـك العصور، كانت تعني الكون على أهبة تقلد المهام الوزاريـة، بل كانت هي ومهمة الوزارة سواء إذ على أساسها يقع الاختيار على من ينصبون في مراكز الوزارات.

أمـا منحى تفكير الرجـل ثقـافيـا، ومـوقفـه من الأداء الفني، فقد تعطينا الجذاذات المتبقية من آثاره ـ مع ظفافتها ـ صورة تقريبية عنها.

وهذه الجذاذات بصورة عامة لا تؤكد لنا بإطلاق صدق ما وصفه به صاحب الجذوة، حين تعرضه لـه من أنـه : (كان كاتبا محسنـا وشاعرا مطبوعا)، فعلى كتابته النثريـة ـ وكل مـا لدينا منها رسـالتـه التي رد بها على كتـاب أبي القـاسم عبد الكريم بن عمران المشار إليـه آنفـا ـ تبـدو صنعـة السجـع المتكلف، وربما كان ذلك تقليدا لأسلوب العصر، كما يلاحـظ عليه إيراد الغريب مع التلاعب بالألفاظ لمجرد لوكها.

وكنموذج لأسلوبه النثري نقتطف من تلك الرسالة هذه الفقرة : (أيها البحر الموهوب لفرادي الجواهر والتوام، والحبر اللعوب بـأطراف الكلام، وقيت عين الكمال، وبقيت محروس الجمال تتأنف لمن بارك في ارتياد البراعة، وتسبق من جـاراك بجياد اليراعة، وتتبختر من ملابس السعادة في موشى برودهـا، وتظفر من أوانس الآمـال المنقـادة بشهي برودهـا،... وصلتني رقعتك الخ).

وأما آثاره الشعرية ـ وكل ما لدينا منها مما عثرنا عليه نحن هو خمس قطع فتبدو عليها هي الأخرى مسحة التقليد للشعر الأندلسي في مراحل عهوده الأخيرة، تنـاولا وأسلـوبـا ومجـالا، من الإغراق في المحسنـات اللفظيـة، من تـوريـة، وطباق، وجناس، مع محاولة ادخال العناصر التجسيمية في الوصف دون اعتبار متزايد لرصف الكلمات.

وشعر العهد الأخير لدولة الموحدين يلاحـظ عليـه أنـه انحدر من قمته التي كان يتسنمها لعهد ابن هـانيء وابن حبوس والجراوي إلى مسـارب باهتة الألوان، معتمة الرؤيا، بل أوشك أن ينحصر ـ بعد أن انحسر مده في قوقعـة المـديح الممجوج والوصف المتكلف. كما غلبت على مظهره العام نغمة الغيبيات والتصـوف التي لم تبلـغ درجـة شعر ابن الفـارض أو حتى البوصيري.

ولعـل مرد هـذا الانحدار هـو الشعـور بـالكبت الـذي احسته ـ أو فرض عليها ـ طائفة المثقفين من الفقهـاء الـذين أرغمـوا ـ بعـد تثبيت الـوجـود المـوحـدي ـ على طرح أفكارهم جانبا، وعلى نبذ مـذاهبهم العقـديـة وراءهم ظهريـا، وإذ كان لا بد أن يتنفسوا فقـد التجـأوا إلى شعر الزهـديـات التـافـه، والتصوف الباهت، والكبت، مع الإغراق في فكرة مـا، غـالبـا ما يؤدي إلى الانفجار أو الإغراق في ضدها، إلى هـذه الفكرة، متى أحس التحرر منها.

وابن العـابـد الفـاسي كما يبـدو من خلال آثـاره التي بين أيدينا، عالج ـ بالإضافة إلى المـديح الـذي كان النوع الغـالب على شعراء تلـك العهـود ـ عـالـج الشعر الـذاتي في مجـالين : الـوصف والغـزل، وإن لم يبلـغ في واحـد منها درجـة ابن خفاجـة ـ مثلا ـ أو ابن هـانئ، ولا مرتبـة عمر بن ربيعـة أو صريع الغواني مسلم بن الوليد.

على أن حكمنا عليه بهذا قد يكون فيه بعض التحـامل، إذا قدرنا ـ وهذا ما يحدث الآن ـ أن الكثيرين من المشتغلين بـالشعر في شرخ شبـابهم وعنفوان حيـاتهم وأوائـل امتهـانهم للكتـابـة : نثرا أو شعرا، يحاولون ـ متى تقـدمت بهم السـن ـ واحتلوا مراكـز لهـا أهميـة في نظر مجتمعهم تفوق أهميـة الأدب والشعر، الابتعاد عن هذه المجالات، وقد يتملصون ممـا قـد كان سجـل عنهم في مبـدأ حيـاتهم تلـك، ويتحـامى الكثيرون من هؤلاء أن ينسب إليهم شعر ما إطلاقا، وخـاصـة الشعر الغزلي منه.

وهذا الموقف من مثل هؤلاء كان أحد الأسباب المهمة والرئيسية في ضياع الكثير من آثارنا الأدبية، وحتى لبعض الذين ما يزالون يعيشون الآن بيننا. وأروع ما سجل عن هذه الظاهرة أو من أروعه، ما كتبه محمد بن الطيب العلمي في مقدمة كتابه (الأنيس المطرب فين لقيته من أدباء المغرب) حيث قال : «قيدت مائة من الرجال، وأزمعت أن أبيض بهم غرر الكتاب والاحجال، فلم أجد معي شيئا من أنبائهم، ولم أرم إلا بسهام الخيبة من أبنائهم، فآثرت الاختصار، وعلمت أن جنة تلك الآمال أصابها الإعصار، واقتصرت من الرجال على المشهورين والجمهور، وأطلعت فيه من الأهلة بعدد الشهور». ويعني اثني عشر أديبا. فابن الطيب العلمي كان - وهو يهم بوضع كتابه يريد أن يختار لمائة ممن يعرف من الأدباء، ولكن عاقه عن ذلك ضياع الآثار، وقلة ما يتوفر عليه ممن هم في مرتبة الاطلاع من أخبار، وبمثل هذه الأسباب ضاع أكثر تراثنا. فهل ما قاله المرحوم الأستاذ (حجي) الذي كان كتب مرة في جريدته (المغرب) عن بعض شبابنا المعاصرين يصفهم بأنهم يعرفون كل شيء عن أوروبا والعالم الغربي ولا يعرفون البدهيات عن بلادهم، هي قالة ما تزال صادقة مطبقة فينا وعلينا ؟ وبعد فما هي آثار ابن العابد الشعرية ؟

وفي هذا المجال نجد لابن العابد في الغزل قطعتين، وأخريين في الوصف، وخامسة في المديح. والقطعة الأولى من غزله هي عبارة عن بيتين اثنين وفي وصف اخوين وسيمين، وقد جاء فيها:

في ابني محمد - إن نظرت - عجائب
اخوان : ظبي احور وحوار

فمن الجمال بوجهه ذاك منائر
ومن الجمال بظهر ذاك أثار

أما القطعة الثانية من غزله فقد جاء فيها :

وشادن في القلب مرتعه
مرهف القد أهيف الخصر

نشوان من خمر مقلته
فما تفيق أعطافه من السكر

رماه قوم بالنقص حين غدا
يزري جمالا على سنا البدر

قالوا سواد بدا بمبسمه
وما عهدنا السواد في البدر

فقلت ما ذلكم بعائبة
كفوا فعندي حقيقة العذر

حبة قلبي رأت مقبله
فأفلتت من جوانح الصدر

وارتشفت خمر ريقه فسرى
سوادها عند ذاك في الثغر

ثم ثوت فوقه مخبرة
من عابه كنه ذلك الأمر

أما قطعتاه الوصفيتان، فقد جاء في إحداهما، وهي تلك التي يصف فيها شاربا رعف - وصاغ ذلك في بيتين -

ومهفهف البدر حسن جبينه
وليانع الأغصان مائس عطفه

لما أراق دمي، ولاح بخده
أجراه - قصد إغاظتي - من أنفه

أما قطعته الوصفية الأخرى، فقد وجدت مبتورة، وقد سلم من البتر هذه الأبيات، ثم هي في وصف الحمام، يقول فيها :

زبرجد ضم على لؤلؤ
صاغها منكب القطر

فاجتمعت أطعمة، حق من
اعطيها، الاقرار بالشكر

فلم نزل نجهد في ضرها
حتى اراحتنا من الضر

وحين ضم الليل أذياله
وانتشرت ألوية الفجر

فقلنا لبيت حرج مظلم
كأنما ادرج في قبر

تلوح في اقبائه أنجم
نقيضة للأنجم الزهر

تبدو نهارا فإذا ما بدا
جنح الدجى غارت ولم تسر

ينا طيبه ليلا ويا حسنه
صبحا، لقد حاز أسنى العمر

أما مجال المديح، فلم نعثر ـ فيا بين أيدينا من مراجع ـ من آثار الرجل على غير هذه الأبيات التي وردت تمهيدا للرسالة الجوابية التي رد بها صاحبنا على رسالة أبي القاسم بن عمران المراكشي، وهي أبيات تشكو من تكلف الصنعة ما يبعدها عن شعر الرجل الذي أوردنا نبذا منه قبل، جاء في هذه الأبيات :

إذا قيل : من رب القريض الذي له
يدين ؟ فقل : عبد الكريم بن عمران
حباني بروض من نتيجة فكره
يروق به للنظم والنثر زهران
ونزهني في خطه وبيانه
فن سامع مصغ إليه ومن ران
كأني به فخرا تهنأت لبسه
ومن لبس أثواب الإجادة أعراني

وبعد، أفلا يجب ـ ونحن كما قال أحمد شوقي الشاعر المصري :

(أمة تنشيء الحياة وتبني
كبناء الأبوة الأمجاد ؟)

إن نعمل على إحياء تراثنا وإن نقض عن أضابيره وخرومه الغبار ؟ ونستلهم من بعض أبعاده الدروب التي سلكها أولئك الرواد الأولون، حتى نتجنب الزلل ونتعرف أكثر إلى مواقع أقدامنا ماضيا وحاضرا واستقبالا ؟ وهذا أقل ما يجب علينا تجاه أولئك الأجداد.

فاس : عبد الكريم التواتي

# أخطاء مصحف مصر

## (4)

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

**4 ـ المواضع التي أخطأ فيها في باب الإثبات والحذف**

**1) ءاياتنا :**

وردت هذه اللفظة مرسومة في القرآن الكريم بدون ألف (محذوفة) إلا في سورة يونس فإنها وردت بألف (مثبتة).

قال أبو عمرو الداني في كتابه (المقنع في رسم مصاحف الأمصار) (1) : «... وكل شيء في القرآن من ذكر «ءاياتنا» فهو بغير ألف إلا في موضعين فإنهما رسما بالألف وهما في يونس : «مكر في ءاياتنا» (2) و«ءاياتنا بينات» (3)».

أما الأولى، أي التي في الآية 21، فقد رسمت صحيحة في المصحف المصري، وأما الثانية أي التي في الآية 15، فقد رسمت خطأ.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم الأموي الشريشي الشهير بالخرار موضحا هذا الأمر :

وأثبتت ءايـــاتنـــا الحرفـــانِ
في يـــونس ثـــالثهـــا والثـــاني

قال شارح «مورد الضمآن» مسعود بن محمد جموح مفسرا هذا البيت (4) :

«أخبر رحمه الله مع الإطلاق الشامل لشيوخ النقل باثبات ألف «ءاياتنا» الثاني والثالث في سورة يونس؛ وهما : «وإذا تتلى عليهم ءاياتنا قال...» و«إذا لهم مكر في ءاياتنا». واحترز بقيد مجاور الضمير عن نحو : «تلك ءايات الكتاب الحكيم» فلا تعتبر به الرتبة. وبقيد السورة عن الواقع في غيرها، نحو : «والذين كذبوا بئاياتنا» (5). وبقيد الرتبة فيهما عن الأول «والذين هم عن ءاياتنا غافلون» (6) والرابع (7) والخامس (8) والسادس (9).

1) المقنع، صفحة 21 من طبعة استانبول 1932 باعتناء Otto Pretzl.

2) الآية 21 وهي بتمامها : ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في ءاياتنا. قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾.

3) الآية 15 وهي بتمامها : ﴿وإذا تُتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ايت بقرآن غير هذا أو بدّله. قل ما يكون لي أن ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾.

4) «منهاج رسم القران في شرح مورد الظمآن» مخطوط خاص، اللوحة 69.

5) نكتب هذه اللفظة وما تصرف منها «مثبتة» أي بالألف تسهيلا للطبع.

6) الآية 7 من سورة يونس.

7) الآية 72، وهي : ﴿... واغرقنا الذين كذبوا بئاياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾.

8) الآية 76 : ﴿... إلى فرعون وملإه بئاياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾.

9) الآية 92 : ﴿فاليوم نُنجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وان كثيرا من الناس عن ءاياتنا لغافلون﴾.

**2) السماوات :**

رسمت هذه اللفظة في هذا المصحف الذي نتحدث عنه في الآية الكريمة : «فقضاهن سبع سماوات (10) في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (11)» بدون ألف لا بعد الميم ولا بعد الواو.

وحق هذه اللفظة أن تكتب كما هي مثبتة في مصحف الإمام بألف بعد الواو.

أشار الإمام أبو عمرو وعثمان بن سعيد الداني إلى الرسم الصحيح لهذه الكلمة فقال (12) :

«وكذا حذفوها (13) بعد الواو في قوله «السماوات» (بدون ألف بعد الميم وبدونها كذلك بعد الواو) (14) و«سماوات» (بدون الألفين) في جميع القرآن إلا في موضع واحد فإن الألف مرسومة فيه، وهو قوله في فصلت : «سبع سموات». فأما الألف التي بعد الميم فمحذوفة بلا خلاف».

وإلى نفس الشيء أشار الإمام الشريشي حيث قال في مورد الظمآن :

وبعـــد واو عنهمـــا قـــد أُثبتت
لـــدى سماوات بحـــذف فُصّلَتْ
وحـــذفت قبـــل بـــلا اضطراب
في كـــل مـــوضـــع من الكتـــاب

قـال صاحب «منهاج رسم القرآن في شرح مورد الظمآن» شارحا كلام الإمام الشريشي (15) : «أخبر رحمه الله عن الشيخين (16) بإثبات ألف «سماوات» (فصلت) بعد الواو وأنها حذفت قبل الواو من «سماوات» في كل موضع من القرآن بلا خلاف. فـ «بعد» و«قبل» قيدان في استثناء لفظ «سماوات». أما «سماوات» (فصلت)، ففيها : «فقضاهُنّ سبع سماوات في يومين». وأما غيره فنحو : فسواهُنّ سبع سماوات، «إني أعلم غيب السماوات»، وهو متعدد ومتنوع.

**5 ـ تركيب الضمتين**

**أ)** وقع خطأ في تركيب الحركتين في قوله تعالى : **﴿يتَجَرَّعُهُ ولا يَكادُ يُسيغُه ويأتيهِ المَوْتُ مِنْ كُلّ مَكانٍ وما هُوَ بِميِّتٍ وَمِن ورائِهِ عذابٌ غليظٌ﴾** (17) فركبت الضمتان في آخر «غليظ» رغم أن الحرف الذي بعدهما من غير حروف الحلق، وهذا الحرف هو الميم؛ لأن بعد «غليظ» قوله : **﴿مثل الذين كفروا بربهم...﴾**.

**ب)** وقع العكس، أي عدم التركيب في قوله تعالى (18) : **﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط﴾**، فلم يركب الضمتين في قوله «محيط» رغم أن الحرف الذي بعد، وهو الحاء، من «حم عسق» (19) من حروف الحلق.

ومعلوم أننا في المغرب نضبط تبعا لرواية ورش عن نافع أواخر السور وأوائل تالياتها ضبطا مبنيا على أساس أن آخر السورة موصول بأول التي تليها من غير اعتداد بالبسملة بين السورتين. وهي طريقة مخالفة لطريقة حفص، لأن جميع الطرق عنه مجمعة على الفصل بالبسملة بين السورتين.

والحق أن مصحف مصر اعتبر، في معظم الأحيان طريقة ورش عن نافع، ولهذا رأيناه يركب الضمتين على آخر آخر كلمة في سورة المائدة مثلا لأن سورة الأنعام تبتدئ بالهمزة (همزة وصل فقط) وهي من حروف الحلق. ونفس

10) أكتبها بالألف لنفس السبب المذكور في الهامش 5.

11) الآية 11 من فصلت.

12) المقنع في مصاحف الأمصار، صفحة 20.

13) يقصد حذفوا الألف.

14) الزيادة من كاتب هذه السطور.

15) أنظر اللوحة 69.

16) يقصد بالشيخين الأول : أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني مؤلف المقنع في رسم مصاحف الأمصار وهو من أفضل الكتب المبينة للرسم. أشير بهذه المناسبة إلى أن الإمام الداني ترك، حسب ما أخبرنا به الإمام الخرار ونقل عنه الخبر الشيخ مسعود بن محمد جموع في كتابه «منهاج رسم القران»، «مُقْنعين» «احدهما أعظم من الأخر. نظم الإمام الشاطبي هذا الكتاب في قصيدته الشهيرة المسماة بـ «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد».
والثاني : الشيخ أبا داوود سليمان بن نجاح مؤلف كتاب في الرسم سمّاه : «التنزيل» ذكر فيه : «رسم كلم من المصحف ذات زيادة على ما في المقنع والعقيلة».

17) الآية 21 من سورة ابراهيم.

18) آخر آية في سورة فصلت.

19) الآية الأولى من سورة الشورى.

الشيء وقع في آخر سورة الأنعام، لأن السورة التي بعدها وهي الأعراف، تبتدئ بهمزة : (المص).

كما اعتبر هذا المصحف الذي نتحدث عنه أن آخر سورة الأنفال متصلة بسورة التوبة لا تفصل بينهما البسملة لذا رأيناه يضبط المفردة «عليم» وهي آخر كلمة الأنفال بتنوين القلب (أي بضمة واحدة تعانقها ميم صغيرة) لأن السورة التي بعدها، وهي براءة تبتدئ بالباء.

**ج)** كما لم تركب الضمتان في آخر اللفظة «واجفَة» في قوله تعالى (20) : ﴿**قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة**﴾ رغم أن بعدها همزة قوله : «ابصارها».

**6 ـ ضبط «أَحطْتُّ» وأخواتها**

جاء ضبط قوله «أَحَطتُ» الواردة في الآية : ﴿**فمكث غير بعيد فقال احطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين**﴾ (21) هكذا في المصحف المتحدث عنه : همزة مفتوحة فحاء مفتوحة كذلك ثم طاء خالية من السكون فتاء مضمومة. وهذا ضبط مخالف لضبط المصحف.

أما الضبط الصحيح فهو : همزة مفتوحة تليها طاء ساكنة (حاملة فعلا للسكون) ثم تاء مشددة مضمومة.

وما قلناه عن رسم هذه المفردة نقوله عن مفردتين اثنتين هما :

**1 ـ بَسَطْتَّ** : الموجودة في قوله تعالى : ﴿**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديَ إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**﴾ (22).

لقد رسمت هذه المفردة في مصحف مصر رسما صحيحا عكس ما وقع لـ «أحطت» التي أشرت إليها أعلاه. وفعلا فإن «بسطت» ضبطت بسكون الطاء (أثبت السكون فعلا على الطاء) وبتاء مشددة.

**2 ـ فَرَّطْتُّ** : الموجودة في قوله تعالى : ﴿**أن تقول نفس ياحسرتي على ما فرَّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين**﴾ (23).

هذه رسمت صحيحة في هذا المصحف ولكن اللفظة المشتقة منها (فَرَّطتُمْ) والموجودة في قوله تعالى : ﴿**فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا، قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الأرض حتى ياذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين**﴾ (24) رسمت خطأ، فلم يثبت السكون على الطاء ولم تشدد التاء.

أعتقد أن علماء الرسم وضعوا هذا السكون على الطاء خوفا من إدخال الطاء مكان التاء كما يفعل بعض العرب. يقول الفراء مفسرا قوله تعالى : ﴿**فقال أحطت بما لم تحط به...**﴾ «قال بعض العرب : أَحَطُّ فأدخل الطاء مكان التاء. والعرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء، فيقولون : أحتُّ، كما يحوّلون الظاء تاءً في قوله : ﴿**أَوَعَتُّ أمْ لم تكن من الواعظين**﴾ (25) والذال والدال تاء مثل (أَخَتُّمْ) (26) ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله (وأَخَتُّمْ) ومن العرب من يحول التاء إذا كانت بعد الطاء فيقول : أَحَطُّ (27).

وعليه فإن تبيين الإطباق واجب مؤكد وإلا وقع إدخال الطاء مكان التاء، الأمر الذي تكرهه التلاوة القرآنية السليمة. قال الإمام ابن الجزري رحمه الله في (طيبة النشر في القراءات العشر) :

وبَيِّن الإِطْبَاقَ من احطتُّ مَعْ
بَسَطْتُّ وَالخُلْفُ بِنَخْلُقكُمْ وَقَعْ

**7 ـ ضبط «وقالت طائفة»**

المعروف عندنا أن تاء التأنيث تدغم بلا خلاف في الأحرف الثلاثة : التاء والدال والطاء. مثال إدغام التاء في

20) الآيتان 8 و9 في سورة النازعات.
21) سورة النمل، الآية 22.
22) سورة المائدة، الآية 30.
23) سورة الزمر، الآية 53.
24) سورة يوسف، الآية 80.
25) الآية 136 من سورة الشعراء ولكنها كتبت في جميع المصاحف «أوعظت» والملاحظ هنا أنهم لم يحتاجوا إلى بيان الاطباق؛ فلم يشددوا التاء واكتفوا بتسكين الظاء (أتحدث هنا عن الرسم العثماني المطبق عندنا في المصاحف).
26) آل عمران، الآية 81.
27) معاني القرآن للفراء، الجزء الثاني صفحة 289.
28) البقرة، الآية 16.

التاء «فما ربحت تجارتهم» (28) ومثال الدال «وأجيبت دعوتكما» (29) ومثال الطاء «وقالت طائفة» (30) التي تكررت في القرآن الكريم، و«ودت طائفة» (31) و«لهمت طائفة» (32) و«فآمنت طائفة» (33) و«كفرت طائفة» (34).

ولم يصلني أنه وقع خروج عن هذا الرسم في لفظة ما من القرآن الكريم. أوضح هذا الإمام الشاطبي رحمه الله بأكمل بيان في حرزه، فقال :

وقامت (تـ)ـريه (دُ)مْيَةٌ (طِـ)ـيبَ وَصْفِهَا

أشار إلى أن تاء التأنيث المعبر عنها بواسطة قوله «قامت» تدغم، بلا خلاف، في التاء المعبر عنها بقوله (تربة) وفي الدال والطاء المعبر عنهما بقوله (دُمْية طيب).

لكن المصحف المتحدث عنه، إن كان طبق هذه القاعدة المطردة في «ودت طائفة» وفي «وقالت طائفة» الموجودة في ءال عمران، وفي «لهمت طائفة» وفي «فآمنت طائفة» وفي «وكفرت طائفة» فإنه خالفها في قوله تعالى : ﴿**وإذ قالتْ طائفة منهم يا أهْلَ يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبيء يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**﴾ (35)، فسكن تاء «وقالت»، وطبعا وكما كان منتظرا شدد الطاء وكان حقه حذف السكون من «وقالت».

**8 ـ تشديد الياء بعد النون الساكنة**

نعرف أنه حين يلي النون المشكلة بالسكون ياء فإن هذه الياء تشدد وتنقلب النون ياء ليسمح، عند النطق بها للهواء أن يمر من كل من الأنف والفم معا. فهو إذن قلب ناقص إذ لم يتحول الصوت المقلوب إلى كل صفات الصوت المقلوب إليه. ولهذا عُرف عندهم بالادغام الناقص.

لقد طبق هذا الضبط في هذا المصحف لكنه خالفه في موضعَيْن اثنين، فلم يسكن النون ولم يشدد الياء فيهما.

1 ـ **في مريم**، في قوله تعالى : ﴿**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**﴾ (36).

2 ـ **في الأحزاب**، في قوله تعالى : ﴿**يانساء النبيّ من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفَيْن وكان ذلك على الله يسيرا**﴾ (37).

خفت أن يكون خرج الموضعان المذكوران أعلاه عن القاعدة المشار إليها آنفا ولم يصل إلى علمي هذا الخروج فبحث طويلا، غير أن تحرياتي أوضحت لي أنه لم يقل بهذا الاستثناء أحد.

أرجو من اللجنة المحترمة وأعضاءها من العلماء الكبار الذين نعتز بهم ونفتخر أن ترشدنا إلى الضبط الذي اعتمدته، إن كان الذي اعتمدته صحيحا موافقا لرسم مصحف الإمام.

**الدكتور التهامي الراجي الهاشمي**

29) يونس، الآية 89.
30) آل عمران، الآية 71.
31) آل عمران، الآية 68.
32) النساء، الآية 112.
33) الصف، الآية 14.
34) نفس السورة ونفس الآية.
35) الأحزاب، الآية 13.
36) الآية 93.
37) الآية 30.

# ناظر الوقف

(3)

للأستاذ محمد بنعبد الله

يستفاد من مؤرخ الدولة العلوية الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان، أن السيد الطيب بن أحمد بن غازي المكناسي كانت له رياسة الأوقاف المغربية في سائر الإيالة الشريفة، والنظر التام، والتصرف العام في جميع الأحباس على عهد السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل، ويلاحظ أنه لم يكن يطلق على الناظر، إذ ذاك، إسم الوزير.. كما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالى، في غير هذا الباب.

ولا ننسى الكتاب الذي وجه إلى السيد بلقاسم المطاسي من طرف المولى اسماعيل يحضه على تقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته، ومحاسبة النظار (39).

والمولى اسماعيل هو الذي اهتم بشؤون الوقف وأصدر أوامره لجميع نظار المملكة بإحصاء الأملاك الوقفية وتدوينها في سجلات خصوصية وحوالات حبسية، (40) كما هو مذكور في بابه..

كما نجد أن المولى عبد الرحمن وابنه المولى محمد كانا قد منعا المعاوضات الوقفية منعا كليا حماية للوقف من التفويت الذي يمر في ظلال التلاعب، والمخاتلات..

ولا ننسى المواقف البطولية التي أظهرها المولى عبد العزيز، في مؤتمر الجزيرة الخضراء دفاعا عن الوقف

---

38) الاتحاف : ص : 481 ـ 482 / 4.

39) جمادى الثانية عام 1143، موافق 26 دجنبر 1730.

40) عرفت هذه السجلات منذ العصر المريني بالمغرب، بيد أن أقدم الأصول الباقية منها إنما ترجع لأيام الوطاسيين. فهناك حوالة أحباس المارستان بفاس، حيث يرد بها تاريخ عام 905هـ منها مصورة على الشريط : خ.ع. 137 من قسم الحوالات وهناك حوالة أحباس فاس العليا، وبها نفس التاريخ 905 منها مصورة على الشريط خ.ع : 161 من قسم الحوالات.

والجزء الأول من حوالة أحباس القرويين، ويشتمل على تاريخ 961هـ منه مصورة على الشريط : خ.ع. 135 من قسم الحوالات.

وممن عمل على حماية الأوقاف، وضبطها وتنظيم حوالاتها، ومسك دفاترها الناقي أحمد بن الحسين بن عرضون، الذي أفرد لأوقاف مساجد مدينة شفشاون وأحوازها ديوانا خاصا إلى أن توفى في عام 992 هـ.

وتوجد وثيقة الوقفية الهامة بملحق الجزء الثاني لحوالات المسجد الأعظم بشفشاون ص : 176.

انظر نص الوثيقة في «الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري» للأستاذ عبد القادر العافية ص : 270.

وكان أول اهتمام معاصر بهذا اللون من الوثائق تناول حوالة أحباس طنجة، فنشرت مصورة في نصها العربي بباريس عام 1914 في 330 لوحة بعناية المستشرق الفرنسي السيد ميشو ـ بلير..

وقامت الخزانة العامة بالرباط، خلال الخمسينيات الأخيرة بالتصوير على الشريط لمعظم الحوالات المغربية في 75 مصورة، حيث توجد لائحتها وأرقامها في مجلة «البحث العلمي» للأستاذ الكبير البحاثة سيدي محمد المنوني بالعدد 20 ـ 21 (مزدوج) ص : 86 ـ 89.

وتلج هذه المدونات قطاع الدراسات الجامعية، وقد رأينا أن الأستاذ محمد مزين يتخذ منها موضوعا لرسالته : «فاس، وباديتها من 1549 ـ 1637» التي نال بها شهادة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث، ثم أحرز بها على جائزة المغرب لسنة 1979.

المغربي والأراضي المغربية كما هو مسجل في محاضر جلسات المؤتمر.

ولايغرب عن البال أيضا تلك المواقف الحاسمة الصارمة، المومنة المسؤولة التي كان يقفها ساكن الجنان، المولى يوسف بن الحسن بوعي وتبصر وحماس مع الإدارة الحامية الدابرة في موضوع الأحباس، ويكفي أن نشير إلى موقفه التاريخي الخطير، وغضبته المضرية وتهد يده رجال الحماية بالتنازل عن العرش إن هم أقدموا على تحويل مسجد السنة بالرباط عاصمة المملكة، وإزالته عن مكانه وموقعه من طرف الإدارة الاستعمارية حتى يكون الطريق الذي يمتد من شارع الجزاء، واحدا طويلا ينتهي، في خط مستقيم، إلى الإقامة العامة، فوقف رحمه الله وأثابه وقفة صارمة، أثنت عزيمتهم، وخضدت شوكتهم، وألانت قناتهم، بعد أن ولوا مدبرين...

وهل ننسى تلك المواقف الحازمة القوية المومنة المسؤولة التي كان يقفها بطل التحرير مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه إزاء الاستعماريين والإدارة الحامية، فقد كان شجى في حلوقهم، وصخرة تتكسر على صفاتها قرون دهاقنتهم، مما أحاط الأحباس بحرمة وتقديس، فكان لا يولي على إدارتها إلا المومنين الحازمين المتيقظين.

وقد سار على هذا النهج، واتخذ سبيله فيه، وارث سره، جلالة الملك الحسن الثاني الذي ألان الله له أعطاف الشدائد، فأعطى لفكرة الوقف بعدا علميا وحضاريا مما لا يتسع له المقام في هذا البحث... إذ دراسة أحوال الوقف في هذا العهد الزاهر تحتاج إلى دراسة معمقة سواء في الساحة العلمية، أو الحضور الديني، أو التوجيه، والتثقيف الشعبي في الداخل والخارج..

وقد عرفت إدارة الوقف في هذا القرن الأخير، وفي عهد الحماية والاستقلال مسؤولين حازمين، كانوا قدوة حسنة في الاستقامة والنزاهة والنبل والخوف من الله تعالى، إضافة إلى التجاوب والتعاطف المهني والتفني مع الرسالة الوقفية التي اضطلعوا بتحمل أمانتها واعبائها أمام الحق والخلق مما ترك الألسنة تلهج بالثناء والعطر، لما أسدوه للإدارة من خدمات جلى، وحسنات باقية على الدهر. ونذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر، أول وزير للأوقاف السيد أحمد الجاي (41) الذي كانت له مواقف بطولية، وتضحيات مع مدير الوقف من طرف الدولة الحامية السيد «تور» Torres والسيد امحمد ملين، (42) والعالم الأديب الفاضل الفقيه السيد الحاج محمد بوعشرين، (43) والفقيه الحاج أحمد بركاش (44) وغيرهم

---

41) هناك ظهير يوسفي يسند إدارة الأحباس العمومية إلى السيد أحمد الجاي يخول له القيام بكل ما يرجع إلى هذه الوظيفة على مقتضى ما هو مقرر، وما يتجدد فيها من الضوابط الشرعية والقواعد المرعية الكفيلة بسير أعمالها على أسلوب واضح متين، وذلك في 20، ذي القعدة 1330 / 31 / 10 / 1912 : وقد رقي من رتبة مدير إلى رتبة وزير في 23 رمضان 1333، غشت 1915م.

42) الحاج امحمد بن عبد الله ملين من علماء الرباط، شغل منصب العدالة بنظارة الأحباس، ورشح ناظرا لكبرى أحباس الرباط بدل المرحوم بنعيسى بنسعود، ثم اختير لوزارة الأوقاف خلفا للمرحوم أحمد الجاي. وللسيد امحمد ملين حاشية على «بهجة السيوطي على ألفية ابن مالك»، سماها «المناهج السوية» قرظها له أبو حامد البيطاوري، وله أيضا «إرشاد الخواص والعوام، بفعل الواجب وترك الحرام» ط. عام 1345، توفي عام 1953، ولم يحضر وفاته إبنه العالم الأستاذ محمد الرشيد ملين الذي كان يتزعم حزب الأحرار المستقلين، إذ كان منفيا يعيش بين جدران السجن وديار المنفى من طرف الاستعمار في جملة المبعدين يوم 11 دجنبر 1952 عقب حوادث السوق البلدي بالدار البيضاء.

43) الحاج محمد بن الوزير الحاج ادريس بن الوزير الطيب بن الوزير اليماني بن الكاتب... الخزرجي الأنصاري من أسرة عربية شهيرة بالمغرب، ولد بمدينة الرسول ونشأ بها. وقرأ القرآن والعلم، ونبغ في فنون الأدب نظما ونثرا، عين ناظرا لعموم أوقاف الأندلس، ثم عين كاتبا بقسم مراقبة الأحباس بإدارة الشؤون الشريفة ثم عين مراقبا عاما لنظارات الأحباس بمكناس وزرهون، ثم رئيسا للمحكمة العليا بالرباط، ثم مندوبا سلطانيا بمنطقة طنجة، ثم وزير الأوقاف، وكان رحمه الله قمة في الفضل والحياء والحزم والطهارة والخوف من الله تعالى.

44) تقلد عدة مناصب سامية، فكان فيها مثال اليقظة والحزم والتبصر وحسن التدبير، وكان وزيرا للأوقاف مرتين، وفي عهده عرفت الوزارة نشاطا في الشؤون الإسلامية والثقافية، وكان محل ثقة وعطف من المرحوم مولانا محمد الخامس، وصاحب الجلالة الحسن الثاني، ويعد السيد بركاش من أئمة المجاملين إن لم يكن إمامهم.. ومن اللطائف المطرفة التي تنوقلت عن العلامة الموسوعي الوزير السيد محمد المختار السوسي أنه كان يتمنى أن تؤسس في المغرب كلية لدراسة «علم السلوك» ويتولى عمادتها الحاج أحمد بركاش. على أن يكون خليفته المباشر في العمادة المرحوم الحاج الفاطمي بن سليمان (انظر مطالعات في الكتب والحياة موضوعا بعنوان : «علم الاحترام» للأستاذ عباس محمود العقاد ص : 451).

من المخلصين الأوفياء الأمناء القائمين على حماية الوقف ورعايته...

☆ ☆ ☆

وقد تسند نظارة الوقف إلى من لا خلاق له من الناس، فينهبها نهبا، ويذرها قاعا صفصفا، ويصرف ريع الأوقاف حسب هواه. وما أكثر ما أصيبت أوقاف المسلمين بنظار ناهبين.

وقد علل المقريزي ـ الذي جمع بين قوة الحاسة التاريخية من ناحية، وصدقها وانضباطها من ناحية أخرى، فضلا عن إدراكه للأبعاد الحقيقية والأركان الرئيسية لعلم التاريخ ـ سوء الأحوال الاقتصادية بمصر عام 808 هـ، فأرجع الفساد إلى عدم كفاية القائمين على الشؤون، والمتولين لشتى الوظائف الكبرى، لأن غالبيتهم تولى منصبه عن طريق الرشوة، ولذا لم تتوافر فيهم الأهلية والكفاية... بل إن وظائف الدولة، إذ ذاك، صارت «مثل الأموال المملوكة يبيعها صاحبها إذا شاء، ويرثها بعده صغار ولده، وسرى ذلك حتى في التداريس الجليلة، وفي نظر الجوامع والمدارس، ومشيخة التصوف، «فيا نفس جدي.. إن دهرك هازل..» (45).

ولا يفوتنا ذكر إساءات بعض المتولين والنظار للأوقاف وخياناتهم في إدارة الوقف، وتفسيراتهم المصلحية لشروط الواقفين مما ضيع الثقة بهم، وبمؤسسة الأوقاف كفكرة ونظام. بالإضافة إلى عدم وضوح الأنظمة والقوانين الوقفية وتجديدها وتحديثها لتكون في متناول الأجيال الجديدة من المسلمين.

وقد أدى هذا إلى أن يرفع كثير من الموقوف عليهم عقيرتهم، ويجأرون بالشكوى، كما أدى إلى قيام منابر عديدة بتوجيه الطعن إلى الوقف الأهلي، والمطالبة بإلغائه وتصفيته، بل تعدى ذلك إلى المطالبة بإلغاء الوقف بكافة أقسامه وأنواعه كنظام قائم في المجتمع (46).

ولقد احتدم النزاع والخلاف في بلاد مصر في العشرينيات حول المشاكل التي تثيرها التطاولات، فقد ألقى محمد علي باشا وزير الأوقاف سابقا محاضرة في القاعة الكبرى بمحكمة الاستئناف عام 1927 كان لها رنين وطنين ودوي قوي في جميع الأوساط، وقد عقب عليها فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله مفتي الديار المصرية في محاضرة ألقاها مساء الخميس 18 شعبان 1345 1927/1/10 (47).

ويبدو أن النظر على الأوقاف كان دائما مثيرا للريبة، وشبهة الإثراء الحرام، فابن الفرضي يترجم في تاريخه لفقيه يدعى محمد بن سعيد بن قرط، كان قاضي الجماعة أبو بكر محمد إسحاق ابن السليم (48) قد قدمه إلى النظر في الأوقاف، فبقي عليها طوال مدة قضائه، ثم جانبا كبيرا من مدة خلفه محمد بن يبقى بن زرب، (49) ثم عزله عنها، وأثار عليه هذا النظر قضية طويلة عزل فيها، وذهب فيها أكثر ماله، حتى أنه مات فقيرا في سنة 381 هـ 991 م.

ولقد بلغ من التشكي من أعمال بعض النظار مبلغا شديد الخطورة جعل المرتزقة في الوقف يطلبون حل الأوقاف وإنهاءها، كما أن ذلك كان مطعنا للطاعنين في الوقف نفسه باعتباره نظاما قائما في المجتمع الإسلامي، ومرد شكوى الناس، وطعن الطاعنين في بعض الفترات، هو

---

45) كتاب السلوك، للمقريزي ج : 4.

46) 241 / 2 / الكبيسي عبد الله.

47) المحاضرة المذكورة مطبوعة في المطبعة السلفية عام 1945 ومحمد بخيت المطيعي كان حنفي المذهب، وتتلمذ على كبار الشيوخ في الأزهر وخارجه، وكان منهم السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ حسن الطويل.. تولى عدة مناصب، كما عين مفتيا للديار المصرية، واستمر يشغل هذا المنصب حتى عام 1338هـ. أصدر خلالها حوالي 2028 فتوى، وكانت له فتاوي جريئة، له عدة تآليف منها : «إرشاد العباد، في الوقف على الأولاد»...

48) انظر ترجمته في المرقبة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي المالقي، ص : 75.

49) المصدر السابق ص : 77، وابن زرب قاضي قرطبة ومفتيها الموصوف بسعة العلم والنظر والنزاهة، كان القاضي ابن السليم يقول له : «لو رآك ابن القاسم لعجب منك، له كتاب «الخصال» في الفقه عارض به كتاب «الخصال» الحنفي، فجاء في غاية الاتقان...».

ولما ولي القضاء، وجاء الناس لتهنئته، كشف لهم عن صندوق من المال، وقال لهم : «إن فشا من مالي ما يناسب هذا، فلا لوم، وإن ظهر علي أكثر منه وجب مقتي». (ت 381 هـ).

أنظر : الديباج، والفكر السامي ص 121 / 3.

عدم قانون ينظم شؤون النظار وطرق محاسبتهم محاسبة دقيقة أمينة نزيهة عادلة.

والكثير من الأوقاف قديما، في المغرب، قد ضاع، ومسته يد الخراب قبل القرن الخامس الهجري، فقد لاحظ صاحب الجذوة، (50) أن كثيرا من أوقاف المساجد أدخلها أهل فاس في منافعهم أيام الخليفة يوسف بن تاشفين، فرفعت القضية إلى القاضي عبد الحق بن معيشة الغرناطي، فتوجه الطلب على النظراء والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم، فأبرزت المحاسبة 80 ألف دينار...

وهكذا تولى النظارة غير المستحقين ممن لا يحسب للأوقاف حسابها، ولا يراعي حرمتها ولا ذمتها، فكانت حالتهم كحالة من وصفهم صاحب المهذب بقوله : «وقد تشتت أمور الأوقاف في هذا الزمان بهذه القرى، واسند القضاة النظر فيها للذئاب الذين ليس لهم في ذلك مأرب إلا ما يأخذونه من المرتب، مع أن تصرفات النظار يلزم أن تكون دائما على وجه النظر، فمهما فرطوا، غرموا، ومتى خرجوا عن الصراط عزلوا...»

وقد أعطي اسماعيل بن عبد الوهاب الهمذاني نزيل دمشق (ت 1006 هـ) تولية جامع «سيباي» خارج باب الجابية، ثم تولية الجامع الأموي، وبقي متوليا على الجامع أربعين سنة، وتصرف هو والقاضي أبو بكر بن الموقع المالكي تصرفا انتقد عليهما أكثره وفيهما يقول شيخ الإسلام أبو الفتح المالكي مشيرا إلى ما فعلاه بالوقف :

يقول - على ما قيل - جامع جلق
ألم يك قاضي الشام عني مسؤولا
يسلم للأعجام وقفي لأكله
ويروي لهم عني كتاب «ابن ماكولا» (51)
أبعد الفتى السبكي أعطى لسيبك
وبعد الإمام «الزنكلوني» لزنكلونا
أقاموه لي قردا بشباك مشهد
وضموا له، دبا، على الرقص مجبولا.
يؤمل كل، آكل وقفي بأسره
فلا بلغ الله الأعاجم ماموولا

ولما آل أمر الوقف إلى الضياع، ولزم توزيع نقص ماله على أرباب الوظائف، وكان يقسم على طبقات، اقتضى صرف اسماعيل عن نظارته، وأعطيت لبورنوز على سنة، فطغى في نظارته، ثم عزل عنها، وولى مكانه حسن باشا الشهير بشوربزه حسن، فسلك فيه أحسن السلوك من تنمية وقفه، وإعطاء علوفاته، ورفع يد اسماعيل، وكان يوصله علوفته، فاختل أمره، وبقي في زوايا الخمول إلى أن مات عام 1006 هـ (52).

وقدم سنان - والد أحمد المعروف بالقرماني الدمشقي صاحب التاريخ المشهور، وأحد الكتاب المشهورين - إلى دمشق، وولي نظارة البيمارستان، ونظارة الجامع الأموي، وانتقد عليه أنه باع بسط الجامع الأموي وحصره، وأنه خرب المدرسة المالكية بالقرب من البيمارستان النوري، وتعرف بالصمامية، وحصل به الضرر، بمدرسة النورية ببعلبك، فقتل بسبب هذه الأمور هو، وناظر السليمية حسين في يوم الخميس رابع عشر شوال سنة ست وستين وتسعمائة خنقا معا بدار السعادة بشاشيهما، وعماماتهما على رأسيهما (53)...

وقد هجا أبو المعالي درويش محمد الطالوي (54) المولى أحمد بن سليمان الرومي المعروف بالإياشي (55) قاضي القضاة بحلب، ثم بالشام في قصيدة طويلة سماها : «رفع الغواشي، عن ظلم الاياشي» وقسمها فصولا، وجعل كل فصل في حال من أحواله، فمن ذلك قوله مشيرا إلى تعديه على الوقف وظلمه مع وكيله لرجل بدمشق يقال له :

---

(50) ص : 42.
أنظر : «جني زهرة الآس»، للجزنائي ص : 67.

(51) ابن ماكولا : أبو النصر ابن العجلي (1031 - 1094 هـ) ولد في عُكْبَرى (بغداد) أمير من أمراء الفرس، كان من كبار الحفاظ. والمحدثين - قتله أحد مماليكه الاتراك له كتاب : «الاكمال، في المختلف والمؤتلف من أسماء الرجال» مخطوط في لندن. كان في القرن الحادي عشر، كما ذكر ذلك بروكلمان وكراتشكوفسكي في تاريخ الأدب الجغرافي ص : 319 / 1.

(52) خلاصة الأثر. ص 410 / 1.

(53) خلاصة الأثر. ص 210 / 1.

(54) المصدر السابق. ص 148 / 2.

(55) المصدر السابق. ص 209 / 1.

«عقيص» مات، وخلف ثلاثة آلاف قرش، أخذ منها ألفا، فقال :

كيف استحل ألف قرش لنا
وجملة المال ثلاث كبار
وجملة الأوقاف في عهده
تباع في الدلال بيع الخيار
ويدعي الرقة في طبعه
مثل المخاديم الموالي الكبار

والعجيب أن الإيـاشي كان عادلا في أول أمره، ثم تغيرت أحواله، وفسدت أطواره، واشتهرت في أيامه الرشوة، وأبطل كثيرا من الحقوق، وقد مدحه في أول أمره بالولاية الطالوي المذكور آنفا بقصيدة شينية استحسنها أدباء وقته مع صعوبة رويها. فقال :

كيف اخشى في الشام أمر معاشي
وملاذي بها جناب الإياشي
أفضل القوم من سما للمعالي
فاعتلاها طفلا، وكهلا، وناشي
فهو بدر العلوم، صدر الموالي
من سماهم فضلا.. ولست أحاشي
ساق عدلا بالشام حتى شهدنا
مشي ذئب الفلاة بين المواشي

وقد حدث في عهد الملك الأشرف «قايتباي» عام 887 هـ عندما خلع السلطان على شخص من الأراذل، يقال له محمد بن العظمة، وكانت صنعته فراء، ثم سعى له عند السلطان وسائط السوء، بأن يقرره في نظر الأوقاف، فخلع عليه ذلك، فلما استقر في الوظيفة، حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل، والتزم بمال له صورة يورده في كل شهر، فصار يرسل خلف الناس من رجال ونساء، ورسم عليهم بسبب الأوقاف، ويحاسبهم على الماضي والمستقبل، ويأخذ منهم جملة مال، وصار بابه أنحس من باب الوالي، والتفت عليه جماعة من المناحيس وصاروا يفرعون له الأذى تفريعا.. وكان يورد هذه الأموال للسلطان لا يدري أمن حلال هي أم من حرام.

والجدير بالذكر في هذا الخبر أن ابن إياس في هذه القصة لا يسجل شيئا من آراء العامة وأقوالهم فيه، وقد كان معاصرا لهذا الحدث، مكتفيا بإلقاء التبعة على السلطان بعد موته، فيقول (56) : وكان ذلك في صحيفة «قيتباي» رحمه الله، الذي قرب مثل هذا، وسلطه على الناس.

☆ ☆ ☆

وإذا كانت الضرورة تفرض السهر على رعاية الوقف، فإن اختلاف الأوضاع، وتباينها في الأمة الإسلامية جعل كل حكومة تنظم الأوقاف تنظيما خاصا وفق تطورها وإمكانياتها حيث يلاحظ أن البلاد الإسلامية عرفت نظما متعددة متغايرة، فهناك من فرق بين الوقف المعين، والوقف العمومي، كتركيا التي ألغت جمهوريتها الوقف المعين، وفرضت مراقبة صارمة على الوقف العمومي الذي ارتبط مصيره بالشؤون الدينية، وفي عام 1924 صدر قانون تركي أنشئت بموجبه وزارة للشؤون الثقافية تابعة لرآسة الحكومة يشرف المسؤول فيها على المساجد والمعاهد الدينية، كما ألغى نفس القانون وزارة الأوقاف.

وهناك من أمم الوقف، وصادر ممتلكاته، كما هو الحال في الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى التي كانت للمسلمين بها أوقاف تضخمت مواردها طوال قرون إلى أن انهزم التتار عام 1552، فتطاول الروس على ثروات الوقف، واغتصبوا أمواله، وبددوا ما خلفه الواقفون في بلاد ما وراء النهر، واستمرت الحال في شتى أشكال الضغط والمطاردة والملاحقة إلى أن قرر الحزب الشيوعي الظالم عام 1921 تأميم الوقف، وتسليم الأراضي الحبسية إلى الفلاح المسلم وغير المسلم وحظر كل وقف جديد.

ونجد في بلاد كيوغسلافيا التي تركت تسيير الوقف إلى الجماعة الإسلامية في البلاد، لأنها تتمتع باستقلال ديني يكاد يكون تاما داخل البلاد وخارجها، فأصبحت هذه الجماعة تتصرف في الأوقاف، لها ميزانيتها المستقلة، وإدارتها الخاصة، وذلك منذ صدور دستور الجامعة الإسلامية بهذه البلاد في 5 نوفمبر عام 1936.

56) بدائع الزهور، ص : 510.

وفي جنوب شرقي آسيا، وبأندونيسيا بالضبط، فإنها تمتاز بظاهرتين، الأولى ندرة الوقف العقاري، وذلك نظرا لاستغلال الملكية الفردية في جميع أطراف البلاد، وشيوع الملكية الجماعية بحيث لا يملك الأفراد حق الوقف، كما أنه لا توجد إدارة مركزية للأوقاف.

وتوجد في الهند وقوف رصدت لصالح تسيير الشؤون الدينية، وعقارات موقوفة لفائدة التوظيف الديني، ونشر التعليم ومساعدة البائسين والمحتاجين، وقد لوحظ أن الدولة الهندية استولت على أراضي الوقف، وتم تسجيلها في الوثائق الرسمية على أنها أملاك تابعة للدولة.

وقد ناقش المؤتمر التعليمي والملي الإسلامي في الهند، في الأيام الأخيرة، عدة قرارات، لعل أهمها القراران الهامان في موضوعي المساجد والأوقاف الإسلامية... التي حاربها الاستعمار البريطاني، ويهددها خطر من الحكومة الحالية.

إن علماء المسلمين الذين حاربوا الاستعمار الإنجليزي في عام 1857، وواصلوا مقاومتهم للاحتلال أنشأوا مدارس لتعليم العلوم الإسلامية في كافة أنحاء الهند، واتخذوا مراكز لنشاطهم المعارض للإنجليز، انطلقت من هذه المدارس تحركات لمقاومة حملات التنصير من جهة، وحماية المسلمين من السياسات الخاطئة للحكومة، وتوجيههم توجيها سليما من جهة أخرى، وليس هذا فقط، بل تخرج من هذه المدارس علماء جاهدوا الاستعمار، وقاوموا الاحتلال..

وقد اتخذ المؤتمر التعليمي والملي الإسلامي في اجتماعه الأخير الذي انعقد بالهند، قرارين هامين في موضوعي الأوقاف والمساجد، وكان نص القرار الخاص بالأوقاف على النحو التالي : «إن الأوقاف الإسلامية في الهند تشكل ثروة كبيرة للمسلمين تقدر بآلاف الملايين من الروبيات، وتبلغ إيراداتها عشرات الملايين، غير أن أملاك الوقف تتعرض للنهب والسلب، ولا يتحقق الهدف الذي من أجله وقف أهل الخير هذه الأملاك، وذلك يعود إلى سوء إدارة هذه الأملاك من قبل الناظرين في بعض الأحوال، وفي البعض الآخر يعود إلى عدم اهتمام لجان الأوقاف، والقبضة غير القانونية عليها. ومما يؤسف له هو أنه في كثير من الحالات توجد أملاك الوقف في قبضة الهيآت والمؤسسات الحكومية، ويجري التعامل بها بيعا وشراء وإيجارا أو استئجارا..

إن القانون الحالي في بلاد الهند لا يفي بالحاجة، وهو ناقص، وفي بعض الأحوال لوحظ أن الدولة استولت على أراضي الوقف، وتم تسجيلها في الوثائق الرسمية على أنها أراضي وأملاك تابعة للدولة، وفي عام 1979 دعت جمعية علماء الهند إلى مؤتمر للنظر في وضع الأوقاف الإسلامية، وطالبت الحكومة بتشريع قانون جديد للأوقاف، إلا أنه بالرغم من المطالبات المتكررة، لم تفعل الحكومة شيئا، وهي تماطل في عرض مشروع قانون جديد على البرلمان..

لذلك يطلب المؤتمر التعليمي لعموم الهند من الحكومة الهندية الإسراع في تشريع قانون جديد، واسترداد أملاك الوقف من القابضين غير القانونيين، وإعادتها إلى جهات الخير الموقوف عليها.

أما بشأن المساجد، واغتصاب بعض المساجد الإسلامية فقد جاء في قرار المؤتمر : «إن المؤتمر التعليمي لعموم الهند يلاحظ بقلق بالغ أن هناك مساجد كثيرة في أنحاء مختلفة من البلاد، ما زالت في قبضة الغاصبين، كما أن هناك مساجد عديدة حظرت السلطات الحكومية أداء الصلاة فيها، ولا يسمح للمسلمين بدخولها، وحولت مساجد كثيرة إلى محلات تجارية أو دكاكين أو مساكن... إن المسلمين ينظرون إلى هذا الوضع السيء بنظرة استنكار وأسف شديدين...

أما في الباكستان فتكثر الأوقاف بصفة ملحوظة، ولا سيما في مقاطعة : «البنكال» التي توجد في قسمها الشرقي.. ورجال الإفتاء وعلماء الدين هم الذين يتولون الإشراف عليها بضميمة لجنة يشارك فيها مندوب عن الحكومة، إذا كان الوقف مهما ذا بال، ورجال الإفتاء وعلماء الدين مستقلون عن السلطات العمومية، بيد أنه لا توجد أداة للتنسيق للمسائل الدينية، وما زالت دولة الباكستان، في طور الاختمار والإصلاح، فقد أصدر المجلس التشريعي في «البنجاب» عام 1952 قانونا ينص على صرف ريع الأوقاف لصالح الصحة والتقدم، وضمان إنفاق موارد الوقف فيما وضع لأجله.

وقد أمم الأمير عبد الرحمن الافغاني المتوفي في أوائل القرن الميلادي الحالي قسطا كبيرا من الأوقاف، وأدرجها في ميزانية الدولة، وأصبح الأئمة والمؤذنون يحتسبون أعمالهم لله، وابتغاء مرضاته..

أما إيران، فإنها تدرج ميزانية الأوقاف في التعليم العمومي، وتجعل مديرين في الولايات والأقاليم، ويراقب هذه الميزانية مفتشون ماليون تابعون لوزارة المعارف..

والحديث عن مناهج الوقف، وطرق جبايته من كل المواطنين من أساتذة وموظفين وتجار وعمال و... في إيران ذو شجون...

وهناك من الدول الإسلامية من جعل الإشراف على الأوقاف مشتركا بين عدة هيآت كسوريا التي أقدمت على حل الوقف الذري عام 1949.

فقد أصدر «حسني الزعيم» قرارا بالغاء الأوقاف الذرية في القطر السوري...

وكان أول المحاسبين الذين قسموها وعرفوا الفرائض، واتقنوا الحساب، الأستاذ الشيخ عبد الرحمن السفر جلاني والشيخ جميل الشطي مفتى الحنابلة (57).

وأصدرت لبنان قانونا نظم بموجبه أحكام الوقف الذري، وصدر هذا القانون في 10 / 1948.

ويرجع الإشراف على الوقف، وتدبر أموره في بلاد اليمن، لبيت المال الذي يغذى بنفقاته المؤسسات الدينية.

وكانت أول خطوة نحو إبطال الوقف الأهلي في العراق هي ما تم في عام 1929 عندما قدم جماعة من النواب في مجلس الأمة اقتراحا إلى الحكومة بسن تشريع يرمي إلى إلغاء الوقف الذري، إلا أن هذا المشروع لقي معارضه شديدة من العلماء، أرغمته على الاحتجاب حتى عام 1952، حيث تشكلت لجنة لسن لائحة في هذا الموضوع، كما هو مسطر في غير هذا الباب...

وقد أدمجت الأوقاف في القطر التونسي في ميزانية الدولة، بعد إعلان الاستقلال، وكانت إدارة الأحباس تتركب من مجلس إداري، وإدارة مركزية، وإدارة محلية، ومتصرفين في الأوقاف، والكل يخضع لمراقبة المجلس الأعلى للأحباس.

وكان يشرف على الإدارة الحبسية منذ عام 1944 رئيس المجلس الإداري الذي يعينه نائبان، أحدهما يسير المصالح الإدارية، والآخر المصالح المالية.. وينقسم الجميع إلى عدة مكاتب، مثل المكتب العقاري، ومكتب المنازعات، ومكتب التسيير، ومكتب الزياتين..

وكانت الإدارة المحلية، إذ ذاك تحتوي على 14 مفتشا أو نائبا يمسكون سجلات الأملاك الحبسية.

على أن تنظيم الوقف بصفة استقلالية عرفته بلاد المغرب ومصر. وذلك لوفرة المداخيل، ورعاية توجيه ورغبة المحبسين.

وعندما قامت الثورة في مصر عام 1952، وسلكت إلى الإقطاع سبل التصفية والإنهاء، وجدت أن بقاء الوقف الذري قد يتعارض وهذه الرغبة في الحد من الملكية الزراعية حيث كان الكثير من المستحقين يتمتعون في الواقع بمركز لا يختلف في جوهره عن مركز الإقطاعيين، فاتجهت الحكومة المصرية إلى الرأي القائل بعدم جواز الوقف الأهلي، فأصدرت القانون رقم 180 لعام 1952 الذي نص على إلغاء ما كان موجودا من الأوقاف الأهلية، وجعل الأموال الموقوفة عليها حرة طليقة، كما منع إحداث أوقاف أهلية جديدة، فأصبح الوقف بذلك قاصرا على الخيرات فقط.

وتسهيلا لأصحاب الاستحقاق، وتشجيعا لهم على إخراج أوقافهم من الوزارة وتداولها، جعلت الوزارة من اختصاصها أيضا، إجراء القسمة بين المستحقين، وأصبحت الوزارة حارسة على ما تحت يدها من أموال كانت وقفا تديرها حتى تتم القسمة، ثم قامت الوزارة في عام 1966 ببيع وتصفية ما تبقى في حراستها من أعيان كانت موقوفة وقفا أهليا، ولم تتم قسمتها، أو لم يتسلمها أربابها..

وقد احتفظت إدارة الأحباس في المملكة المغربية باستقلالها إلى عهد السلطان المولى عبد الرحمن الذي قرر

57) الحلقة : 118 / مذكرات علي الطنطاوي ـ «الشرق الأوسط» ـ 1984.

ضمها إلى دوائر المخزن، وألغى النظار الخصوصيين للمساجد والأضرحة، وعوضهم في كل مدينة بناظرين يعينهما السلطان، وبذلك أمكن بسط مراقبة صارمة حازمة على هذا النوع من الثروة الوطنية التي تسهر عليها وزارة خاصة تعمل في نطاق الدولة..

وقد صدر تشريع ببلادنا في شأن ضبط مراقبة الأوقاف المعقبة، وجعلها تحت إشراف وزارة عموم الأوقاف مع بقاء تصرف المحبس عليهم فيها إلى انقراضهم على الكيفية المنصوص عليها في لفظ الواقف، لا فرق بين الأوقاف التي ترجع إلى الأوقاف العامة، أو التي ترجع ملكا للمحبس، أو لورثة من بعده، مثل ما يرجع النظر في الأوقاف العامة إلى وزارة الأوقاف حسبما نص عليه الظهير الشريف المؤرخ في : 29 ربيع الأول عام 1336 الموافق 13 يناير 1913. وقد صدر تشريع بتخلي وزارة الأوقاف في مراقبة الأحباس التي مرجعها ملك، وإسناد النظر فيها للقضاة، بشرط أن يعين المحبس عليهم مقدما برضاه القاضي، ويكون تحت إشرافه حسبما بالمنشور الوزيري رقم 16198 / المؤرخ في 6 شعبان 1351 / الموافق 5 دجنبر 1932 المنصوص فيه على الإذن بإصداره من مصدر التشريع..

إن معظم الناس الذين يقفون أوقافهم في سبيل الله وفي سبيل الفقراء، هم بطبيعة الحال يقصدون فقراء جهاتهم، فإذا ما وقف واقف بمدينة (كذا) مثلا، وقفة على الفقراء، فإنه لا شك يقصد فقراء تلك المدينة، ولكن عندما تعطى نظارة الوقف للوزارة، فإنها تتصرف فيه تصرفا معروفا، وهي أنها توزعه على جميع الفقراء، وأوجه البر بالطريقة المعروفة لدى الوزارة...

فالصالح العام، يقضي، بأن تكون وزارة الأوقاف أحق بالنظر على الأوقاف الخيرية، لأنها بمثابة الأموال العامة للدولة. إذ لم يكن النظر عليها للواقف، أو لم يشرط الواقف النظر له عليها. لأنها وزارة تتوفر لديها كل وسائل الاستقلال من أقسام فلاحية وهندسية، وغير ذلك من مختلف الأقسام والمصالح. كما أن لديها من مختلف الوسائل ما يمكنها من إدارة ما يعهد إليها إدارته على وجه أتم، وأدعى إلى الطمائنينة والقبول، مع مطابقته لأحكام الشرع الحكيم، والقانون القائم، وهي بحكم وظيفتها مخصصة للقيام بالإنفاق على جهات الخير والبر، ورعاية المساجد والإحسان إلى الفقراء.. فضم إدارة الأوقاف الخيرية في يدها مما يسهل لها القيام بمأموريتها، وفيه توسعة على جهات البر والخير، وليس لها ـ أساسا ـ بصفتها وزارة أي مطمع في مال من جهات الخير والبر.

(يتبع)

الرباط — محمد بنعبد الله

# طبعة جديدة في جزئين من: "مظاهر يقظة المغرب الحديث"

●● صدرت للأستاذ الكبير الباحث المحقق السيد محمد المنوني طبعة جديدة من كتاب (مظاهر يقظة المغرب الحديث) في جزءين. وكان الجزء الأول قد صدر من هذا الكتاب في مطلع السبعينيات.

الطبعة الجديدة صدرت من (دار الغرب الإسلامي) ببيروت ●●

## من مخطوطات خزانة القرويين:

# كتاب "ملابس الأنوار ومظاهر الأسرار"

تأليف: العلامة محمد بن القاسم بن داود السلوي
(ت: أوائل القرن 9 هـ)
عرض وتقديم: الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

يكثر الالتجاء إلى الله عند حدوث الملمات، ويقوى التضرع إليه عند حلول الأزمات، وتتنوع الابتهالات بتنوع أحوال المتوجهين إليه. كل يلهج بذكر يناسب مقامه، ويختار أسلوبا ينسجم مع مستواه الفكري والعقائدي.

وكان بعض رجال الدين والتصوف يخشون المبالغات ويتخوفون من إحداث بعض الابتهالات التي تتنافى في وضعها مع أصول الدين وقواعد الاعتدال، أو التي لا تستمد عناصرها من آداب القرآن فحرصوا على أن يضمنوها كل ما يتلاءم مع المبادئ السامية الموافقة للعقل والنقل معا.

وربط هؤلاء في كثير من الأحيان بين الصلاة على رسول الله ﷺ وبين نسج كلامهم لتكون الأدعية جذابة مقبولة تحفها روائح الجنة وتشملها الرحمة الربانية التي تنتشر في مجالس الذكر ومواطن العبادات.

ومن المؤلفين المغاربة الذين ساروا على هذا النهج في عصر المرينيين الفقيه الحافظ السيد محمد بن القاسم بن داوود السلوي الذي أشار إليه ابن القاضي في درة الحجال رقم 1326، وذكر أنه توفي سنة ثمانمائة هجرية، والظاهر من تآليفه أنه توفي بعد ذلك.

فمن مؤلفاته في هذا النسق كتاب (نوادر النظام في شرف سيد الأنام) وهو مجموعة أمداح نبوية يقول في أولها :

نور الوجود وسر معنى الجود
لاحا لأجل محمد المحمود

وقد اشار إليها الأستاذ محمد المنوني في بحث له نشره بمجلة (دعوة الحق) الغراء بالعدد التاسع والعاشر من السنة التاسعة كما أشار إلى مؤلفات أخرى للمؤلف كلها تنحو منحى صوفيا نزيها بعيدا عن الغلو والمزالق.

ومن مؤلفاته في هذا الموضوع كتاب (ملابس الأنوار ومظاهر الأسرار) وهو عبارة عن كتاب اعتمد فيه المؤلف على الآيات القرآنية وجعلها ضمن أدعية متنوعة المجالات معبرة أصدق تعبير عن إحساس المؤلف إزاء الأمة المحمدية التي كان يرجو من أعماقه أن تكون خير الأمم وأقواها، وأضفى على هاته الأدعية والابتهالات هالة من التصوف البريء الخالي من التعقيد والغموض والإبهام، فهو مثلا يقول أثناء إشارته إلى العدل والقسط :

«اللهم ياأكرم مولى أمر على الحقيقة بالقسط، اجعل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من القائمين بالقسط الذي أمرت به سبحانك من إله كريم واجعلهم اللهم من الناظرين لوجهك يوم القيامة ومن الواردين مرادا مزاجه من تسنيم».

ويقول أثناء تعرضه للفواحش وتحريمها.. «اللهم يامن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير

الحق، اعصم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الوقوع في الفواحش الظاهرة والباطنة بفضلك وادفع اللهم عنهم الوقوع في البغي بغير الحق، سبحانك بطولك..»

وهكذا يستمر في ربط دعواته بالآيات القرآنية ويؤلفها في أربعة أجزاء لم يبق منها في الخزانة إلا الجزء الثاني الذي يحمل في دفتر التسجيل الرقم 700 وهو مكتوب بخط جميل إلا أنه متلاشي الأطراف ويحتوي على الأدعية التي استمدها المؤلف من اثنتي عشرة سورة، هي : الأعراف، والأنفال، والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وابراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف.

وطريقته أنه يأتي بالآية في الهامش ثم يأتي بالدعاء المناسب لها مسجوعا ويختار في محتوى دعواته أحسن المتمنيات التي يتيقن أن وجودها في الأمة الإسلامية سيكون فيه ما يجدي ويفيد، فكأنه كان في أدعيته هاته يضع تصميما أخلاقيا قرآنيا يرشد به الناس، ويبين لهم فيه ما يجب أن يتحلوا به وما يجب عليهم أن ينبذوه ويجعل ذلك التصميم أساسا لبناء الكيان الاجتماعي، ويتعمد فيه التكرار لتصير تلك المعاني ممتزجة بقلب الإنسان المومن، مرددة معادة لا يفتر عنها لسانه ولا ينساها جنانه.

وعملية التكرار هاته طريقة تربوية كان الصوفيون المغاربة ينهجونها عمدا لتستقر المعاني السامية في نفوس المريدين ولتصبح شعارا عاما يتأثرون به ويؤثرون، لأنهم كانوا يرون الممارسة أهم من الدراسات النظرية الدقيقة، فليست التربية السليمة محتاجة إلى فلسفة نظرية، ولكنها محتاجة إلى سلوك عملي. ومن المعروف أن يتأثر السلوك بالتكرار والممارسة أكثر من ارتباطه بالنظريات المجردة، ولهذا كانت الكتب التي تؤثر في الاتجاه الشعبي تعتمد على البساطة وعلى الوضوح وعلى الالتزام بالروح القرآنية النزيهة التي إذا اقترنت بسلوك الفرد كان لها تأثير قوي على تكوينه الخلقي السليم.

ولقد اهتمت المدرسة المغربية في تصوفها بهذا الجانب واعتمدت فيه على الاتجاه السني البعيد عن المغالاة خصوصا في عهد المرينيين الذين كانوا يمثلون عصر الالتحام الفكري بين المغرب والأندلس.

ففي هذا العصر أصبحت ظواهر الامتزاج قوية بين الفكر المغربي والأندلسي خصوصا بعد انتقال عدد من الأندلسيين إلى المغرب خوفا من تسلط النصارى عليهم وعلى عقائدهم، أو خوفا من الركون إلى الاستسلام النهائي للوضع القائم هناك، وكانت هذه التخوفات مبعثا لنهضة علمية شاملة في المغرب أدت إلى تنمية مراكز التلقين في كثير من المدن المغربية، وما زالت الخزانات العامة والخاصة إلى الآن تشتمل على مخطوطات نادرة تصور مدى الحركة العلمية والصوفية الممثلة لجوانب مختلفة من هذا النشاط الفكري الدال على عناية المثقفين بشؤون دينهم والمبرزة لآمالهم وأمانيهم، فلم يكن المسلم الحق أنانيا في رغباته، ولا مستأثرا بالمنافع العامة بل كان يعبر دائما عن خوالجه تعبيرا شموليا يذيعه أمام الملإ إما على شكل أدعية أو على شكل ابتهالات تدل على ربط مصالحه بمصالح الآخرين، وكانت الكتب من أعظم الوسائل الناجعة في إبراز هاته الرغبات وفي إظهار مبادئها الأخلاقية والتربوية.

ومن يتتبع هذا الكتاب الذي نتحدث عنه وأعني به ملابس الأنوار ومظاهر الأسرار، فسيجد فيه حقيقة ما ذكرناه ملموسا لأنه تفيض فيه ابتهالات المؤلف فيضا يعم جميع مرافق المسلمين، وتتعطر بنفحاته جميع الأرجاء، وفيه يسجل جميع الآمال التي يرجوها لأمته في كل زمان ومكان، فهو مثلا عند اقتباسه من سورة الأعراف كان يدعو الله تعالى أن يلهم الأمة المحمدية جميع الخيرات والحسنات، وأن يجنبها جميع الشرور والسيآت، فقد طلب لها الرزق الحلال والخلق الطيب والعدل في المعاملة وعدم الإسراف والعلم بتفصيل الآيات، والعصمة من البغي والعدوان والنجاة من كل شر، وتيسير العلم الموصل إلى الله وتدمير كل سيآت الأعمال والتوفيق للتقوى ولتأدية حقوق الله والسلامة من بوائق الذنوب ومن عذاب جهنم.

وعندما اقتبس من سورة الأنفال دعا الله أن يهدي أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن يؤيد المسلمين بمدد تأييده وأن ينصرهم على أعدائهم وأن يبعد عنهم رجز الشيطان وأن يعصمهم من الوقوع في الشقاق وأن يسلك بهم مسالك رضاه، وأن يقويهم بالإيمان ويدفع عنهم خوف غيره وأن يجعلهم من الآمنين يوم المعاد، وأن يعزهم بعز طاعته وأن

يغفر لهم ويتجاوز عن ذنوبهم بإحسانه، وأن يدفعهم إلى تغيير ما بأنفسهم وأن يجنبهم خداع المنافقين وأن يخفف عنهم عبء كل المشاق.

أما في سورة براءة، وتسمى سورة التوبة، فقد دعا الله تبارك وتعالى أن يرحم عجز أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن يكون للمسلمين في الدنيا وليا، وفي الآخرة رحيما، وأن يجنبهم الشرك، وأن يغفر خطاياهم، وأن يمنحهم خشيته، وأن ينصرهم على الكافرين، وأن يكون لهم عونا على ميرته، وأن يؤيدهم على المجاهدة فيه، وعلى الصبر على طاعته، وأن يعصمهم من دواعي الفسوق، وأن يغنيهم من فضله، وأن يتم نور إيمانهم، وأن يوفقهم في الاطلاع على العلوم الدينية، وأن يجعل كلمتهم قائمة عالية، وكلمة أعدائهم واهية هاوية، وأن يحفظهم من الشقاق، وأن يطلق ألسنتهم بطيب تقديسه وتحميده، وأن يهديهم للخير، وأن يجعلهم مستجيبين لله في أداء الزكوات المفروضة، وأن يعصمهم من العذاب الأليم، وأن يجعلهم من المتمثلين أمره، والقائمين بعبادته ، وأن يعصمهم من الكذب والنفاق، وأن يعينهم على القيام بشروط فروضه وسننه، وأن يتوب عليهم توبة تلحقهم بنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبآله، والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وأن يرشدهم إلى المعرفة، وأن يفقههم في الدين وأن يجعلهم من المتوكلين.

وحينما وصل المؤلف إلى سورة يونس دعا الله أن يلهم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم القدرة على إدراك سر عظمة الله في خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأن يوفقهم إلى إدراك أسرار ربوبيته، وأن يجعل بدأهم سعيدا، ومعادهم حميدا، وأن يرشدهم إلى طاعته، وأن يضيء لهم طريق الإيمان، وأن يقبل بفضله دعواتهم، وأن يعصمهم من الظلم والشرك، وأن يجعلهم من السعداء في الغيب والشهادة، وأن يفسح لهم مجال فهم آياته والتأمل في أسرار دلالاته، وأن يجنبهم عذاب يوم عظيم، وأن يصلح ما فسد من أعمالهم، وأن يعينهم على إقامة الحق وأن يحشرهم في زمرة أحبائه، وأن يجعل مرجعهم كريما، ومآلهم سليما، وأن يبوئهم مقعد بروره، وأن يمنحهم موانح إحسانه، وأن يصلح أحوالهم الجلية والخفية، وأن يجعلهم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كما دعا الله تعالى أن يعينهم على تنزيهه من كل أنواع الشرك، وأن يجعلهم من الموفين بعهوده التي عاهدهم عليها نبيه الكريم، وأن يعافيهم من الوقوع في حبائل السحر، وأن يكشف عنهم كل ضر سبق به القدر إنه مجيب الدعاء.

وحينما وصل إلى سورة هود دعا الله أن يجعل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من المتمثلين أمره الذين استغفروا فغفر لهم، وأن يعلمهم أسرار قدرته، وأن يلهمهم اليقين في الإيمان به، وأن يعصمهم من الوقوع في حبائل مظالم العباد، وأن يرحمهم في الدنيا، ويوردهم من حياض منته أعظم مراد، وأن يفقههم في الدين، وفي أخبار الأولين، وأن يعافيهم من الوقوع بحصائد ألسنتهم في عقاب جسيم يوم المعاد، وأن يوفيهم أجرهم بفضله غير منقوص، وأن يرشدهم للعدل فلا يظلمون، وأن يهديهم للعبادة الدائمة، وأن ينزع عن قلوبهم حجب الغفلة، وأن يحقق لهم استيعاب قوله تعالى : ﴿**وما ربك بغافل عما يعملون**﴾.

وأما في حديثه عن سورة يوسف، فقد دعا الله أن يمنح أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من واسع عطائه ما ينفعهم، وأن يجعل لهم من قصصه موعظة وحكمة، وأن يكون لهم عونا عما يصفون من جميل أسرار أمره، وأن يستجيب لهم إذا دعوه، وأن يصرف عنهم كل المكايد، وأن يخولهم من موانح نعمه نعما شاملة، وأن يعلمهم علما يحقق لهم معرفة وحدانيته، وأن يلطف بهم في جريان أحكامه، وأن يدفع عنهم مكايد الخائنين، وأن يمنحهم يوم لقائه أعلى مرتبة، وأن يجعلهم من المتوكلين، وأن يتوفاهم مسلمين، ويجعلهم من الصالحين، وأن يحول بينهم وبين ارتكاب الجرائم وييسر لهم كل موانح الإنعام.

وفي سورة الرعد، دعا الله أن يرفع همة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن يجعلهم خاضعين لكبريائه، وأن يسبغ عليهم نعمه، وأن يكسبهم خوفا يحفظهم من ناره، وأن يجعلهم مسبحين كما يسبح الرعد بحمده، وأن يمنحهم علما يلهمهم توحيده، وأن يجعل دعاءهم مقبولا، وأن يمحو عنهم خطاياهم الموبقة، وأن

يثبت حسناتهم، وأن يفقههم في كتاب الله، وأن يجعل اكتسابهم ذكرا وشكرا وحسن عبادة.

وأما في سورة ابراهيم، فقد دعا الله أن يجعلهم من الحامدين له بلسان إلهامه، وأن يفقههم في علم لسان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن يغنيهم عمن سواه، وأن يهديهم لحقيقة التوكل عليه، وأن يفتح بصائرهم، وأن يثبتهم بفضله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يسخر لهم كل شيء يدلهم على مغفرته، وأن يلبسهم جلابيب نعمه الضافية، وأن يسمع دعاءهم، ويمن عليهم بإجابتها، وأن يعصمهم من مضار الانتقام، وأن يجعل حسابهم لديه سريعا، وأن يكون جزاؤهم عنده أحسن جزاء.

ثم دعا الله في سورة الحجر أن يجعل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من العاملين بأوامر ذكره، وأن يكرمهم خير تكريم، وأن يحفظهم من كل شيطان رجيم، وأن يفيض عليهم من نعيم خزائنه، وأن يحيي أرواحهم بتنسم نوانم رضوانه، وأن يحشرهم في زمرة أحبائه، وأن يغفر لهم وأن يكفيهم شر المستهزئين، وأن يعلمهم من علم السبع المثاني والقرآن العظيم.

وأما في سورة النمل فقد دعا الله أن يعصم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الإشراك به، وأن يجعلهم من المتقين، وأن يجنبهم كل أسباب الخصام، وأن يلهمهم الشكر والتدبر، وأن يجعلهم من الساجدين له سجودا يرضاه بفضله، وأن يعزهم بعز طاعته، وأن يحفظهم في عقولهم، وأن يمكنهم من الفقه بمضمون كتاب الله، وأن يعصمهم من مضار كل غي، وأن يجعلهم من المجتبين الأخيار الذين يأخذ بأيديهم في الدنيا والآخرة، والذين يكونون من المحسنين.

وأما في سورة الإسراء، فقد دعا الله أن يجعل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مفتقرة إلى رحمته افتقارا يخولها بروره العام، وأن يمنح المسلمين في هذه الدنيا رضاه التام، وأن ينزههم من الشرك، وأن يجعلهم من المنزهين له عما يقول الجاحدون، وأن يمنحهم حلما يخولهم هداه ومغفرةً توليهم موانح جداه، وأن ينجيهم بفضله من الغرق في بحار عذابه، وأن يجعلهم بفضله غارقين في بحار منته وإنعامه.

ولما وصل إلى سورة الكهف دعا الله أن يجعل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الشاكرين عند الاقتضاء، ومن الصابرين عند الابتلاء، وأن يعصمهم من الإشراك وأن يجعلهم من العاملين بأحكام آياته التي لا مبدل لها، وأن يقبل أعمالهم، وألا يضيع أجرهم، وأن يعلمهم علوم كلماته التي لا تحصى بحد، وأن يفيض عليهم من بركاته التي لا تستقصى بعد.

وبالحديث عن هاته السورة انتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي يمثل الروح الإسلامية العامة الهادفة إلى خلق مسلم ملتزم واعٍ عاملٍ على إقرار الخير في الدنيا للعباد، وعلى اختزان جزائه ليوم المعاد.

ومما يمتاز به هذا الجزء الذي اطلعنا عليه، أن ما يحتوي عليه من أدعية يعتبر إيحاء عمليا يخطط للمسلم ما يجب أن يقوم به، فليس فيه تواكلية ولا استسلام، وإن عناصره المختلفة لتعتبر عناصر تكوينية لمجتمع سليم، ففيه دعوة إلى العلم والعمل وأمر بالعدالة والإحسان، وحرص على الجمع بين المعرفة الدينية والدنيوية، وبيان لقيمة اللغة العربية التي تعين معرفتها على فهم آيات الله واستيعاب أحكامها.

وفيه دعوة إلى الاتحاد والأخوة وإلى الابتعاد عن كل أسباب الخصومات ليعيش المسلم آمنا من الفتن بعيدا عن الخوض فيما لا يعنيه.

ولم ينهج المؤلف في تلقين هذه التعاليم نهجا منطقيا أو عقلانيا وإنما اعتمد فيها على الجانب الوجداني الذي يملك الإنسان ويجعله مرتبطا بالقيم المثلى عن طريق الامتزاج النفسي المتجلي في السلوك وفي الالتحام الاجتماعي القوي وفي التواصل التلقائي بين مختلف الأفراد، ذلك التواصل الذي يحقق الوحدة ويطبع الوجود الإسلامي بالمودة والمحبة والإخاء.

وما أحوجنا اليوم إلى تنمية هذه الروح الوجدانية لنحيا من جديد حياة ملؤها تعاليم القرآن وشعارها خلق القرآن تستمد وجودها من إيمان قوي وعقيدة طاهرة وتستلهم كيانها من المبادئ السنية الخالدة الخالية من كل زيف أو تحريف.

**فاس - محمد بن عبد العزيز الدباغ**

# خَتماتُ صَحيحِ البُخارِي

للدكتور يوسف الكتاني

**مدخل :**

إن الختمات أو الختم من العادات المحمودة، والسنن الكريمة المعهودة التي سجلها تاريخ الفكر الإسلامي، وعرفتها مراكز الثقافة بمناسبة انتهاء العالم أو الشيخ من تدريس فن من الفنون، حيث يعقد مجلس حافل يسمى «يوم الختمة» يكلل به مجالس الشيخ في الفن الذي يدرسه، من نحو أو فقه أو تفسير أو حديث، ويختم فيه الكتاب الذي درسه لطلبته وتلاميذه، بعد أن يستعد لختمته ويجتهد في اختيار موضوعه، مركزا على علومه ومعارفه، مفرغا كامل جهده وطاقته، ليكون مبرزا فيه بسبب حضور علماء البلد وشيوخها معه في ختمته، مما يدفعه لإظهار عبقريته ومقدرته العلمية، وخاصة في موضوع الختم أو الفن المختوم.

وهذا ما يجعل الختمات بما تمتاز به من تبريز العالم أو الشيخ في فنه، وبما يحاط به مجلس الختم من أهمية وتقدير، بحضور العلماء والكبار إلى جانب الطلبة، وقد يحضره في أحايين كثيرة الملوك والأمراء والكبار كما حدث في المغرب مرارا، بالإضافة إلى أن العادة جرت أنه قلما يتصدى للختم إلا المبرزون والنبغاء وكبار العلماء، كل ذلك يجعل الختمة بمثابة أطروحة أو عرض يقدمه الشيخ أمام العلماء والشيوخ من أقرانه ومنافسيه، وربما الأمراء والملوك والخاص والعام، بما تمتاز به من املاآت واجتهادات وعروض شيقة في الفن المختوم.

ومن ذلك نجد أن الشيخ الحافظ أبا العباس أحمد ابن علي الزموري، عندما انتهى من دروسه في تفسير الإمام الرازي، عقد مجلسا حافلا للختم، ووجهت رقاع الدعوة إلى عدد من كبار قادة البلاد، وفي مقدمتهم الأمير الشيخ ولي عهد السلطان المنصور السعدي، وكان من بين من حضر يوم الختم إلى جانبه عدد كبير من شيوخ العلماء وكبارهم كالإمام يحي السراج والقاضي الحميدي وغيرهما.

وقد كان موضوع الختم الذي اختاره الشيخ تفسير الآية الكريمة : ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ حيث ذكر في مجلسه ثلاثة وعشرين تأويلا في تفسيرها (1).

وعندما ينتهي الشيخ من ختمه يقوم الشعراء بإلقاء قصائدهم، تمجيدا للشيخ وثناء على عمله وذكر صفاته

1 ) جامع القرويين 2 / 431 ـ الدكتور عبد الهادي التازي.

وتبريزه في الفن المختوم، كما يحمل عند نهاية المجلس على الأعناق والكواهل من طرف طلبته ومحبيه إلى بيته، في مهرجان وإكبار، حيث يحتفل به رجال المدينة والعلماء ويقدم الحليب والتمر، وتقام المآدب والاكرام، وقد تقدم إلى الشيخ بعض الهدايا والصلات من طرف الملوك والأمراء (2).

أما مناسبة الختم فتتعدد حسب الظروف، فإذا كان الغالب أنها تكون بمناسبة إنهاء العالم دراسة فن من الفنون أو كتاب من الكتب، كما هو الشائع عند الانتهاء من دراسة الموطا أو الكتب الستة أو الأجرومية أو الألفية وغيرها كما سنرى فيما بعد، فإن الختم أيضا يكون في مناسبات أخرى عندما يتهيأ الجيش للخروج للجهاد وهو ختم القراءة، كما حصل عندما كان يستعد، الجيش المغربي بقيادة الملك السعدي للخروج إلى جهاد البرتغال وقتالهم في معركة «وادي المخازن» قبل أربعة قرون، إذ ختمت سلك القرآن مائة ختمة، وكذا ختم صحيح الإمام البخاري كما نص على ذلك المؤرخان اليفرني وصاحب الاستقصا وغيرهما (3).

كما كان الختم يقع بمناسبة تشييد قصر ملكي، كما حصل أيام السلطان الحسن الأول عندما أمر بأن يدشن قصر الرباط بمجلس ختم صحيح الإمام البخاري (4).

هذا وإن كان المشهور المعروف في المغرب أن أكثر الختمات كانت تتعلق بصحيح البخاري، لشدة اهتمام المغاربة وعنايتهم بالصحيح خاصة، فإن الختمات لم تكن مقصورة على علم بعينه، أو فن خاص، بل كانت تشمل أغلب العلوم والفنون، فقد كانت هذه العادة جارية معروفة في المغرب إذ يعقد العلماء والدارسون مجالس للختم إثر انتهائهم من تدريس مختلف العلوم، ذلك أننا نجد ختمات كثيرة في الحديث والنحو والفقه والتفسير وغيرها من العلوم والفنون وختمته لجامع الترمذي بالقرويين (5) أملاها سنة 1328 هـ وختمة الشيخ المكيلدي لمختصر خليل بفاس (6) وختم السيدة زوج الشيخ المختار الكنتي للمختصر الخليلي إثر الانتهاء من تدريسه للنساء في اليوم الذي ختمه زوجها بجهة أخرى (7) وختمة سيدي محمد بن جعفر الكتاني لصحيح مسلم وختمه للموطا (8) وختمة «الاجرومية» للشيخ عبد القادر بن سودة المسماة «فتح القيوم في ختمة مقدمة ابن جروم» وهي مطبوعة (9) وختم «المرشد المعين» لعبد الواحد بن عاشر (10) وختمة الأجرومية لسيد أحمد بن جعفر الكتاني المسماة «النفحات الوردية الندية لمريد ختم المقدمة الأجرومية» (11) وختمة الألفية لخليل بن صالح الخالدي التلمساني المطبوعة بفاس (12) وختمة على الرسالة لابن مغيرة أحمد المكناسي الرباطي (13) وختمة للشمائل لابن عزوز محمد المفضل بن الهادي بن أحمد (14) وختم الموطا للشيخ البطاوري (15) وخاتمة الفيروزبادي في الأحاديث المشتهرة (16) وختم المواهب اللدنية للشيخ عبد الكبير الكتاني (17) وختم مسند أبي داود المسمى «تحفة الودود في ختم مسند أبي داود» للشيخ محمد مرتضى الزبيدي (18).

## ختمات البخاري :

هذا فن من فنون الحديث ولون ظريف من ألوان التأليف فيه، يكاد يتميز به المحدثون المغاربة على الخصوص، فإذا كانت الختمات عرفت في العالم الإسلامي كله بالنسبة لسائر العلوم الأخرى، فإن ختمات البخاري لم تشتهر كما اشتهرت بالمغرب كمظهر فريد ومتميز، يدل

2 ) الاتحاف ج 2 ـ عبد الرحمان بن زيدان.

3 ) نزهة الحادي ص 65.

4 ) المغرب في عهد الدولة السعدية ص 105.
مدرسة الإمام البخاري في المغرب، الدكتور يوسف الكتاني 2 / 601 و602.

5 ) المصدر السابق نفس الصفحة.

6 ) فهرس الفهارس 1 / 420.

7 ) النبوغ 1 / 281 و282.

8 ) معجم المحدثين ص 30.

9 ) الموسوعة المغربية ع 2 ص 13.

10) توجد بالخزانة العامة تحت رقم 1820 د.

11) الموسوعة المغربية ع 1 ص 6.

12) الموسوعة المغربية ع 2 ص 101.

13) الموسوعة المغربية ع 2 ص 83.

14) الموسوعة المغربية ع 2 ص 6.

15) معجم المحدثين ص 37.

16) فهرس الفهارس 2 / 270.

17) فهرس الفهارس 2 / 141.

18) فهرس الفهارس 1 / 408 ـ وانظر تفصيل الموضوع بكتابنا مدرسة الإمام البخاري في المغرب 2 / 600 ـ 650.

على مدى العناية الفائقة والأهمية الكبيرة التي أولاها المغاربة لصحيح الإمام البخاري.

هذا ولا يعرف لختمات البخاري تاريخ معين، لأنها فن من فنون الحديث لم يؤلف فيه ولم يؤرخ له، خاصة وأن أكثر الختمات لم تكن مكتوبة ولا مدونة، وإنما كانت تعقد مجالس الختم عندما ينهي الشيخ دراسة الصحيح ويلقي ختمته ويبرز فيها ويحتفل بها، ولكن أحدا لا يسجل شيئا عنها، خاصة وأن وسائل الإعلام ووسائل التسجيل كانت قليلة، وذلك ما يقف في وجه الدارس والمؤرخ عندما يبحث عن أقدم الختمات، أو عن أول ختمة للبخاري ليمكنه التأريخ لهذا الفن تأريخا علميا، وهو ما أحاول في هذا البحث الوصول إليه إذ لم يسبقني أحد ـ فيما أعلم ـ للتعريف بالختمات عامة وختمات البخاري خاصة.

كذلك لا يعرف أول من بدأ هذا اللون من الحديث، حتى يمكن ذكره في صف الرواد من أصحاب الختمات، ولذلك يعود الاعتبار والتقدير إلى أول ختمة موجودة لدينا، حسب حياة صاحبها وتاريخ إلقائها وتحريرها، في انتظار الكشف عن ختمات أخرى فيما بعد بحول الله، وهذا ما يجعلنا نحجم عن الجزم بأحكام قاطعة في الموضوع مما يجعل الباب مفتوحا أمام الأجيال المقبلة من الباحثين.

إن ختمات البخاري لم تكن مشهورة لدى المشارقة، ولم تكن سنة مألوفة كما هو الشأن عندنا بالمغرب، وخاصة بالنسبة للجامع الصحيح حيث جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية، عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدريسه وإقرائه وشرحه، يكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية وفي مقدمتها الكتاب والسنة، وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب ترجمته وحياته، ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع، وعن سنده ومتنه شرحا مستفيضا، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أو المتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار.

ويشبه صنيع المغاربة في مجلس الختمات، بمجالس الاملاء الحديثية التي عرفها الشرق، وبرز فيها المحدثون، وعقدوا لها أبوابا في كتب المصطلح وأدرجوه في آداب المحدث كما هو الشأن في تدريب الراوي للسيوطي.

غير أن المشارقة لم يكونوا يتقيدون في مجالس الاملاء بكتاب خاص، كما هو شأن المغاربة في ختمات البخاري، إذ يعقد المحدث مجلسا يملي فيه بعض مروياته من حفظه، ثم يختم المجلس بحكايات وأشعار ونوادر ونكت تناسب المقام، ومن أشهر أصحاب مجالس الاملاء عند المشارقة نذكر الحافظ ابن حجر (19) الذي أملى أكثر من ألف مجلس، وقبله شيخه الحافظ العراقي ت 762 هـ الذي أملى أكثر من 4000 مجلس، وزين الدين بن عبد الرحيم الحسني العراقي المصري (20) وبعده ولي الدين أبو الفضل أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة 828 هـ الذي أملى أكثر من ستمائة مجلس (21)، والحافظ السيوطي أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ت 919 هـ الذي عقد أكثر من مائة مجلس (22) ثم الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوي ت 902 هـ الذي بلغت مجالسه أكثر من ستمائة مجلس كما ذكر هو نفسه (23) والحافظ ابن الصلاح الذي سار على سنن شيوخه في ذلك.

وقد جمعت أمالي المحدثين في كتب عرفت «بكتب الأمالي والاملاء» إذ كان من وظائف العلماء قديما خصوصا الحفاظ أهل الحديث، في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة، وهو المستحب أن يكون في المسجد لشرفهما، وطريقهم فيه أن يكتب المستملي في أول القائمة :

هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا، يذكر التاريخ ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث وآثارا، ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها

19) الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي 2 / 336.

20) فهرس الفهارس 2 / 436 نقلا عن تدريب الراوي وفتح المغيث.

21) فهرس الفهارس 2 / 436.

22) التدريب ص 176 ـ فهرس الفهارس 2 / 352.

23) فهرس الفهارس 2 / 335 ـ 373.

بإسناد أو بدونه ما يختاره ويتيسر له، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشيا كثيرا، ثم ماتت الحفاظ وقل الاملاء، وقد شرع الحافظ السيوطي في الاملاء بمصر سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، وجدده بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة مات الحافظ ابن حجر على ما قاله في المزهر وكتبه كثيرة (24).

وأول ما نعرف من الختمات ما جاء في «فتح الباري» لابن حجر، أنه ختم البخاري واحتفل بذلك فيكون أقدم من نعلم ـ إلى الآن ـ ممن ختم البخاري هو الحافظ ابن حجر المتوفى سنة 752 هـ ولا نعرف أن ختمته هذه دونت وكتبت. غير أن أول ختمة مدونة ومطبوعة نعرفها وتوجد بين أيدينا، هي ختمة الإمام القسطلاني شارح البخاري والمسماة «تحفة السامع والقارئ بختم صحيح البخاري» عثرت عليها مخطوطة بالخزانة الملكية تحت رقم 1173 (25)، كما نجد في ترجمة الحافظ أبي الخير السخاوي أن له عدة ختمات : إحداها في صحيح البخاري سماها «عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع» (26) وله غيرها حول صحيح مسلم والشفا للقاضي عياض (27).

وقد عرف نوعان من الختم :

**ختم القراءة :** ويقصد به ختم سرده وإسماعه وهذا كثير يكاد لا يخلو منه مسجد أو مركز ثقافي، حيث يتعبد الناس، بسماع الصحيح وإسماعه دائما وخاصة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان من كل عام، وكما هو جار إلى الآن بالضريح الإدريسي بزرهون منذ سن قراءته القاضي محمد إدريس العلوي، وما زالت تختم قراءته في محفل كبير عصر السادس والعشرين من رمضان من كل سنة بمحضر العلماء وممثلي السلطة وعامة الناس، وتنقل الإذاعة حفل الختم في كل سنة، وقد دأبت على مشاركة العلماء في هذا المجلس منذ رجعت من الشرق منذ أكثر من عشر سنوات وما زلت إلى الآن.

ونذكر من هذا النوع وهو كثير بعض العلماء الذين اشتهروا بقراءة الصحيح والمداومة على اسماعه واقرائه مثل الشيخ جعفر الكتاني الذي ختمه ما بين سماع واسماع بالزاوية الكتانية بفاس أكثر من عشرين مرة (28)، والشيخ عبد الكبير الكتاني الذي ذكر ولده الشيخ عبد الحق الكتاني أنه ختمه خمسين مرة ما بين سماع واسماع وإقراء، وما ذكره ابن الأبار في تكملته من أن ابن عطية ختم البخاري وحده سبعمائة مرة.

والنوع الثاني ختم الاقراء : وهو عبارة عن المجلس الحافل الذي يعقده العالم أو الشيخ، بمناسبة انتهاء دراسته مع طلبته وإقرائه للجامع الصحيح، قراءة استيعاب وتمحيص ودراية، ولذلك يتهيأ لمجلس الختم ويجتهد في الإعداد له، لما يحاط به من هالة ولما يحضره من علماء وشيوخ، فيكون مناسبة لتبريز المحدث وإظهار علمه وتفننه واطلاعه، وهذا النوع الثاني هو المقصود بالختمات من بحثنا، ومثل هذه الختمات العلمية هي التي كتبت ودونت، وبقيت علامة واضحة في تاريخ الفكر المغربي، وشاهدا ودليلا قويا على مدى عناية المغاربة وتفانيهم في الاهتمام بالجامع الصحيح.

ونجد من عيون هذه الختمات العلمية المدونة أقدمها وأروعها، ختمة الشيخ عبد القادر الكوهن في القرن قبل الماضي، وسنقوم بتقديم دراسة موجزة عنها كنموذج مغربي لختمات البخاري (29)، وختمة الشيخ محمد بن حمدون بن الحاج، وختمة الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة، وختمة الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وختمة الشيخ العربي بن السائح، وختمات تلميذه أحمد بنموسى السلاوي، وختمة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغيرها.

على أن أروع ختمات البخاري وأرفعها نفسا وأشهرها ذكرا، هي ختمة جدنا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني المطبوعة بفاس (30) والتي أملاها بجامع القرويين من الغلس إلى الزوال، في محفل مشهور ضاقت به رحاب القرويين وتحدث عنها الخاص والعام، والتي اظهرت نبوغه وعبقريته.

**مناسبات الختم :** إذا كانت الختمات العلمية لصحيح البخاري، هي المقصود بالذات وهي اللون المسجل والمدون من أنواع الختمات، فإن مناسبات الختم كثيرة ومتعددة نذكر منها :

24) الرسالة المستطرفة ص 159.

25) وتوجد بمكتبتي مصورة عنها منها نقلت هذه المعلومات.

26) فهرس الفهارس 2 / 335.

27) المصدر السابق 2 / 336.

28) المصدر السابق 1 / 132.

29) توجد مصورة عنها بمكتبتي عن الأصل المحفوظ بالخزانة الملكية.

30) جميع هذه الختمات توجد نسخ منها إما أصلية أو مصورة بمكتبتي.

الختم الذي يحصل بمناسبة خروج الجيش للجهاد وحرب العدو، كما حصل عندما كان الجيش المغربي يستعد بمراكش للخروج لمقابلة البرتغال في معركة وادي المخازن بقيادة السلطان السعدي، كما سجل المؤرخون ذلك وأثبتوه.

فعندما عقد المنصور السعدي الراية للجيش في طريقه إلى وادي المخازن وسط جامع المنصور بمراكش، ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخاري، وصحبوا ذلك بالتهليل والتكبير، والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء بالنصر والتمكين(31).

كما كان يختم صحيح البخاري، بمناسبة تدشين القصور والمساجد والمدارس، فقد اقام السلطان الحسن الأول عندما تم بناء قصره بالرباط، حفلا تدشينيا عقد في القصر نفسه، وختم فيه الصحيح ختمة علمية حضرها الأمراء ورجال الدولة وكبار الشيوخ والعلماء (32).

وعادة الختم هذه دأب عليها سلاطيننا وملوكنا منذ عرف المغرب الجامع الصحيح وخاصة على عهد الدولة السعدية في أيام المنصور السعدي، الذي كانت سيرته في شهر رمضان المواظبة على سماع الصحيح وحضور مجالس اقرائه بين يديه، وعقد مجلس حافل لختمه، وقد تحدث عن هذا المجلس صاحب «الاستقصا» بقوله (33) :

«وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري، وذلك أنه كان إذا دخل رمضان سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخاري، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا في كل يوم سفر إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخاري وتهيأ له السلطان أحسن تهيء، وكانت العادة الجارية عندهم في ذلك، أن القاضي يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالى النهار ختم المجلس وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته، ومن الغد يبتدئ سفرا آخرا، هكذا والسلطان في جميع ذلك جالس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع».

هذا وقد اكتسى حفل ختم صحيح البخاري بزاوية الدلائيين، طابع الموسم، حيث تشد إليه الرحال من كل مكان، ويطعم فيه الطعام على طريقة الدلاء الحاتمية، ويلقي الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي درسا في نصف يوم كامل يشهده علماء من فاس ومراكش وغيرهما، ويتلوه إنشاد القصائد في مدح البخاري وكتابه، والإشادة بشيخ الدلاء وسعة علمه، ولم يكن الشيخ محمد بناصر الدرعي يتخلف في رمضان عن قراءة صحيح البخاري وختمه بزاوية «تامكروت» في نهاية العهد السعدي (34).

كما كان السلطان محمد الخامس كثيرا ما يعقد مجالس لختم كتب الحديث وخاصة الجامع الصحيح، الذي يبتدئ قراءته بمحضره خلال ثلاثة أشهر من كل سنة، ابتداء من رجب إلى رمضان الذي يعقد فيه مجلس الختم بحضور علماء المملكة وكبارها وأعيانها (35).

وما زالت العناية بالصحيح قائمة ومجالسه دائمة مستمرة، فقد داوم الملك الحسن الثاني على مجالس الحديث، وخاصة في رمضان كما جرت العادة على اختتام تلك المجالس بختم الصحيح، بقراءة آخر أحاديث الصحيح سندا ومتنا مع دعوات وابتهالات، وقد داوم على القيام بذلك إلى الآن أستاذنا الشيخ الرحالي الفاروق حفظه الله.

وما زالت مجالس البخاري قائمة بمولاي ادريس زرهون، حيث تستمر قراءته طوال الأشهر الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان صباح كل يوم، ويختم عصر اليوم السادس والعشرين من رمضان في محفل كبير ومشهد عظيم، يحضره العلماء والشرفاء ورجال السلطة وجمهور كبير من أنحاء المغرب، حيث يقوم جماعة من العلماء بإسماع الأحاديث من الجامع الصحيح قدر الساعة من الزمان، ثم

31) نزهة الحادي لليفرني ص 65.
المغرب في عهد الدولة السعدية ص 105.
32) انظر تفصيل ذلك في كتابنا مدرسة الإمام البخاري في المغرب 2 - 609 و610.
33) الاستقصا 5 / 153 - 154.
34) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين 1 / 115.
35) جامع القرويين 2 / 467.

يختم إمام الضريح الإدريسي عادة بقراءة الحديث الأخير من الصحيح ودعوات وابتهالات.

وقد كان لي شرف ختم الجامع الصحيح بالقبة الحسنية بالضريح الإدريسي الأكبر في ليلة القدر من سنة 1396 / 1976، حيث أمليت ختمة علمية في مشهد عظيم، تناولت فيها الكلام على الحديث الأخير من البخاري، مترجما لرجال سنده وشارحا لمتنه، وقد قامت الإذاعة بنقل الختمة المذكورة مباشرة في حينها، وبذلك أكون قد ساهمت في إحياء هذه السنة الحميدة والعادة الكريمة، كذلك مازال البخاري يقرأ ويختم إلى الآن في الزاوية الناصرية «بتامكروت» حيث يقرأ في نسخة ثلاثينية منها يقرأ جزء كل يوم، ثم يقع ختمه في آخر شهر رمضان في حفل مشهود، كما يقرأ ويختم في زاويتنا الكتانية الشهيرة يوم الموسم من كل عام.

وما زال أهل زاوية «ابن السبع» يداومون على قراءة صحيح البخاري وختمه وخاصة في شهر رمضان.

ونذكر من المدن التي تحافظ على سنة اسماع البخاري وقراءته مدينة مكناس، حيث تفتتح قراءة البخاري في عدة أماكن في شهر رمضان، سواء بالمسجد الأعظم الذي تبتدئ قراءته في مستهل رمضان ويختم في مشهد كبير بعد زوال السادس والعشرين من رمضان، كما يقرأ في نفس الشهر وبنفس الاهتمام بالزاوية الكتانية وبالزاوية العلمية والزاوية الكنتية وغيرها (36).

### انعام وهدايا بمناسبة الختم :

أشرنا فيما سبق إلى أنه يحتفى بالخاتم عند نهاية ختمته، حيث تلقى في المجلس قصيدة أو قصائد للتنويه به وبالفن المختوم، كما يحتفى به حيث يحمل على الكواهل والأكتاف في موكب ضخم إلى داره، وتقدم الأطعمة إلى المحتفلين، وقد تقدم إليه بعض الهدايا والصلات.

من ذلك ما نجده مسجلا في فهرس الوثائق، من أنه كانت تمنح صلات لأصحاب الختمات تكريما لهم وتشجيعا، إذ نجد أنه صدر الأمر بتنفيذ صلة بمناسبة ختم الصحيحين (37).

كما نجد أمرا آخر بتنفيذ صلة بمناسبة ختم صحيح البخاري (38)، وصدر أيضا إنعام بمناسبة ختم صحيح البخاري (39)، وتنفيذ صلة بمناسبة ختم صحيح البخاري أيضا (40).

### دعوات الختم :

لقد جرت العادة أن ينهي الخاتم مجلس الختم بدعوات وابتهالات مشهورة وصلوات على النبي الكريم، مستمدة من الحديث الشريف، ومن آثار العلماء والصالحين، وقد يكون الاختتام بقصيدة شعرية في الكمالات المحمدية، كما فعل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني عند نهاية ختمته، مع ملاحظة اختلاف أسلوب دعوات الختم حسب زمان الختم ووقته وتبعا لمشرب الخاتم ونفسه.

وقد تجمع لدينا من مجموع ختمات البخاري المغربية دعوات وابتهالات وصلوات على الرسول الأعظم، نذكر من أحسن ما قيل منها عند الختم :

الحمد الله ما وجد بآخر نسخة من صحيح البخاري بخط الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، ومن خطه أيضا يعني أبا عمران بن سعادة رضي الله عنه، قرئ على الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف رضي الله عنه، والفقيه أبو علي رضي الله عنه يسمع قال، قال أبو ذر سمعت أبا الهيثم يدعو بهذا الدعاء عند فراغه من قراءة كتاب البخاري :

الحمد لله حمد معترف بذنبه، ومستأنس بربه، جعل فاقته إليه، واعتمد في العفو عليه... ذنوبه تقلقه، روح قلبه بذكره، وطاش عقله من جرمه، لا يوجد في أحواله إلا قلقا، وطائر القلب فرقا، وخوفا من النار وفضيحة العار، وغضب الملك الجبار، إذا ميز الأخيار والأشرار، وجيء بالجنة والنار، وبدلت الأرض وانشقت السماوات، وتناثرت النجوم

36) العز والصولة 1 / 177 ـ 178.
37) فهرس الوثائق لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق س 77 ص 34.
38) المصدر السابق ص 36.
39) المصدر السابق ص 37.
40) المصدر السابق ص 37.

الزاهرات، وانتظر المحشورون ماذا يكون في ذلك اليوم، يوم وأي يوم، يوم يفزع من هوله المحسنون، ويغرق في بحاره المسيئون، في يوم تلاحقت أوجاله، وترادفت أهواله، ونادى المنادي : باسمك تدعى إلى الحساب، وإلى قراءة ماحصلته في ذلك الكتاب، وتقام بين يديه عاصيا، وتقدم إليه خاطيا، فإما مغفور لك، فصرت إلى الجنة مسرورا، وإما مسخوط عليك، فصرت إلى النار مأسورا، نعوذ بالله من النار ونسأله البعد منها، فأنك ملك كريم، جواد رحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما (41).

ومن ذلك ما أنهى به الشيخ عبد القادر الكوهن ختمته المشهورة «نوافح الورد» بقوله : ومن أحسن الأدعية وأجمعها لخير الدارين وأرجاها للإجازة، خاتمة دعاء الفرج الذي رواه جعفر الصادق رضي الله عنه عن أسلافه الكرام مرفوعا وهو : اللهم إني أسألك إيمانا دائما الخ... روى الترمذي والحاكم في نوادر الأصول بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه أتاه جبريل عليه السلام بينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر فنظر إليه جبريل فقال أبو ذر قال فقلت يا أمين الله وتعرفون أنتم أبا ذر قال نعم والذي بعثك بالحق بشيرا ونذيرا، أن أبا ذر أعرف في السماء منه في الأرض، إنما ذلك بدعاء يدعو به كل يوم مرتين تعجبت الملائكة منه فادعه وسله عن دعائه، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر دعاء تدعو به كل يوم مرتين، قال نعم فداك أبي وأمي ما سمعته من بشر، وإنما هو عشرة أحرف ألهمنى بها ربي إلهاما، وأنا أدعو به كل يوم مرتين أستقبل القبلة فأسبح الله مليا، وأحمده مليا، وأهلله مليا، وأكبره مليا، ثم أدعو بتلك العشر الكلمات : اللهم أني أسألك إيمانا دائما، وأسألك دينا قيما، وأسألك العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس، قال جبريل : يا محمد والذي بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غفرت له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر وعدد تراب الأرض، ولا يتوفى أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان، واستغفر له الملكان، وفتحت له أبواب الجنة فنادت الملائكة : يا ولي الله ادخل من أي باب شئت (42).

وقد ورد في ختم المجلس أحاديث كثيرة كثيرة، وأخبار شهيرة، فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك، وعن أبي برزة الاسلمي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل : يا رسول الله إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى، فقال : كفارة لما يكون في المجلس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما جلس رسول الله ﷺ مجلسا ولاتلا قرآنا ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت يا رسول الله : أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلي صلاة إلا ختمت بتلك الكلمات، قال نعم من قال خيرا كان طابعا له على ذلك الخير، ومن قال شرا كانت كفارة له، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك. وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر، كان كالطابع يطبع عليه ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له».

## بعض الختمات المشهورة

### ختمة صحيح البخاري (43)
### المسماة
### إظهار نفائس ادخاري
### المهيآت لختم كتاب البخاري

أبو العباس أحمد بن قاسم ساسي
البوني المتوفى سنة 1139 هـ

### ختمة البخاري (44)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي
المتوفى سنة 1144 هـ

---

41) منقول عن نسخة خطية من صحيح البخاري بالخزانة الملكية ص 451.

42) ختمة الكوهن ص 127 ـ 128.

43) فهرس الفهارس 1 / 169.

44) توجد بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

**ختمة البخاري (45)**
**المسماة**
**«نوافح الورد والعنبر والمسك الداري لشرح آخر ترجمة صحيح الإمام البخاري».**
للشيخ عبد القادر الكوهن
المتوفى سنة 1254 هـ

**ختم البخاري (46)**
محمد بن حمدون بن الحاج
المتوفى سنة 1274 هـ

**ختمة البخاري**
**المسماة**
**عون البـاري على فهم آخر تراجم صحيـح الإمـام البخاري (47)**
أحمد بن الطالب بن سودة
المتوفى سنة 1321 / 1905

**ختمة البخاري**
**المسماة**
**شرح آخر ترجمة من صحيح الإمام البخاري (48)**
الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني
المتوفى سنة 1323 هـ

**ختمة صحيح البخاري (49)**
للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني
المتوفى سنة 1327 هـ

**ختمة أخرى له (50)**
للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني
المتوفى سنة 1309 / 1892

**ختمة البخاري (51)**
للشيخ العربي بن السائح
المتوفى سنة 1309 / 1892

**ختمة صحيح البخاري (52)**
أحمد بن موسى السلوي
المتوفى سنة 1328 هـ

**ختمة أخرى له (53)**
لنفس المؤلف المذكور

**ختمة البخاري (54)**
التهامي بن المدني كنون
المتوفى سنة 1331هـ

**ختم الصحيح (55)**
للشيخ عبد الكبير الكتاني
المتوفى سنة 1333 هـ

**شرح ختم صحيح البخاري (56)**
محمد بن جعفر الكتاني
المتوفى سنة 1345هـ

**ختمة البخاري (57)**
محمد المكي البطاوري
المتوفى سنة 1355 هـ

**ختمة البخاري (58)**
محمد المدني بن الحسني
المتوفى سنة 1378 هـ

**ختمة البخاري (59)**
للشيخ الرحالي الفاروق

---

45) توجد بالخزانة الملكية تحت رقم 892 د.
46) توجد بالخزانة الملكية تحت رقم 173.
47) مطبوعة بفاس وتوجد مصورتها بخزانتي.
48) مطبوعة بفاس.
49) مطبوعة بفاس بالمطبعة الجديدة سنة 1323 هـ.
50) مخطوطة المظاهر السامية.
51) مخطوطة إلا أنها مبتورة توجد مصورتها بمكتبتي.
52) مخطوطة توجد نسخة منها بمكتبتي هدية من ولد المؤلف الفقيه المقرئ عبد الرحمان بنموسى.
53) توجد بالخزانة الملكية.
54) الشرف المصون لآل كنون ص 28.
55) فهرس الفهارس.
56) الرسالة المستطرفة مقدمة الناشر حرف (أ).
57) شخصيات مغربية (3) ص 98 عبد الله الجراري.
58) شخصيات مغربية (2) ص 92 عبد الله الجراري.
59) ختمة مختصرة نشرت بكاملها لأول مرة في كتابنا مدرسة الإمام البخاري في المغرب 2 / 643 ـ 659.

# حول تاريخ الأديان السماوية (2)

للدكتور محمد كمال شبانة

### أنبياء بني إسرائيل

من المعلوم تاريخيا أن من أنبياء العرب من هم من سلالة نوح عليه السلام، كهود وصالح، ومنهم من هم من سلالة إبراهيم عليه السلام، بداية من ابن أخيه لوط، وانتهاء بسلالة ابنه إسماعيل، كشعيب عليه السلام.

وإن أنبياء بني إسرائيل يبدؤون بسيدنا إسحاق، ابن سيدنا إبراهيم، ويتسلسلون - بعد إسحاق -، إلى يعقوب الذي نسب إليه بنو إسرائيل، ثم ابنه يوسف عليه السلام، ثم موسى وهارون، ثم إلياس وإليسع، وداوود وابنه سليمان، وكذلك أيوب وذي الكفل ويونس، وزكريا ويحيى، وعيسى ابن مريم.

وعلى هذا فإن بني إسرائيل ينسبون إلى سيدنا يعقوب، الذي سمي بـ «إسرائيل» بعد عودته من (فدان آرام)، كما جاء في التوراة، حيث يروي سفر التكوين :

«وظهر الله ليعقوب أيضا، حين جاء من (فدان آرام)، وباركه وقال له الله : اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل، وقال له الله : أنا الله القدير، أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض» (1).

فيعقوب هذا - المدعو من بعد إسرائيل - هو ابن لسيدنا إسحاق الذي كان يحب أخاه التوأم عيسو، ولكن يعقوب يخدع أباه - كما جاء في التوراة - «فيحصل منه على بركته، في الوقت الذي كان يظنه أخاه عيسو، وعليه يمنحه بركته» (2).

من زاوية أخرى نعلم أن سيدنا إسحاق هو ابن سيدنا ابراهيم الخليل، أبو الأنبياء عليهم السلام، من السيدة سارة، فلذلك يدعوه الإسرائيليون (ابن الحرة)، كما يخلعون على أنفسهم لقب (أبناء الحرة) في حين يدعون إسماعيل (ابن الجارية) تعصبا منهم كعادتهم بطبيعة الحال.

وقد اتخذ يعقوب أو إسرائيل سكنه في فلسطين التي حدثت فيها قصة سيدنا يوسف ابنه مع إخوته، هذه القصة التي تمخضت عن بيع سيدنا يوسف إلى عزيز مصر، ثم أضحى أمينا على خزائن مصر تبعا لحلمه المعروف.

---

1) العهد القديم : سفر التكوين - 1 : الإصحاح الخامس والثلاثون : 9 - 12.

2) المصدر السابق، الإصحاح السابع والعشرون : 30 - 38.

ويروي القرآن الكريم في إيضاح هذه القصة في السورة التي عنونت باسم صاحب القصة، فيقول تعالى في هذا الفصل منها :

**﴿وقال الملك : ائتوني به أستخلصه لنفسي، فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال : اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء، ولا نضيع أجر المحسنين﴾** (3).

وتتوارد بعد هذه الآيات قصة يوسف، بل قصة بني إسرائيل كافة، حتى نرى قصة المجاعة التي اجتاحت المنطقة فأصابتها بسبع سنين عجاف، حيث كان الملك قد رواها لسيدنا يوسف، فأعد لها في السنين السبع السمان السابقة حينما تقلد خزائن مصر؛ فقد قصده إخوته لينالوا نصيبهم من هذه الأموال التي تحت يده، فتفرس فيهم وعرفهم، وتبين من بينهم أخاه الشقيق ليضمه إليه، ثم دبر بمعونة رجاله أمر سرقة صواع الملك، والذي بمقتضاه احتفظ بأخيه الشقيق لديه، حتى تعرفوا عليه، ثم بعث بقميصه إلى أبيه الحزين، فارتد بصيرا، وأخيرا عادوا بأبيهم إلى يوسف :

**﴿قالوا : إنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف، وهذا أخي، قد من الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا : تالله، لقد آثرك الله علينا، وإنا كنا لخاطئين. قال : لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، إذهبوا بقميصي هذا، فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا، وأتوني بأهلكم أجمعين﴾** (4).

ثم يحضر يعقوب وزوجه إلى مصر حيث يقيم بها ومعه أولاده، في سعة من الرزق، وبسطة من العيش، وتحت رعاية وإعزاز وتكريم، على نحو ما تسرد الآيات التالية :

**﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال : أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش، وخروا له سجدا، وقال : يا أبت، هذا تأويل رؤياي من قبل، قد جعلها ربي حقا، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، وجاء بكم من البدو، من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، إن ربي لطيف لما يشاء، إنه هو العليم الحكيم﴾** (5).

وهكذا أقام أبناء يعقوب أو بنو إسرائيل في مصر، وتناسلوا فكثرت أعدادهم، كما أسندت إلى بعضهم المناصب الرفيعة، وذلك في عصر الهكسوس الذين غزوا مصر فيما بعد سنة 1850 ق. م.

إن مقام بني إسرائيل في مصر آنذاك قد طاب لهم، وكان المنتظر منهم أن يبادلوا المصريين نفس المشاعر والعواطف، وأن يعترفوا بالأيدي التي رحبت بهم، والنفوس التي أفسحت لهم بينها، ولكن للأسف نراهم تصرفوا مع المصريين تصرف الغادرين «فقد اقاموا بها (بمصر) محتفظين بلغتهم وعاداتهم، وصاروا على طول الزمن جالية كبيرة، متميزة، تتوالد وتتكاثر في محيط الشعب المصري، وظلوا في حياتهم يمارسون المهن والأعمال المختلفة المربحة، ودون اندماج مع المصريين» (6). بل إن تكاثرهم بلغ حدا أربى على تعداد المصريين أنفسهم، وبذلك صاروا عبئا على الشعب المصري، لتكالبهم على جمع المال، بالإضافة إلى روح العنصرية البغيضة التي شاعت بينهم، الأمر الذي أدى إلى كراهية المصريين حتى لقد عزا بعض المفسرين قتل موسى لأحد المصريين من بعد لمثل هذه العصبية الإسرائيلية المترسبة ضد المصريين، وذلك في عهد فرعون (رمسيس الثاني).

«لقد أبوا (بنو إسرائيل) أن يندمجوا في الشعب المصري، فعزلوا أنفسهم عنه، وتواصوا فيما بينهم أن يكون لكل سبط نسله المعروف والمميز عن بقية الأسباط، وذلك

3) يوسف : 54 ـ 56.
4) يوسف : 90 ـ 93.
5) يوسف 99 ـ 100.
6) محمد إسماعيل ابراهيم، في «قصص الأنبياء والرسل» : 89.

حتى يضنوا الاحتفاظ بنسبهم، اعتزازا به، وتعاليا على غيرهم، باعتبار أنهم من ذرية الأنبياء».

«وهذه العزلة التي عاش فيها اليهود في مصر، مع الشعور المصاحب لها، من التعالي بنسبهم.. هو الذي جعل مقامهم في مصر قلقا مضطربا، وهو الذي أغرى فراعين مصر والمصريين بهم، واعتبارهم كائنا غريبا في كيانهم الاجتماعي، حتى لقد بلغ الأمر بأحد فراعين مصر أن ينزل بهم أقصى الضربات وأشد نكالا وبلاء» (7). وقد تم ذلك في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، على يد رمسيس الثاني، فلهذا أرسل إليهم سيدنا موسى، ثالث أنبياء بني إسرائيل، بعد يعقوب وابنه يوسف، بعد الأخذ في الاعتبار أن ابراهيم الخليل أباهم الذي يفخرون بالانتساب إليه.

ويشير أحد المؤرخين الثقات إلى ما هو شائع بين الإسرائيليين من تشاؤمهم تجاه الفترة التي مكثوها بمصر، فينظرون إليها على أنها إحدى المصائب التي مناهم الدهر بها، مع أن واقع الحال يخالف ذلك تماما، لو أنهم كانوا عند حسن ظن المصريين بهم، فالشواهد التاريخية تقطع أنهم «لم يستفيدوا قط من هجرة في تاريخهم كله كما استفادوا من هذه الهجرة المصرية؛ لأنهم نعموا بالعيش الرغيد في جوار النيل، وتعلموا من آداب الحياة، وشرائط الصحة ما زاد في عددهم، وزاد في خبرتهم، بتدبير أمورهم، والدفاع عن أنفسهم» (8).

ولكنهم «بنو إسرائيل» الذين قضى ربهم أن يتراوح مقامهم في هذه الدنيا بين الارتفاع حينا، والسقوط حينا آخر، ومن أجل نفسياتهم القذرة الغادرة بعث الله إليهم بأكثر من نبي؛ رجاء منه سبحانه وتعالى أن ينصلح ما أفسدوه من أحوالهم، وأساءوا فيه إلى غيرهم من أوامر، ولكن لم تفد في إصلاحهم أية رسالة من تلك الرسالات، فقد جبلوا منذ القدم على أنهم ما أن يستشعروا في أنفسهم شيئا من القوة والإمكانيات حتى يخططوا للغدر والخديعة، وإيقاع الشر بالمجتمع الذي يعيشون فيه، وتدور عليهم الدائرة في النهاية، كما فعل بهم فرعون مصر (رمسيس الثاني)، فينقبضون في ثياب الخذلان حينا من الدهر، ثم يعودون لمثل عادتهم خيانة ونكرانا، وهكذا...

إنه منذ نكبتهم الفرعونية إلى مأساتهم النازية على يد أدولف هتلر، وهم رمز لعدم العرفان بالجميل، وتحين الفرص لعض الأيادي التي تحسن إليهم؛ فقد اكتشف زعيم النازية مخططاتهم للسيطرة على ألمانيا اقتصاديا وإعلاميا، والحال أنهم ليسوا من الألمان، وأدى ذاك التخطيط في مجالاته إلى اضطراب الأحوال في البلاد، الأمر الذي رأى معه هتلر الوطني أنه لا منقذ لألمانيا، ولا سلامة للبشرية جمعاء إلا بالإجهاز على اليهود، فأذاقهم النار في غير رحمة، وكانت أجسامهم الكريهة وقودا لها آلافا مؤلفة، وبئس المصير.

«وبين رمسيس الثاني - في مصر القديمة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد - وبين أدولف هتلر في ألمانيا في أخريات النصف الأول من القرن العشرين، وقعت مذابح كثيرة لليهود، كان اليهود هم ضحيتها، وكانوا هم سببها، بسبب نفوسهم المتعبة المريضة، التي جعلتهم يرون أنفسهم (شعب الله المختار)، ويصبون غضبهم على شعوب الأرض جميعا، إذا هي لم تقبلهم سادة لها، بالحقد والتآمر، والسيطرة على المقدرات» (9)

هذا، ولن نذهب بعيدا، فما قامت به اليهودية في ألمانيا الهتلرية من محاولة للقبض على زمام الأمور في الدولة نلاحظه اليوم منهم في أكثر من دولة غربية، بغية السيطرة على المجالات المختلفة، لاسيما المجالات الاقتصادية والإعلامية، حتى وصل الحال بهم إلى التحكم بالتالي في مستقبل الحكم لهذه الدول، خاصة بعد أن تكاثروا وتناسلوا، واكتسبوا بحكم المقام الطويل جنسية الدول التي حلوا بها.

**«يتبع»**

**د. محمد كمال شبانة**

---

7) اليهود في القرآن : 11.

8) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، للعقاد : 58.

9) أنبياء الله والحياة المعاصرة، للدكتور عبد الغني عبود : 79.

# الاتجاه السلفي بالمغرب

للأستاذ عبد القادر العافية

الاتجاه السلفي بالمغرب له جذور تمتد بأعماق تاريخنا، ومنذ الفترات الأولى للوجود الإسلامي بهذه البلاد؛ والاتجاه السلفي هو الاتجاه الصحيح الذي يقف باستمرار في وجه الانحراف والزيغ عن الجادة.

تطلق كلمة **السلف** على الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وقد تطلق كذلك على الأئمة المجتهدين، ومن في مكانتهم من علماء السنة العاملين.

وكان يطلق مذهب السلف أساسا على الذين لا يخوضون في تأويل آيات وأحاديث الصفات، مع تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات، وهذا ما يسمى عند أهل السنة بـ (السلفية) أو (العقيدة السلفية) ثم توسع الناس في إطلاق السلفية على ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين من متانة الدين والاتجاه القويم فيه.

فالاتجاه السلفي في أساسه يعمل على نقاوة العقيدة وتخليصها من الشوائب التي تفسدها وتميعها، وبذلك تبلور الفكر السلفي كرد فعل على الانحرافات التي ظهرت في المجتمع الإسلامي، فهذا الاتجاه ناهض الشيعة والخوارج والمرجئة وغلاة المعتزلة، وصمد في وجه الفرق الضالة، وتمثل صموده في المعارك التي خاضها أهل السنة مع القرامطة، وإخوان الصفا، والباطنية...

وكان لعلماء المذهب المالكي مواقف مشرفة في الدفاع عن السنة، وعن الاتجاه السلفي، ابتداء من زعيم السلفية الإمام مالك، إلى نهاية المطاف. وتجلى ذلك بوضوح في صمود المالكية بشمال افريقيا في وجه الانحراف الاعتزالي، وبخاصة في قضية (خلق القرآن) ثم في وجه الشيعة العبيديين، والخوارج وغيرهم.

فالحركة السلفية لها جذور قديمة في تاريخ الفكر الإسلامي بشمال افريقيا.

ويسجل التاريخ أن كثيرا من أمراء المغرب وقادته كانوا يناصرون الاتجاه السلفي بهذه البلاد. وتجلى ذلك في الخطوات الأولى التي قام بها المولى إدريس مؤسس الدولة الإدريسية، تلك الخطوات التي رحبت بفقه مالك ومذهبه. وعملت على تعزيز الاتجاه السلفي.

واستطاع الفكر السلفي بالمغرب العربي أن ينشئ دولة المرابطين التي قاومت انحراف برغواطة، وخلصت المغرب من الانقسامات القبلية، وكان يوسف بن تاشفين، وولده علي من المهتمين بالعلم والعلماء، وعرف البلاط المرابطي على عهد علي بن يوسف مناظرات علمية، ومناقشات فكرية، كانت على جانب كبير من الأهمية؛ حيث عمل علماء المرابطين على حفظ عقيدة الأمة من الزيغ والميوعة فناقشوا، وناظروا كل من حاول الخروج على مذهب السلف في العقيدة.

وفي هذه الفترة ساهم القاضي عياض - وهو من كبار فقهاء المالكية في الغرب الإسلامي - في إثراء الدراسات

الحديثية بكتبه العديدة، وتآليفه الجيدة، مثل : (شرحه لصحيح الإمام مسلم)، و(مشارق الأنوار على صحاح الآثار)، وغيرهما، وسجل في كتابه المدارك المعارك القاسية التي خاضتها المالكية ضد الانحراف العقائدي (1).

وفي عهد الموحدين بالرغم من مظاهر الخلط بين القول بالعصمة، والإمامة من جهة، وبين القول بالعودة إلى الأصول من جهة ثانية، بالرغم من ذلك، دعا الموحدون إلى دراسة الحديث النبوي وازدهرت الدراسات الحديثية في عهدهم، وظهر علماء أجلاء في ميدان دراسة السنة : كابن القطان، وابن الجد، والسهيلي، وعبد الحق الإشبيلي وغيرهم..

وظهر من بين خلفاء الموحدين علماء كـ : يوسف بن عبد المومن، ويعقوب بن يوسف، بالإضافة إلى عبد المومن نفسه، وزعيمهم المهدي بن تومرت (2).

وفي عهد المرينيين نشطت الحركة العلمية بالمغرب وظهر عدد من العلماء يمثلون الاتجاه السلفي في محاربة البدع والحفاظ على نقاوة العقيدة (3).

ولا ننسى أنه في هذا العهد حاربت السلفية الصليبية ببلاد الشام، ووجد بالمغرب من ربط صلته بالعلامة ابن تيمية (4).

وفي عهد الوطاسيين حيث احتلت أهم سواحل المغرب، ظهر علماء أفذاذ ينادون بوجوب الجهاد، ووجوب تحرير البلاد من الغزو الصليبي، وأيقظت نداءات العلماء ضمائر الناس فقاوموا الاحتلال البرتغالي، وحاصروا البرتغاليين بالسواحل (5)، إلى أن تم طردهم فيما بعد.

وفي عهد السعديين كان أمراء هذه الدولة من بين فقهاء المغرب وعلمائه، مثل : محمد القائم بأمر الله، وإخوته وأولاده كعبد المالك، وأحمد المنصور، وولده زيدان...

وظهر علماء كبار في هذا العهد مثل عبد الرحمن سقين، ومحمد بن الطاهر العلوي، وأحمد المنجور، ورضوان الجنوي وغيرهم.

وفي عهد العلويين ظهر المولى رشيد كأمير واع مشجع للحركة العلمية والفكرية عامل على وحدة المغرب، وعلى تخليصه من التطاحن القبلي والطائفي.

وكان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من العلماء الناهضين، عمل على رأب الصدع الذي أصاب المغرب إثر وفاة جده المولى إسماعيل. ودعا سيدي محمد بن عبد الله إلى التشبث بالكتاب والسنة، وأمر العلماء بتدريس كتب الحديث، وحثهم على العناية بالأمهات من كتب الفقه المالكي، وألف بنفسه مؤلفات دلت على ضلاعته في الحديث وعلومه.

وبعده نشط ولده المولى سليمان العلوي في الميدان الفكري، وعمل كوالده على إحياء مذهب السلف في العقيدة وألف ضد البدع والانحراف، وناصر الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي ظهر بالجزيرة العربية، ورد على رسالته ردا جميلا متضامنا مع ما ورد فيها، كما ذكر ذلك الزياني في الترجمانة، والناصري في الاستقصا (6).

ومن المعلوم أن الملوك العلويين كانوا متشبثين بالعقيدة السلفية وعملوا على إصلاح العقيدة، وعلى العودة بالناس إلى الكتاب والسنة. وخلال هذا العهد ظهر بالمغرب مجموعة من العلماء قاموا بالدعوة إلى إحياء مذهب السلف في الدين والعقيدة، وعملوا على محاربة البدع والزيغ. مثل الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري، ومحمد بن علي

---

1) يرجع في هذا إلى المدارك : ج : 3 و4 و5.

2) بخصوص الموضوع أنظر كتاب «العلوم والفنون في عهد الموحدين» للأستاذ محمد المنوني، وكتاب «مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور) للأستاذ عبد الهادي الحسين.

3) أنظر ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين للأستاذ محمد المنوني.

4) نفس المصدر ص : 224.

5) الاستقصا للناصري ج : 4 ص : 111 / 114 ط. دار الكتاب. وكتابنا «الحركة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري».

6) الترجمانة للزياني، ص : 394، طبع ونشر وزارة الأنباء : 1967، والاستقصا.

السنوسي (7)، وشيخه الميسوري، وعبد الله السنوسي صاحب اختصار محلى ابن حزم، وغيرهم.

وإبان مناهضة علماء السلفية للأفكار الاستعمارية بالمشرق حصل تجاوب بين المشرق والمغرب في هذا المجال، حيث اتصل الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله، بالشيخ محمد عبده في مصر، وعمل الشيخ أبو شعيب على نشر السلفية بالمغرب، وبذلك أصبح أستاذ جيل بكامله؛ حيث تصدى للتدريس، وتلقى عنه الكثير من علماء المغرب مثل : الشيخ محمد بن العربي العلوي، والشيخ المدني بن الحسني وغيرهما..

ووجدت الحركة السلفية في شباب علماء جامعة القرويين خير مدافع ومعتنق لها. وتلقف هؤلاء الشباب ما كتبه محمد عبده، والشيخ رشيد رضى، وعبد الرحمن الكواكبي، وغيرهم.. وفي هذا الجو السلفي نشأت الحركة الوطنية بالمغرب التي تزعمها الأستاذ علال الفاسي والشيخ محمد المكي الناصري ومحمد بن الحسن الوزاني ومجموعة من شباب علماء القرويين. وكان من أهم أهداف الحركة الوطنية مقاومة الاحتلال الأجنبي ومقاومة التخلف الفكري.

وتبلور التيار السلفي فيما كانت تقوم به كتلة العمل الوطني من بث الوعي ونشر الأفكار المناهضة للاستعمار. وبارك هذا الاتجاه السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه، وبذلك صمم شباب المغرب الناهض في هذا الوقت على العمل في واجهتين :

- الصراع السياسي مع الاستعمار.
- محاربة البدع والتخلف الفكري.

واحتدم هذا الصراع ومر بمراحل وأحداث، إلى أن استقلت البلاد.

وهكذا نرى أن صمود المغاربة على الخط الإسلامي المالكي السلفي وقف في وجه التيارات المنحرفة، ووقف في وجه الاستعمار وناهضه.

وبنفس الصمود نستطيع - إن خلصت النوايا وتوحدت الأهداف - أن نجعل من مغربنا العزيز بلد الريادة والقيادة، ونناهض التخلف ورواسب الاستعمار...

لكن وبكل أسف، وُجد من بيننا اليوم - تحت وطأة التأثير الاستعماري والصهيوني - من يصور الاتجاه الإسلامي والسلفي بصورة شائنة. بل تقوم حملة منسقة ضد السلفية بمفهومها أنها «الإسلام» وهذه الحملة تهدف إلى تصوير السلفية للناشئة تصويرا سيئا يصمها بالرجعية والتأخر، ويبعث على السخرية منها والازدراء بها...

والهدف هو : تحطيم الروابط المتينة التي تجمع بين أفراد الشعب المغربي المسلم، والعمل على تشكيكه في أصالته، وقيمه الفكرية والأخلاقية. وهذا تشويه للحقائق وتزوير للتاريخ... ومن أهم ضحاياه في هذه الظروف تلامذة مدارسنا، وطلاب جامعاتنا. وبكل أسف أن التصدي لهذا التشويه والتزوير ليس في المستوى المطلوب.

والسكوت عن هذا التشويه والتزوير يعد تخليا عن الواجب، وفسحا للمجال أمام الباطل.

فالاتجاه السلفي بالمغرب هدف دائما وأبدا إلى إيقاظ الهمم، وتحرير العقول ومناهضة عوامل التخلف، ومقاومة الاستلام، كما جعل من غاياته المحافظة على الأصالة في العقيدة والفكر والحضارة. وهو اتجاه سليم بريء من كل ما وصمه به أعداؤه من الرجعية والتخلف. وتاريخ المغرب خير شاهد على ذلك.

وأمام البلبلة التي يثيرها أعداء الاتجاه السلفي الإسلامي ينبغي أن تبلور الحقائق حتى لا تطغى حملة التضليل والتشويه.. وبذلك يتعرف شبابنا على الجوانب المشرقة من ماضي بلادهم. وما لها من مواقف وإسهامات في مجال الفكر والحضارة.

**عبد القادر العافية**

---

7) محمد بن علي السنوسي إمام من أئمة الجهاد والسلفية، أقام بفاس مدة طويلة درس بالقرويين وله فيها عدة شيوخ.

قام بالدعوة إلى الجهاد في ليبيا وهو زعيم الطريقة السنوسية، اشترى ألفا من العبيد وحررهم ودربهم على الجهاد، وعلمهم فكانوا يفلحون الأرض ويتعلمون ويجاهدون. توفي بجغبوب سنة 1276 هـ / 1859 م، له نحو أربعين مؤلفا، منها : «الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية» مطبوع، و«بغية القاصد» و«إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن» و«شفاء الصدر»، و«الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية» مخطوط، و«الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة» وغيرها..

ترجم له الزركلي ترجمة مختصرة في باب (محمد بن علي).

# مسند أبي بكر الصّدّيق

تأليف: الأستاذ شعيب الارناؤوط
عرض وتقديم: الأستاذ زين العابدين الكتاني

اخترت أن أقدم تباعا كتابين جديدين في علم الحديث هما :
أولا : مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
ثانيا : مسند عبد الله بن عمر.
والمسند الذي نتناوله في هذا العرض هو (مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي صدرت أخيرا الطبعة الثانية منه بعد ثلاث سنوات فقط من صدور الطبعة الأولى والتي ظهرت سنة 1390 هـ / 1971 م.

والكتاب من تصنيف العلامة أبي بكر أحمد بن علي ابن سعيد الأموي المروزي الذي عاش في القرن الثالث الهجري، ورواية أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن مفسر عن أبي القاسم علي بن محمد بن علي الفارسي، وتحقيق وتعليق وتخريج الأستاذ شعيب الارناؤوط الدمشقي.

والمسند في حجم ما دون المتوسط في ورق جيد يقع في 188 صفحة بما فيها فهارس الأحاديث والاثار، وفهارس بأسماء الرواة، مطبوع بطريقة علمية مبسطة ومشكولة تيسر قراءة النصوص، وتساعد القارئ والدارس على تناول الكتاب باسترسال وشوق.

أما مدخل الكتاب فيشغل الصفحات من الصفحة الثالثة إلى الصفحة 28، بينما يضم الكتاب الصفحات من : 29 إلى 177، بالإضافة إلى صورتين للورقة الأولى من الأصل المعتمد في التحقيق، وقد حدد فيه المحقق طريقته وموضوع الكتاب ومؤلفه والتطورات التي عرفها.

والكتاب المعني طبع لأول مرة، وهو مما أثمرته تلك الجهود الطيبة في خدمة السنة النبوية من تأليف الإمام الحافظ القاضي أبي بكر الأموي المروزي من محدثي القرن الثالث الهجري، ومن طبقة البخاري ومسلم.

☆ ☆ ☆

خرج فيه مؤلفه الأحاديث المسندة من طريق الصحابة والتابعين عن الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه منهم : عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وأبي وائل، وحذيفة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس، وعائشة، وزيد ابن ثابت، وغيرهم.

وقد أفرد أحاديث كل صحابي أو تابعي على حدة، ثم أدرجها تحت عنوان يذكر فيه اسم الصحابي أو التابعي الذي رواها عن أبي بكر، وقد ترسم ذلك المنهج، ولم يخرج عنه إلا في حديث أبي رافع وقبيصة ابن ذؤيب وعائشة، وأسماء، فإنه ذكر أحاديث كل واحد منهم في مكانين متفرقين من الكتاب حيث ابتدأ برواية الأحاديث التي رواها الصحابة عن أبي بكر رضي الله عنه، ثم ما رواه التابعون، إلا أنه خالف في ذلك بعض الشيء كما هو ظاهر من سرد الرواة كما يلاحظ، وكأن المؤلف قصد من تأليفه هذا استيعاب ما أمكن الوقوف عليه من الأحاديث المروية من طريق أبي بكر، فمن أجل ذلك لم تحر الصحة في مروياته كما يلاحظ أيضا في التخريج، وتلك طريقة أصحاب المسانيد والسنن والمعاجم، ولا ضير عليهم في ذلك طالما سيوفون الأحاديث بأسانيدها، فإن السند للخبر كالنسب للمرء كما يقول علماء الحديث والرواية.

وجملة ما في الأحاديث بما فيها المكرر مائة وأربعون (140) حديثا، وقد الحق به حديثين خرجهما عن غير المصنف أبو أحمد بن المفسر راوي الكتاب عنه.

وإذا علمت أن عدة ما في مسند الإمام أحمد من حديث أبي بكر (81) حديثا بما فيه المكرر - وهو من أعظم المسانيد استيعابا - تبين لك قيمة هذا السند والعناية التي بذلها المؤلف رحمه الله في جمعه وتحصيله حتى غدا من أحفل المراجع التي تضم أحاديث الخليفة الأول، وذلك ما ييسر على الباحث والقارئ، الاطلاع عليها بأسرع ما يمكن، وأيسر طريق.

ويحدثنا المحقق عن وصف مسنده وعمله العلمي الهام فيقول عنه : بأن الأصل الخطي الذي تم نشر الكتاب عنه يعتبر من أنفس المخطوطات العربية صحة ووثوقا وضبطا رواه المؤلف - كما جاء في الورقة الأولى منه - أبو أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الناصح بن شجاع ابن المفسر الدمشقي الفقيه الشافعي المتوفى بمصر في رجب سنة 365 هـ أخبر عنه أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي مسند الديار المصرية المتوفى سنة 443 هـ. وهذا سند صحيح متصل وقد سمعه عن أبي القاسم هذا غير واحد من الأعلام الثقات كما هو مثبت في السماعات.

أما الأصل فهو من محفوظات (المكتبة الظاهرية) بدمشق كتب بخط معتاد يكاد يخلو من نقط الحروف المعجمة، بحيث لا يتمكن من قراءته إلا من له تمرس ودراية بالخطوط القديمة.

ويغلب على الظن أنه بخط المحدث الثقة علي بن بقاء المصري الوراق في حين يلاحظ إغفال تاريخ نسخه، إلا أن أقدم سماع مثبت في الورقة الأخيرة منه يدل على أنه نسخ قبل سنة 440 هـ.

أما بخصوص تحقيق الأستاذ شعيب الارناؤوط فيوضح بأنه تولى تحقيق هذا المسند، ونشره نشرا علميا محققا وفق مناهج التحقيق الحديثة فصحح النص وضبطه ورقمه وفصله، وبين في التعليقات درجة كل حديث من الصحة وغيرها وخرج ما وجده منها في دواوين السنة ومصادرها المطبوع منها والمخطوط، كذلك تعرض لبعض الرواة حيث يتطلب ذلك التحقيق، وأورد ما وقف عليه من الطرق والشواهد التي تؤكد صحة النص الذي يسوقه المصنف بسند ضعيف، وعلق على بعض المواطن من مثل بيان مغلق، وشرح غريب، وتوجيه رأي، هذا بالإضافة إلى فهارس للأحاديث وأسماء الرواة المرتبة بحسب أوائلها على حروف المعجم تيسيرا للإفادة بما فيه.

كما لا ينسى الأستاذ المحقق أن يصرح بالتذكير وهو يقول : «ومما يحز في النفس أن ترى أكثر المشتغلين بالعلوم الإسلامية في هذه الأزمنة المتأخرة يعرضون عن هذه الصناعة الشريفة، ولا يعيرونها أدنى التفات مع أنها الجديرة بالعناية أكثر من غيرها، إذ أن حجة الحكم الشرعي المستنبط من الحديث تتوقف على صحته، ولا يعتد جمهور العلماء بحكم مستنبط من حديث ضعيف».

☆ ☆ ☆

ونظرا لكون الكتاب الذي نقدمه في هذا العرض هو (مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه) وهو أيضا من الكنوز التي تتولى النيات الطيبة والعلمية الصادقة، الكشف عنه وتقديمه في ظرف تغير فيه وجه الثقافة الإسلامية بما

أصبح يحيط بها من تسلط جدلي سطحي، ونظريات غازية لا تفرك ولا تثم ـ كما يقولون ـ فإن قيمة الكتاب يدعونا إلى التعريف بمؤلفه حتى يتمكن المتبعون من أخذ صورة متكاملة عن المسند الذي نلتقي مع موضوعاته في هذا اللقاء.

ومؤلف المسند هو الإمام الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد بن ابراهيم الأموي المروزي، ولد تقريبا سنة (202 هـ / 817 م) وتوفي سنة (292 هـ / 904 م) وأصله من مرو أشهر مدن خراسان التي أنجبت أكبر المحدثين والفقهاء منهم الإمام أحمد بن حنبل، وسفيان بن سعيد الثوري، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه وغيرهم.

ثم تحول إلى بغداد مثابة العلماء ومقصدهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي آنذاك.

ونستطيع ـ يقول السيد المحقق ـ من خلال ما وصفه به مترجموه من أنه ولي القضاء، أن نجزم بأنه كان يلم بكل أطراف المعرفة من لغة وفقه وحديث وتفسير وغير ذلك مما يضطر إليه من تولى هذا المنصب الخطير في تلك العصور الزاخرة بالعلم والمعرفة، إلا أن كتابه هذا وغيره مما ألفه في السنة يدل على أنه كان يتجه بكليته إلى رواية الحديث، ويصرف جل وقته إليه، ويعني به عناية تامة حتى عرف بذلك، فعدوه من جملة الحفاظ العدول الثقات.

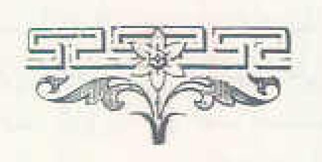
في حين لم ينسبه أحد ممن ترجم له إلى تقليد أحد من الأئمة، وأغلب الظن أنه كان يفتي بما أداه إليه اجتهاده في فهم الكتاب والسنة، وما تفرع عنهما، لأن أهل العصر الذي كان فيه المؤلف لم يكن علماؤه يرضون لأنفسهم التقليد لا لحفاظ الحديث، ولا أئمة الفقه رحمهم الله خصوصا وأن المؤلف عاش في فترة تعتبر من أخصب الفترات بالنسبة لتدوين الحديث، وأسعدها بخدمة السنة المطهرة، ففيها ظهر كبار المحدثين والحفاظ، وجهابذة المؤلفين وحذاق النقد، وفيها انتشر علم الحديث في مختلف الأقطار الإسلامية وتعددت رحلات العلماء لتلقيه عن الشيوخ والحفاظ، وفيها دونت السنة في مؤلفات رائعة من أشهرها : (مسند الإمام أحمد)، و(الجامع الصحيح للبخاري، و(صحيح الدارمي) و(سنن أبي داود)، و(جامع الترمدي).

ومن مميزات هذه الفترة قائمة شيوخ المؤلف التي تعرض إليها مترجموه والذين نجد فيهم الإمام أحمد بن حنبل والنسائي.

وقد حدثتنا عدة مصادر عن المؤلف وقيمته العلمية فنقل الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) وابن حجر في (التهذيب) توثيقه عن أحمد بن شعب النسائي، ووصفه الذهبي في (تذكرة الحفاظ) بأنه من أوعية العلم وثقات المحدثين، له تصانيف مفيدة ومسانيد، وقال الحافظ ابن حجر في (التهذيب) : كان فاضلا له تصانيف، وضع لنا منها (كتاب العلم) و(كتاب الجمعة) و(مسند أبي بكر) و(عثمان) وغير ذلك، وكان مكثرا شيوخا وحديثا، كما لا أغفل في هذا العرض الإشارة إلى أن من أبرز تلاميذ المؤلف الحافظ النيسابوري صاحب (الصحيح المسند المستخرج من صحيح مسلم.

☆ ☆ ☆

وبعد، فإنني وأنا أقدم في هذا العرض هذا الكتاب النادر (مسند أبي بكر الصديق)، وقد كانت رغبتي أن أسارع إلى تقديمه لأشعر طلبة الدراسات العليا، ودار الحديث الحسنية إليه للاستفادة منه ومن منهجه، والإفادة، وذلك أيضا ما أرمي من ورائه.



# الصّحوة الإسلاميّة بين الأصالة والتغريب

للأستاذ أحمد تسوكي

يجري منذ سنوات، تعبير «الصحوة الإسلامية» للدّلالة على يقظة العالم الإسلامي وعلى وثبته التي اتجهت إلى الجانب السياسي كما اتجهت إلى الجوانب الدّينية، وهي الجوانب الغالبة على الفهم. وفي المدّة الأخيرة، عرف التعبير توسعا أخذ في الدّلالة التدريجية على نفس اليقظة في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، وذلك في مواجهة التفسخ الذي أصاب الهيكل الهش للعلاقات الاجتماعية التي أسّستها الإيديولوجيات والمذاهب والمدارس الفكرية الوضعية، وفي مواجهة الإفلاس والانهيار والتصدع الذي لحق - أو كاد - الأنظمة الاقتصادية وأنماط التسيير والتصرف المالي والتجاري الذي جرت عليه هذه المدارس والمذاهب واتجاهاتها المختلفة في عالمنا المعاصر.

وعلى أي حال، بدأ اصطلاح «الصحوة الإسلامية» يأخذ عبر السنوات التي امتلأت بالأفكار والإيجابيات، وبالتفاعلات والممارسات، مضمونه الشمولي، كما يجب أن يكون عليه الأمر وكما يجب أن يكون عليه تصورنا لهذه الصحوة ولنتائجها وثمارها المرجوة.

إذن، كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية أدت إلى إستقرار الفهم والوعي بحقيقة المصطلح كما أدت إلى دلالاته الشمولية. لقد نضجت الفكرة ومفهومها في الأذهان، واتضحت الرّؤية إلى العقيدة وتجلى انفتاح هذه الرؤية على الآفاق الحقيقية للصحوة التي أصبحت رمزا لدعوة إنسانية موجهة إلى الناس كافة، وفي مقابل ذلك، فشلت وانغلقت التيارات الفكرية الوضعية على نفسها، فكان ذلك بمثابة الإعلان المباشر عن تحجر هذه التيارات ودعاتها، وعن عدم قدرتها على الصحوة في وجه القابلية الخالدة التي أظهرها وأبان عنها الإسلام كمنهج للحياة البشرية، يوجهها إلى الخير والأمان، ويهديها إلى السلام والكرامة، ويدلها على سبل الرشاد والهداية.

ومع أن المجتمعات الإسلامية نفسها، لا تزال مختبرا غير دقيق، إن لم نقل غير صالح، للتدليل وللتأكيد على عقلانية الصحوة، وذلك نتيجة لهيمنة التراكمات الاستعمارية والصهيونية والشيوعية على هذه المجتمعات، ونتيجة لسيطرة وتحكم روح الاستلاب والغزو الفكري على العقل الإسلامي، ونتيجة كذلك للتبعية النفسية والأخلاقية والسلوكية التي أطرتها وعمقتها سنوات الاحتلال وأعوام الاستعمار، وهو أمر قيد كثيرا حركية الصحوة في الاتجاه المطلوب، إلا أن مجرد انطلاق الشرارة الحقيقية للصحوة من صميم هذه المجتمعات، بل ومن صميم محاورها وأقطابها وفعالياتها التي تتحمل مسؤولية القيادة السياسية أو الدينية أو الفكرية أو الثقافية والعقلية، شكل أمرا له دلالاته الكثيرة على المستويين الكمي والكيفي، لأنه يعني أن هذه المجتمعات، كيفما كانت ظروفها وأبعادها، وكيفما كانت اتجاهات تفاعلها في التاريخ الإسلامي المعاصر،

ستكون ـ ولعلها كائنة بالفعل ـ البيئة الطبيعية للارتقاء بالصحوة إلى أفقها الحقيقي، وللسمو بمبادئها ومفاهيمها، على الصعيد العملي، إلى الوجه الصحيح والمأمول وفي غياب أي توجيه لا ينبثق من الفعالية الإسلامية ومن صحوتها الحضارية بالذات.

لقد استطاع الإسلام ـ بهداية من الله سبحانه ـ أن يعاود شق طريقه وتعبيدها ليصل بسهولة ويسر وشفافية إلى قلب الإنسان الحديث الذي سيطرت على مزاجه الحضاري توتّرات الكآبة وأفكار القلق على الواقع والمآل، والذي أخفق تماما عندما حاول أن ينتصر وينجح في صراعه اللاّ متكافئ ضدّ الكون والمطلق الرّوحي واللاّ نهاية والغيب (المستقبل الذي لا نراه)، والذي جدد حربه العنيفة والشاقة ضدّ قيم الحرّية والمسؤولية والانتماء من زاوية ضيّقة، جعل التفكير البشريّ فيها أداة للتضليل ولقيادة الإنسانية إلى حافة الدمار والحروب، ووسيلة لإضعاف الإيمان والتشكيك في أهميته للإنسان، والأمر في النهاية، لم يكن سوى خطأ في القيادة، أثمر هذا التمزّق الرّوحي الذي كاد يوقع الإنسانية في خط اللاّ عودة إلى الصواب وإلى اليقين.

إن هذه الخطوة الإيجابية الجديدة التي أنجزها الإسلام على طريق تحقيق المطلق في عالمنا المعاصر، قاد إليها التفكير النزيه في الواقع الإنساني، والتأمل العقلاني والمتبصر في الذات البشرية وحدودها المعرفية بعد فترات من المعاناة القاسية، وبعد سنوات من الجهد والعنف والمخاض الذي أجهضت فيه الحضارة البشرية الراهنة كل آمال الإنسان في الحياة والتقدم والتطوّر صوب الآفاق التي حقق منها الإنسان ـ في مبدأ الأمر ـ انطلاقته في اتّجاه السعادة والصفاء والتساكن الخلاّق الذي أعطى الحضارة للبشرية.

وإلى جانب ذلك، كان هناك الأمل في إيمان أفضل، وحياة أفضل، ودين أفضل، وكذلك الأمل في تحقيق واقع بشري جديد، يتم فيه تجاوز السلبيات والضغوط المادّية والذّهنية المؤلمة على الضمير الإنساني، هذا الضمير الذي وجد نفسه، بعد سلسلة طويلة من الأزمات والمآزق والاختبارات الرّوحية الفاشلة، ضميرا ممزقا ويائسا ومحبطا وبدون قدرة على تحليل الماضي، ورؤية الحاضر، وبدون قدرة على استشفاف حسابات المستقبل من خلال رؤية روحانيّة تتغلب على حواجز المادة، وتقهر حوافز التعلّق بالملذات التي خلقتها وأوجدتها توجهات الإنسان إلى ذاته : جسدا، وإلى ما حوله : طبيعة، هذه التوجهات كانت ـ بدون شك ـ بداية السقوط في الأنانية التي سينتصر شيطانها فيما بعد وسيتمثل في العلمانية، والإلحادية، والتكنولوجيا، والتي من خلالها سيحقق الإنسان تواصله مع الفضاء وانفصاله من الرّوح، التحامه بجزء من العلم المطلق وفصامه من اليقين المطلق الذي كان وسيظل مبدأ البشرية في بناء عالمها الحقيقي على الأرض.

إن الخلفية التاريخية للصحوة، تقول إن العالم الإسلامي لم يكن بمعزل عن العوامل الذاتية والموضوعية التي صهرت المجتمعات الإسلامية على مستويات عديدة لكي تتهيأ فعليا لمبادئ الصحوة ولتقبل منطلقاتها ومعطياتها التي لم تكن قطعا جديدة عليها، وتقول كذلك إن عصور الانحطاط الذي عانى منه المسلمون، كان له دوره الأساسي في جعل المبادئ تختمر وتتكون بالتدريج في الاتجاه الذي نراه اليوم ونتلمس معالمه وملامحه، والذي سيتطور إيجابيا في المستقبل إذا لم يجابه بالموانع التي تعطل حركيته الذاتية في مجاله الحيوي، وهو مجال الفعل والممارسة، ومجال العمل بالشريعة وفق الضوابط والروابط التي نص عليها الكتاب والسنة.

غير أن الخلفية التاريخية لا تفسر لنا وحدها أحداث الحاضر، ولا تضع أمامنا وجه الحقيقة كاملا، وإن كانت تساهم مع غيرها من الخلفيات في تجلية الأسباب الكامنة التي ولدت لنا واقعنا اليوم، بل إن الاعتماد على الخلفية التاريخية دون سواها، ونحن نبحث في نشأة الصحوة الإسلامية باعتبارها فعلا ذاتيا محضا أنجبه التفكير الإسلامي المتطور مع الحياة، سيقف بنا عن تلمس الطريق الصحيح للفهم، وسيجعلنا غير قادرين على استيعاب نتائج الماضي ومقدّمات الحاضر وإرهاصات المستقبل استيعابا نمحص به الرّؤية والنظرة التحليلية إلى الأمور وإلى احتمالاتها الماثلة والمرتقبة.

إن حقيقة الإسلام الكبرى، هي أنه دين تطلبه المجتمعات في كل الأزمنة وفي كل الأمكنة، وعقيدة يلتمسها العقل، والوجدان، والفطرة والسليقة، ويجدُ فيها

الإحساس والتفكير والإلهام والاستقراء والاجتهاد والفكرة والعبرة، ولذلك أعتبر من سوء التعبير وعدم ملاءمته للحقيقة، القول والحكم بوجود «صحوة إسلامية»، لأن الأمر يتعلق فعلا بصحوة بشرية إلى الإسلام، تنقذ الإنسان من واقع الجهالة والجاهلية والضلالة والتيه، فالواقع الذي نشاهده اليوم ونحيا فيه، يثبت أن المجتمع البشري، وهو في خضم الأزمة الرّوحية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعقائدية التي تتقاذفه وتتجاذبه تياراتها بعنف صاخب وصخب عنيف، هو العنصر الذي يبحث عن ذاته، وعن وجوده وهويته، وعن استمراريته في التاريخ والمطلق والحضارة، وهو العنصر الذي يفتش عن معقل للهداية يشرح صدره للحقيقة والإيمان والصوابية، وهو العنصر الذي يلتمس الخطوة السليمة التي ستقوده حتما إلى طريق التحرر الإنساني، وإلى أفق الانعتاق من العبودية البشرية التي كانت السبب المباشر في تحطم الإنسان وانهيار كيانه النفسي وتذبذب عقيدته الرّوحية، وهو تذبذب كان في مقدور البشرية أن تتجنبه لو عرفت، منذ قرنين من الزمن فقط، كيف تلائم بين نزعتها إلى الحرّية التي أفرطت في ممارستها إلى حدّ أفقد الإنسان كل قدرة على استكشاف المغامرة وتجربتها الرّوحية المشرقة، وبين واقعها المادي الذي أصبحت فيه الطبيعة ذاتا أخرى منفصلة عن الإنسان وغير مندمجة فيه، وبين مبادئ الإنسان وقيمه التي حوّلتها تلك الحرّية إلى ممارسات شهوانية، تفضح أنانية البشر وعبوديتهم للآلة والمادّة والطبيعة.

من الممكن ومن الجائز إذن، أن نتحدث عن صحوة بشرية إلى الإسلام، صحوة يتطلع بها الإنسان بجرأة وشجاعة إلى أفقه المستقبلي، بعد أن رانت عليه الشكوك والمخاوف والأطماع، وبعد أن تسلطت عليه عبودية المادّة ومادّة العبودية لغير الله سبحانه وتعالى، فالشكوك جاءت نتاج الفرار من الإيمان والهروب من قلعته الحصينة، والمخاوف جاءت نتاج التقوقع الذاتي في الأفكار والوساوس التسلطية التي ولدها إيمان الإنسان بنفسه وتعلقه بذاته وسكونه داخل كيانه، والأطماع جاءت نتاج الطموح المادي الذي أغرى البشرية وبعض عقولها السخيفة بأحلام السيطرة على الكون ومغريات التحكم المطلق في قوانين الطبيعة، وبشهوات أثارت النزاع المفتعل بين الإنسان والكون، وغرست في تاريخه بذور التطاحن والقطيعة بين الإنسانية والإيمان كحقيقة قائمة الذات في الوجود وفي جدلية استمراره.

صحوة بشرية إلى الإسلام.. من يقودها وسط التناقضات الإيديولوجية الحالية ؟ ما هو مجالها الحيوي في الحاضر وفي المستقبل وتحت ضغوط البيئة التي ملأتها الصّراعات المذهبية والفكرية الزائفة لفرض الهيمنة العقائدية على الإنسان ؟ وما هي تطبيقات الصحوة الإسلامية وكيفيتها على الواقع البشري المسحوق تحت وطأة النظريات الوضعية المفلسة ؟ وما هي احتمالات التقدم أو الارتداد والانتكاس والتجمد ؟ وما هي الحسابات التي وضعها، عن دراسة وتخطيط، خصوم الصحوة الإسلامية لإسقاطها وإجهاضها ؟ وما هي القوى التي هيأها لها أصحابها والدعاة إليها لاستمرارها حية ونابضة بالإلتزام بالواقع البشري وبما فيه من صراع فكري ومذهبي، ستدلل فيه الصحوة الإسلامية، عن طريق الكتابات الواعية والأقلام المسؤولة والأفكار المؤمنة، على حيويتها ونشاطها في مواجهة غارات التخريب والتحريف والتزييف والتشكيك ؟

إن الواقع الإنساني في وضعه الحالي، هو بشهادة الصفوة من أبنائه الذين يمثلون الفكر والوعي والمسؤولية والفلسفة والعلوم والتنظير والثقافة، فيعبرون بصدق وحرارة عن أزمة العصر، ومحنة الحضارة، ومأزق التاريخ، وسخافة التقدم وتفاهة التطوّر الذي وصل إليه المنتمون إلى العصر والتاريخ والحضارة، والممثلون الحقيقيون للانهيار والسقوط والتشقق الذي أصاب صميم العلاقات الدّولية القائمة على حتمية الهيمنة لمصلحة الرأسمالية والشيوعية والصهيونية، رغم التحالفات والمهادنات التي يعقدها زعماء وقادة هذه القوى فيما بينهم...

الواقع الإنساني اليوم، هو واقع التمزق والحيرة والانغماس في الفكر السوداوي الذي قاد حضارة وتاريخ وثقافة وعلوم العصر إلى الانتحار ومحاولة قتل الذات، وهو واقع الكآبة والقلق والضجر الروحي والنفسي والترف المادي الذي قتل في الإنسان إنسانيته، وجرده من كل قيم الخير والفضيلة والتسامح والأخوة، ورمى به إلى الأرض الخراب،

وهو واقع الفقر الداخلي الذي أحال النفس البشرية إلى كهف مظلم ترين عليه مشاعر الانحلال والفصام الحضاري الذي هيأت له «العصور الإنسانية» عقب ظهور ما يسمى بعصر التنوير والثورة الصناعية في أوربا،...

هذا الواقع، هو الآن الأرضية التي تنتظر الصحوة وبشائرها، وبمعنى آخر، هو واقع الجاهلية الدولية الجديدة الذي يتطلع إلى الصحوة، ومنه وإليه ستنطلق صحوة قوية، تبعث الأمل في الضمير الإنساني، وتقود الوعي إلى آفاق الهداية والاستقامة والتقوى كما رسمها وحددها الإسلام، وتشد مسيرة الحضارة والعصر والتاريخ والتطور المادي إلى طريق الإلتزام بمبادئ الإنسانية التي عبر عنها الإسلام وجسدها في تعاليمه ورسالته، والتي كان الرسول الأكرم محمد ﷺ رمزها الحي الذي رفع المثل الأخلاقية للبشر إلى مرتبة السلوك والعمل والممارسة، وانفلات زمام هذه المسيرة من يد الإنسان، يعبر عنه هذا الانهيار الأخلاقي والديني الذي نراه اليوم على الصعيد العالمي كله، ولن يعيد الزمام إلى اليد الإنسانية، لكي تقود به مسيرتها في التاريخ والحضارة والتقدم، إلا تلك الصحوة التي تصحح المفاهيم وتقوّم الإعوجاجات.

**الرباط ـ أحمد تسوكي**

## صدور سبعة أجزاء من البيان والتحصيل لابن رشد

●● صدر عن (دار الغرب الإسلامي) ببيروت سبعة أجزاء من موسوعة أبي الوليد ابن رشد القرطبي المتوفى سنة 520 هـ المسماة (البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة).

وقد حقق المجلد الأول الدكتور محمد حجي في 530 صفحة. والمجلد الثاني الأستاذ سعيد أعراب في 616 صفحة. والمجلد الثالث الأستاذ أحمد الحبابي في 480 صفحة، والمجلد الرابع الدكتور أحمد الشرقاوي إقبال في 488 صفحة والمجلد الخامس الأستاذ محمد العرايشي في 482 صفحة. والمجلد السادس الأستاذ أحمد الحبابي في 492 صفحة والمجلد السابع الأستاذ سعيد أعراب في 516 صفحة.

وتقع بقية الكتاب تحت الطبع.

وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي المتوفى سنة 255 هـ ●●

# العناية بالوثائق
## مظهر من مظاهر الحضارة

للأستاذ مبارك الريسوني

ما الوثيقة لغة واصطلاحا، وما هي أهميتها، وما المفهوم العلمي لكلمة وثيقة ؟

الوثيقة لغة من وثق بفلان إذا ائتمنه فهو واثق به، ومنها اشتقت كلمة الوَثاق والوِثاق ما يشد به من قيد وحبل ونحوهما، والوثيق المحكم ومؤنثها الوثيقة ما يعتمد به من حجج في الأحكام.

والوثيقة هي الذاكرة الحية للوطن وللتاريخ، ولها أهمية كبيرة في الكشف عن حقيقة الماضي الذي لا يمكن معرفته إلا من خلال الوثائق.

إن الوثيقة هي كل تسجيل بالحرف أو بالصورة أو بالأشرطة الممغنطة لكل حدث أو عمل من الأعمال الرسمية للدولة أو من الأعمال التي قامت بها مؤسسات خاصة أو أفراد، والتي بدورها تشكل تسجيلا حيا لمراحل الحياة التاريخية لهذه الدولة بكافة صور هذه الحياة وأشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية.

والوثيقة هي العمود الفقري لكل بحث رصين إذ لا يمكن القيام بالأبحاث الأصيلة الرّصينة دون وجود وثائق يمكن الرجوع إليها، وهذا صحيح في جميع الموضوعات سواء كانت تاريخية أو أدبية كما ذكرنا.

وانطلاقا من هذا المفهوم لكلمة وثيقة أشعر أن الوعي الوثائقي الذي وصلته المؤسسات في الوطن العربي لم يبلغ بعد المستوى العلمي الكافي الذي يوازي قيمة الكنوز التاريخية الثمينة التي أورثنا إياها الآباء والأجداد، لقد مر زمان طويل على الأمة العربية وهي تعاني من نير الاستعمار بكافة أشكاله وصوره، «وأول ما قام به هذا المستعمر من هدم في الوطن العربي استيلاؤه على خزائن الوثائق مستهدفا من عمله هذا محو الثقافة المحلية والقضاء على الفكر القومي، واقتلاع الإسلام كدين ودولة لاحلال الثقافة الأجنبية محل الثقافة العربية لجعل الشعب المفتوح ذا صبغة تستمد كل روائحها وأثرها من عناصر الحياة التي يختارها المستعمر ويريدها كأشكال الحكم ومواد التشريع ومظاهر الرسميات والألبسة، وغير ذلك من الصور التي يجب أن تكون طبق الأصل لما هو قائم في الوطن الوالد كما يقولون»، وكل ذلك يقوم على أساس أن مقاييس السمو يجب أن تصبح في نظر الشعب المستعمر، هي ما قام به المستعمرون في بلادهم، وما اختاروه لأنفسهم، وأن المأساة عميقة جدا، إنها كانت تستهدف محو إنسانيتنا لتحقيق إنسانية الدولة المستعمرة، وليس معنى هذا أننا من الجامدين نرفض التجديد والاقتباس ولكن نريد أن نكون

من العرب الذين اقتبسوا من كل العالم، ثم صهروا ما اقتبسوه وبلوروه في هذه الحضارة العربية الإسلامية التي ورثناها، أن في تخلينا عن اصالتنا وهويتنا يعني أننا قضينا على أنفسنا بالفناء المعنوي والتبعية الفكرية، وذلك شر من تبعية الأجسام.

إن التحرر الفكري من الاستعمار هو تصميم العزم، وتعبئة كل الطاقات الفكرية الخلاقة للعمل على استرجاع كنوز الوثائق من خزائن الدولة الغازية للبلاد العربية بكل الوسائل الديبلوماسية وغيرها من الطرق، وهدم كل ما بثه المستعمر في أعماقنا وفي أوطاننا، وإذا قبلنا امتحان كل شيء تعودناه.

إن اليوم الذي نفكر فيه إلى العودة إلى أنفسنا هو اليوم الذي نتحرر فيه نهائيا من ربقة الاستعمار.

وبعد، نتساءل عما قام به الوطن العربي بعد استقلاله ؟

وعندما قدر للوطن العربي الاستقلال وجد نفسه في مواجهة أعباء انمائية حياتيه ضخمة شغلته عن اعارة موضوع المحفوظات والوثائق ما يستحقه من عناية ومن متطلبات تكنولوجية لابد من توافرها في سبيل المحافظة على تراثه الوثائقي بشكل سليم ولآمال بعيدة.

إن المؤسسات الوثائقية في الوطن العربي حاليا هي عبارة عن أجزاء مبعثرة هنا وهناك من الإدارات الرئيسية أو المحلية وعند الخواص في بيوتاتهم. ومعنى هذا أن الباحث يُضني نفسه ويجهدها متنقلا من مكان إلى آخر منقبا عن أجزاء الحقيقة التاريخية، وفي النهاية يذهب عمله سُدى فلا يجني من أتعابه سوى الخيبة والمرارة وسوء العاقبة، لهذا المشكل وغيره من المشاكل المطروحة أمام الباحثين من أجل ذلك أصبح القيام بتنظيم الأرشيف في الوطن العربي يكتسي صبغة ضرورية ليلا تضيع أوقات الباحثين ادراج الرياح وتضيع مجهوداتهم هباء منثورا.

إن الوطن العربي كما لا يخفى عرف التوثيق منذ أقدم العصور، وأذكر على سبيل المثال كتاب صبح الاعشى للقلقشندي الذي يعتبر أول واضع لعلم دراسة الوثائق بمعناه الحديث، فهو قد صنفها حسب الشخص المرسل والشخص المرسل له، وحسب الرتبة والمكانة، وحسب المحتويات والمضمون، وحسب الموضوعات، وحسب العصور، وبكلمة أوضح دشن دراسة افتتاح الوثائق دراسة علمية في العالم الإسلامي، ولسوء الحظ لم يأت بعد القلقشندي من أكمل طريقه وتابعها حتى العصر الحديث، غير أن هذا الحديث عرف غزارة الإنتاج الفكري ولا يمكن تقييده ولا ضبطه ولا التحكم فيه سوى بنهج طريق مثالي في تنظيم الأرشيف تنظيما عصريا على غرار ما هو عليه الأرشيف في الدول المتقدمة، وبناء على هذا نرى أن علم التوثيق أصبح ضروريا ولا مناص لنا منه، لأنه طريقة مثلى في حصول الباحث على المعلومات بيسر وسهولة، كما أنه ينشط عملية التأليف والنشر الجاد.

إن المعلومات في الربع الأخير من القرن العشرين هي الحرية، فلم تعد حرية الفكر والتعبير هي حرية الكاتب في أن يكتب، أو حرية الصحفي في أن ينشر، بل هي قدرة هذا أو ذاك في الحصول على المعلومات، فلقد كانت الحرية في الأزمنة الماضية تعني شجاعة المفكر على قول الحقيقة التي يلخصها في فكرة أو رأي يذيعه على الناس رغم رقابة السلطة، وكانت هذه الحقيقة تحتاج إلى قدر لا بأس به من الحماس الانشائي والبلاغة الخطابية التي تقنع غرائز المتلقين وحواس المشاهدين، وعواطف المستمعين، انها الحقيقة التي تلهب المشاعر.

أما الآن فلم يعد الأمر كذلك على الإطلاق، لقد اصبحت الحقيقة مجموعة معقدة من المعلومات تتطلب من الباحث والمفكر جهدا خارقا لجمعها من شتى المصادر ومختلف الينابيع مهما تناهت في القدم أو تناهت في الحداثة، وقد تكون المعلومات وثيقة أو صورة أو مخطوطا أو مطبوعا أو صوتا مسجلا.

والخطران اللذان يواجهان الباحث عن أجزاء الحقيقة هما ضياع الوثيقة أو حجب المعلومات لذلك كان علم التوثيق هو علم التاريخ. أي علم حفظ المعلومات وتنسيقها وتبويبها وترتيبها وإعدادها كمادة أولية للبحث والخبر.

إن علم التوثيق هو علم الحقيقة بمعنى من المعاني، وهو العلم الذي يساعد الباحثين بصفة عامة ليلا يُخطئوا الهدف إذا نقصت الصورة أحد عناصرها.

إن تنظيم التوثيق له أهمية قصوى يجعلنا نحصل على معلومات في وقت قصير ومن غير تعب.

إن يكن أول الجديد قتل القديم فهما، فإن إحياء التراث يظل ضرورة علمية وقومية وحضارية وإنسانية لكل أمة تقدر ما يستحق التقدير تراثها وتحاول أن تفيد منه في حاضرها ومستقبلها وتقدمه للإنسانية هدايا تنم عن مقدار مهديها، فالاهتمام بالوثائق ليس عملا تاريخيا ماضويا بقدر ما هو عمل حياتي مستقبلي، والأمر لا يمكن أن يبقى كما هو الآن في حدود الوفاء النظري له والإشادة العاطفية به، وإنما هو كذلك أو قبل ذلك في الانتفاع بهذا التراث الوثائقي والوفاء لأنفسنا من خلاله. إنه ليس زينة ولكنه سلاح، وليس تباهيا وادلالا ولكنه قبل هذا وذاك، نوع من الاعداد ولون من كسب الثقة.

لذا من الواجب علينا تنظيم وثائقنا تنظيما علميا متقنا تسهيلا للرجوع إلى الوثيقة والاستفادة منها.

إننا نعيش في عصر السرعة، فالعالم المتقدم يسير بخطوات واسعة إلى الأمام ويحقق تقدما تلو تقدم بين الفينة والأخرى، وليلا تزداد المسافة اتساعاً بينه وبين العالم الثالث لابد من استغلال كل الطرق الفعالة في حفظ المعلومات وترتيبها، وفي استغلال كل الوسائل الممكنة لتنظيم الأرشيف في الوطن العربي ليتسم بالمرونة والسرعة التي تيسر متابعة ما يجري في كل أنحاء العالم، الذي يجعلنا نختصر الزمن في الحصول على المعلومات من مكانها المحدد دون تشويش أو فوضى، ثم الموضوعية التي نستطيع الحصول على مختلف ألوان الحقيقة وأجزائها دون تحيز للأبيض أو للأسود، ودون أن نصاب بعمى الألوان، وكم من كوارث وقعت لأننا لم نحصل على المعلومات الكافية قبل اتخاذ القرار بالسرعة المطلوبة، وكم من مآسي حدثت لأن الوثيقة كانت موجودة، ولكن في غير مكانها فكأنها لم تكن موجودة، وكم من الاضرار الهائلة قد أصابت الذين رأوا جزءا من الحقيقة ولم يروا الجزء الآخر.

وإني أرى أن تكون الوثائق تحت إشراف وإدارة وحدة مركزية ذات كفاية عالية مجهزة بأحدث الوسائل - للرجوع إلى المستندات والوثائق المحفوظة عند الحاجة إليها من قبل الإدارة الرسمية أو الباحثين - كالميكروفيلم، والأشرطة التلفزيونية، والهولوغرام، والمختبرات، إلى غير ذلك من الوسائل للحفاظ على الوثائق والانتفاع بها.

إن مثل هذه الوحدة المركزية متوفرة في أكثر الدول الأوربية والأمريكية حتى أن بعض الدول الآسيوية والافريقية بلغت وعيا وثائقيا ملحوظا في هذا المضمار، في حين مازالت الأقطار العربية تفتقد هذا الوعي.

إني اعتبر الوثيقة المادة الأولى التي تصنع الحضارة وتاريخ الشعوب، لذلك سوف يكون اعتمادنا في البلاد العربية على تنمية الوعي الوثائقي لبعث الحياة من جديد في أطنان الورق والمستندات المهمة، لكي تكتمل بذلك دورة الحياة في نفوس أجيالنا الحاضرة، ويتم الترابط بين الماضي والحاضر، إذ أن اكتشافنا لأمجادنا الحضارية والتاريخية يعتبر عاملا مهما من عوامل بناء شعوبنا العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اهتمامنا ووعينا بشؤون الوثائق من الآن فصاعدا أصبح من ضروريات بناء المستقبل للوطن العربي، وإن هذا المستقبل هو وديعة بين أيدينا الآن ويرتكز على دعائم حضارية أساسية يرجى أن تدوم وتستمر عصورا وأجيالا طويلة، ولا سبيل إلى هذه المحافظة الطويلة المدى على تراث الماضي والحاضر والمستقبل إلا بتوافر المعطيات الوثائقية من أبنية وتجهيزات واعداد العنصر البشري وتأهيله لإدارة دار الوثائق، لأن هذا العنصر سيواجه طوفانا من الوثائق، وهذا الطوفان أصبحت العقول الإلكترونية التي تختزن المعلومات وتبثها عند الحاجة غير قادرة على استيعاب كل ما يجري في العالم، ولذلك قسمت الوثائق إلى فروع تخصصية، وينبغي أن يكون هذا العنصر البشري مطلعا وملما بما يجري في العالم من أبحاث ميدانية وتجارب تقنية مختلفة من تحديث الأجهزة ومن معالجة المعلومات.

من العار أن نظل مكتوفي الأيدي ولا نسعى بكل الوسائل للحاق بركب الحضارة المتقدمة في مضمار استغلال الوسائل الحديثة لتنظيم الوثائق والإفادة منها.

وأثير هنا نقطة مهمة وهي أن كنوز الوثائق التي نملكها معرضة للكثير من الأخطار، ألا يجدر بنا أن نفكر في طرق الوقاية لحفظها وصيانتها لتظل في منأى عن هذه الاخطار لتستفيد منها الأجيال المقبلة.

وهذه الاستفادة لا يمكن أن تتم في ظروف حسنة سوى بالتوصل لمجموعة من الطرق لتنظيم الأرشيف العربي، بالإضافة إلى ما ذكر، فهرسة الوثائق فهرسة

موضوعية، وذلك بقراءة الوثيقة وتحديد موضوعاتها المطروقة ثم تلخيصها في سجل خاص، وفهرسة الموضوعات تختصر الوقت وتيسر الكتابة بالنسبة للباحث، وهي طريقة مثلى لإحاطته بالموضوع فلا تغيب عنه نقطة من النقط.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن كثيرا من الوثائق مدسوسة دسا مقصودا بين وثائقنا تشككنا في مصداقية تاريخ بلادنا، وبصفة خاصة تشككنا في سير بعض الأحداث المهمة في تاريخنا، إنها تعطينا معلومات مخالفة لما في وثائقنا، إن مثل هذه الوثائق في حاجة إلى دراسة متأنية لكشف زيفها بالاعتماد على مقاييس علمية منها : تسليط أنوار النقد التاريخي المنهجي عليها. وبعد النقد الداخلي لمحتوياتها يمكن القطع بصحتها وأصالتها، أو طرحها وإهمالها، أو عرضها على بساط الدرس والتحليل والتعليل والتمحيص دون اغفال العصر الذي كتبت فيه لأن كثيرا ما يكون هذا العنصر من العناصر المهمة في كشف حقيقتها، إلى غير ذلك من المقاييس التي يستطيع بها الباحث أن يصل في النهاية إلى الحكم لها أو عليها إما أن تقبل وتعتمد، أو ترفض كوثيقة دخيلة مدسوسة كان الغرض منها بث البلبلة في تاريخنا وقلب حقائقه، ومثل هذه المقاييس كما تعلمون ليست غريبة عنا في الوطن العربي فلقد استخدمها علماء الأثر أحسن استخدام لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الدخيلة واستخدموا طريقة الجرح والتعديل ولكن حسبنا القيام بهذا العمل لسد ثغرة من الثغرات الكبيرة الموجودة في حقل الوثائق التاريخية للوطن العربي، هذا وتعترضنا صعوبة في قراءة بعض الوثائق وهذا راجع إلى أنواع الخطوط التي كتبت بها وثائقنا وخاصة الخطوط الرديئة منها التي لم نستأنس بها، وكثيرا ما يشتكي الباحثون منها. إنها تقف في طريقهم عقبة كأداء فلا يقبلون بشغف وشوق على دراسة هذه الثروة الوثائقية لهذا السبب، وإني أرى طبع هذه الوثائق بالراقنة تيسيرا وتسهيلا لرجال البحث حتى ينجزوا عملهم كاملا، فبدلا من أن يظلوا وقتا طويلا في فك الرموز وضياع الوقت في الشكليات يصرفونه في استخراج حقائق من مضمون الوثيقة متوغلين في تحديد ما تحويه من حقائق، وإلى جنب هذه الصعوبة هناك صعوبة أخرى وهي صعوبة المصطلحات اللغوية التي كتبت بها هذه الوثيقة تبعا لزمانها ومكانها ولغتها وهذه إشكالية في حد ذاتها، اعتقد أنها مطروحة على مستوى الأقطار العربية؛ لذا أرى لزاما علينا وضع دليل لتفسير مثل هذه المصطلحات لئلا يجد الباحث العربي من أي قطر عربي كان صعوبة وهو يفحص الوثائق لكتابة فصل من فصول تاريخ الوطن العربي.

والمغرب كبقية الأقطار العربية أصيب بمحن واجتاز صعوبات، ولقي ما لقيته باقي الأقطار العربية أثناء المد الاستعماري إليه من سلب وثائقه ونهب كنوز تراثه الفكري ورغم ذلك مازال المغرب - ولله الحمد - غنيا بالوثائق والمخطوطات العربية ولا يستغرب وجود مثل هذا التراث في المغرب لأن المغرب جمع في أرضه بين حضارة المشرق وحضارة الأندلس، كما جمع فيه تراث الأندلس الذي نجا من الحرق، وتراث المشرق الذي حمله إليه المغاربة والمشارقة معا، وقد حافظ المغاربة على هذا التراث من الغزاة بشتى الوسائل كتهريبه إلى أماكن قصية أو طمره في باطن الأرض إلى غير ذلك من الاجتهادات لحجب هذا التراث عن أنظار العدو، ولا أرى أكبر شهيد على ذلك سوى ما بالمكتبات من نوادر ونفائس المخطوطات، ومن أجل جمع المزيد من هذه النفائس شد علماء المغرب الرحال إلى الديار الاسبانية ويشهد بذلك ما هو مودع الآن في مختلف الخزائن العامة والخاصة.

والمغرب مثل أكثر الدول العربية يختزن وثائقه ومحفوظاته في أماكن مختلفة سواء أكانت هذه الأماكن ذات صفة رسمية كالمكتبات العامة والمستودعات الحكومية أو ذات صفة خاصة كالجامعات والمساجد والزوايا والنظارات والمكتبات الخاصة، ولكن بالرغم من هذا الوضع يبقيها معرضة للضياع والتلف أو التآكل، ولكن لا ننسى ما قام به بعض علماء المغرب ووجهاؤه من أعمال في غاية من السمو والمثالية تستحق كل تنويه، إذ كان اهتمامهم امتلاك الوثائق والمخطوطات النادرة غاية من أشرف الأهداف العلمية، وكانوا يحرصون أشد الحرص على تلك النفائس لئلا تهرب أو يتجر بها بغية الإفادة منها. ولعل مزاحمة المستعمرين ورجال الاستشراق أكدت هذا الحرص الشديد على الاقتناء لأنفس الوثائق والمخطوطات بالمغرب حتى يكون لهم أكبر قسط من التراث الوثائقي وحفظه في

الخزائن الخاصة، ولذلك امتلأت بيوتاتهم بطائفة مختارة من خيرة تراث الأمة العربية، ووجدنا حرص هؤلاء على تزويد خزائنهم بكل المخطوطات النادرة ليكون كذلك لمكتباتهم اعتبار علمي مميز في نظر الباحثين ورجال القلم، وكثير من هذه المكتبات الخاصة ذاع صيتها وانتشر، وهناك مراكز عامة لحفظ هذا التراث الوثائقي كمديرية الوثائق الملكية، والخزانة الملكية، والخزانة العامة بالرباط وخزانة القرويين بفاس، وخزانة ابن يوسف بمراكش، ومكتب الزاوية الحمزوية بتافيلالت إلخ.. والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن، هو كيف نحافظ على هذه الوثائق، هل بابقائها بين أيدي الناس أم بجمع شتاتها ؟

إني أرى من الأفضل جمع هذه الوثائق في إدارة مركزية والعناية بها والسهر على حفظها وترميمها وتبويبها ليسهل الانتفاع بها، ولكن ابقاءها على ما هي عليه قد تتعرض لأكثر من آفة، وخاصة إذا انتقلت ملكيتها إلى أيادي أناس لا يعرفون قيمتها، قد يعبثون بها أو يلقون بها في مخازن مهملة تسحقها الرطوبة أو تقضها الحشرات، وقد يلقون بها إلى ألسنة النيران لتلتهمها فتضيع الحقائق التاريخية، وتلك هي الطامة الكبرى، فتظل ثغرات في تاريخنا تحتمل ألف احتمال وتؤول ألف تأويل، وهنا أهيب برجال الإعلام في الوطن العربي كافة أن يقوموا بحملة مركزة ومدروسة وواسعة النطاق ابتغاء توعية المواطنين بأهمية الوثائق ودورها في تصحيح تاريخ البلاد العربية ليقدموا ما لديهم من وثائق إلى المراكز المختصة للإفادة منها. إني أرى في جمع شتات الوثائق خطوة أولى لكتابة التاريخ كتابة موضوعية.

والمغرب في ميدان استرداد الوثائق وجمعها والحفاظ عليها ونشرها والإفادة منها، خطا ويخطو خطوات إيجابية، فقد استرد كمية لا بأس بها من مختلف الدول الأجنبية التي كانت له بها علاقات، كما أنه يقوم بجمع شتات الوثائق من مختلف المدن والقرى، ولهذا الغرض تنظم في كل سنة مباراة جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات فيشارك الناس من كل أقاليم المملكة المغربية في هذه المباراة بما لديهم من وثائق ومخطوطات، وتؤخذ صور لكل هذه الوثائق، كما توجه رسائل خاصة إلى كل من لديه وثائق ويعنيه الأمر بغية بعث تلك الوثائق لتصور ثم ترد الأصول له، وفي ميدان نشر الوثائق قامت مديرية الوثائق الملكية تحت إشراف الأستاذ السيد عبد الوهاب ابن منصور باعداد دورية هي عبارة عن مجلة وثائقية تنشر الوثائق متعاقبة بتعاقب أزمانها متلاحقة حسب تواريخها، معززة ببعض نصوصها المطبوعة بصور أصولها، مزينة بما له ارتباط بها من رسوم زيتية أو صور فوتوغرافية، وكل ما يعتقد أن الفائدة منها تزداد به كأنواع الخطوط وأشكال الزخرف، وطوابع الملوك، وخواتم الولاة، وعلامات القضاة وإمضاءاتهم، وبال يـة المذكورة ثلة تقوم بترتيب هذه الوثائق ترتيبا تاريخيا وترتيبا موضوعيا، وفي نفس الوقت تقوم بعملية ترميم هذه الوثائق وتحقيقها وتسجيلها، وفهرستها، وإذا كانت قراءة الوثيقة صعبة لتعرضها للرطوبة أو لتآكلها فإنها تنسخ أو تطبع حفاظا عليها.

وإننا نسعى في المغرب لإقامة جسر فيما بيننا وبين باقي الأقطار العربية للتعاون وتبادل الخبرات والمعلومات والوثائق والمخطوطات إتماما للفائدة.

وقبل إنهاء هذا العرض لابد من كلمة أخيرة أوجهها على الخصوص إلى المهتمين بالوثائق وكذا المؤرخين استحثهم فيها إلى المزيد من الإقبال التطوعي إلى قراءة الوثائق ودراستها بعمق دراسة متأنية لسبر أغوارها واستيعاب أفكارها لنبرهن على أننا قادرون على تغيير المسار التاريخي، ولكن كفانا من الكتابات الوصفية والجاهزة والإنشائية ذات الطابع الخطابي التي تعتمد التهويل والمبالغة. إن مثل هذه الكتابات لم تعد تخدم الفكر العربي، بل هي على العكس تقف في صف عمليات الهدم غير المتعمدة، والتي تسعى إلى عرض موضوع وفق أسلوب منبري يثير العاطفة استثارة موقوتة، ثم ما تلبث آثاره أن تنطفيء في النفس وتتحول إلى جهد مهمل ربما يقود إلى ذلك الرفض غير المسؤول.

المبارك الريسوني

# لمحات حول المفكر الاسلامي الرائد

# محمد إقبال

## أحد فلاسفة الاسلام الافذاد

للأستاذ علال البوزيدي

**• "النضال والجهاد ينبغي أن يمارسا في عالم الزمان والمكان لا خارج نطاقهما."**

**من أقوال إقبال**

### استهلال

• تعميق البحث في التراث الثقافي الإسلامي يحتاج إلى القراءة المتأنية والمستمرة لأمهات الكتب التي تضم الدراسات والأبحاث الجادة وتحفل في ثناياها بعصارة الأفكار الفذة، وهذه مهمة لا يستهان بها تقتضي بذل الجهد وتحتاج إلى الصبر والمعاناة خصوصا في هذا الوقت الذي طغى فيه الإنتاج الاستهلاكي وراجت فيه بكثرة كتب هزيلة ذات هدف سياسي معين أو تجاري مغشوش وأشياء أخرى لا حاجة لنا في التعرض إليها وبذلك أصبحت الثقافة الحديثة ملغومة في تصوري المتواضع وبالتالي أصبحت القراءة عديمة الجدوة وقليلة الفائدة ولنا أمثلة كثيرة على ذلك منها :

• إن بعض الكتب أصبح إصدارها يستغرق مدة قليلة تحسب بالساعات والأيام تأليفا وتصحيحا ومراجعة وطباعة بزعم الخبرة والاطلاع، غير أن الإحاطة بالجوهر في دراسة الموضوع من كل جوانبه وخلفياته تتطلب الوقت الطويل سواء تعلق الأمر بما هو أكاديمي أو ميداني، وإذا رجعنا إلى الكتب والمؤلفات المنهجية الجادة وجدناها تطلبت من أصحابها السنوات الطوال، والدليل كتب الرحالات ومؤلفات بعض الفلاسفة وكبار الكتاب والمؤرخين والأدباء، وقد يقول قائل بأن اتساع نطاق الطباعة ودخول الآلة والتكنولوجيا ساعد على رفع الطاقة الإنتاجية في هذا المجال، غير أن الحقيقة تؤكد بأن المادة الرائجة ليست عميقة، بل هشة ومهلهلة ومبهمة، وبالتالي مشوبة بالخلط وبالضبابية، وأطرق صفحا عن ذلك وأدخل في الموضوع الذي أحاول أن أخوض فيه.

### محمد إقبال رائد من رواد الفكر الإنساني في العقيدة والفلسفة والشعر

• قبل الإلماح إلى بعض الخصائص التي تنفرد بها شخصية إقبال كمفكر إسلامي له مكانة مرموقة في عالم الفكر والفلسفة والشعر وله نظرية عميقة في الدين وموقف

صريح وثابت من قضايا العصر الحديث حيث يعتبر تفكيره تصحيحا للعديد منها، وحري بنا أن نشير إلى موقفه من توعية الإنسان المسلم وإشعاره بوجوده وكرامته وإيقاظ ضمائر المسلمين واستنهاض هممهم لمواجهة أخطار الاستعباد والاستعمار الغربي، وتجليات هذه المواقف الشريفة الشجاعة ترجمها إقبال في كونه كان يرى بأن النضال والجهاد ساحتهما الحقيقية توجد داخل الزمان والمكان وليس خارجهما.

وكان إقبال يؤمن بما يفكر فيه، بل يقترن في تفكيره العميق القول بالعمل وبهذا الاتجاه الشجاع قام بدوره الثوري الإصلاحي مباهيا بعظمة الإسلام ومستنكرا ومنددا بكل المحاولات التغريبية الرامية إلى إقحام الإسلام في التخلق بإشاعة الأضاليل وترويج الخرافات والأساطير التي لا علاقة لها بالدين الحنيف وركز ثورته على إصلاح النفوس وتطهيرها وبعث روح الاعتماد على النفس ونبذ التواكل والتبعية والتنديد بأنماط التصرف الذي جاءت به إيديولوجيات دخلية على المجتمع الإسلامي وشرح للرأي العام الأمراض التي تصيب الإنسان طالما هو متماديا في تمسكه بالسفاسف والأباطيل التي جاءت مصاحبة للحضارة الحديثة.

## منذ صباه كان شغوفا بقراءة القرآن الكريم

• كما جاء في الاثر فإن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر كذلك الأمر كان بالنسبة لفيلسوف الإسلام محمد إقبال الذي ترسخ في نفسه حب القرآن منذ صباه وانتهج في ذلك أثر والده الذي أوصاه بالمحافظة على القرآن المجيد والإكثار من تلاوته في كل وقت وحين مما رسخ العقيدة في نفسه وكانت وصية الوالد لولده تقول : «يابني اقرأ القرآن كأنه نزل عليك». وكان لهذه الوصية الخالدة أثرا راسخا في عقل إقبال وعبر عن ذلك بقوله : «ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت». وإذا حللنا لفظيا آخر الكلمة التي جاءت في وصية والد إقبال بهذا الخصوص تفيدنا بأنها تدل على رسوخ الإيمان في القلب ولم تكن اندفاعا عاطفيا كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان.

## الفيلسوف الذي لم يعمر طويلا

• ككل عبقري ونابغة كانت حياته رغم قصرها حافلة بالعطاء ومليئة بالاجتهاد.

• إذ فارق الحياة عن سن لا يتجاوز 55 سنة.

• ذلك لأنه ولد في 22 من شهر فبراير 1873 ببلدة سياكوت بإقليم البنجاب في الهند وكانت أسرته متوسطة الحال محافظة على العقيدة الإسلامية السمحاء، وشب وترعرع في عائلة متشبعة بروح الإسلام ومتمسكة بشريعته الخالدة وبذلك كانت نشأته سليمة الشيء الذي غرس في أعماقه ونجواه أصول الإيمان الصحيح وبهذا الرصيد الإيماني مارس إقبال دوره كمفكر وفيلسوف وشاعر وتمحور هذا الدور الإيجابي والفعال في خدمة الإسلام والمسليمن في مسيرة جهادية ونضالية متواصلة الحلقات متناسقة المواقف إلى أن وفاه الأجل المحتوم في 21 أبريل من سنة 1938 م ودفن في مدينة لاهور فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن الجزاء على ما قام به من جليل الأعمال وما تركه من تراث خالد يعد مفخرة من مفاخر الفكر الإسلامي الرائع.

## لمحات حول نشاطه العلمي والمهام التي مارسها

• قال عنه السيد سجاد حيدر في محاضرة له جاء فيها بنصوص تاريخية أرخت المراحل التي مر بها إقبال في حياته العلمية والتي كانت خلالها حياته مرتبطة بالخارج لمدة ثلاث سنوات قضاها موزعا بين كمبردج وميونخ ولندن، حيث درس الفلسفة في جامعة كمبردج وحصل على الدكتوراه من ميونخ وكان موضوع أطروحته «تطور العلوم العقلية بإيران» ومارس مهنة المحاماة في انجلترا، ومن نفس المصدر نستفيد بأن إقبال عاد إلى لاهور التي مارس فيها مهام أستاذ بالكلية ثم تفرغ إلى الفلسفة والأدب الإنجليزي، ودفعته عبقريه الخلاقة في وقت وجيز للتفرغ لدراسة القانون، ومع هذه المهام ظل على اتصال بالنشاط الفكري ومتابعة أعماله كفيلسوف وشاعر، وبعد ذلك أخذ يتدرج في مهام عديدة منها انتخابه عضوا في الجمعية التشريعية.

ويقال عنه كذلك بأنه في هذه الفترة تلقى دعوة من لجنة التحقيق البريطانية للإدلاء برأيه في الإصلاحات

المطروحة بشبه القارة، وفي سنة 1930 انتخب رئيسا للدورة السنوية لحزب الرابطة الإسلامية، وفي ظرف سنتين أي في عام 1932 ترأس الدورة السنوية للمؤتمر الإسلامي.

ولم تحل كل هذه المهام بينه وبين استمرارية اتصاله بمجالات التعليم والدراسة، بل ظل لمدة سنوات عميدا لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الفلسفة بجامعة البنجاب واستمر منه هذا العطاء وهذا الجهد الجبار إلى أن فارق الحياة.

## أعماله الفكرية في أحد عشر كتابا

• إذا تأملنا مختلف الأطوار التي مر بها إقبال في حياته يتضح لنا بأن هناك جهودا لا تزال ضائعة لم تلمسها يد التحقيق والتدوين والتأليف خصوصا وأن مؤلفاته معظمها في الشعر باستثناء كتاب واحد في النثر وهذا قليل من كثير جدا إذا قيس بالاجتهادات التي قام بها هذا المفكر المسلم الذي عد في طليعة الدعاة والأعلام البارزين في الفكر الإسلامي.

ولعل مرد ذلك يعزى إلى أن أغلبية كتبه التي نشرت باللغات الفارسية والأوردية والانجليزية.

والراجح هو أن إقبال طرق في مؤلفاته قضايا فكرية حيوية جدا تمس صميم المجتمع الإنساني وتعالج الإشكاليات التي تواجه الإسلام والمسلمين. وتميز أسلوبه بالعمق والروعة في التعبير وخصوصا عندما كان يتحدث عن عالم الروح ويصف عظمة الإسلام وحلاوة الإيمان، ولنستمع إليه في هذه الكلمة المختصرة البليغة التي يحدد فيها سمة المؤمن فيقول : «المؤمن هو من يستقبل الموت وعلى شفته ابتسامة».

ومن هنا يتبين بأن النضج والعمق الفكري عند إقبال هو نتيجة تمسكه بالإيمان الصحيح وإخلاصه الكامل في محبة الله ورسوله الكريم سيدنا محمد عليه أفضل صلوات الله وسلامه وتجليات ذلك تبرز في مجموعة من أشعاره أفردها لمدح الرسول عليه السلام ونشرها باللغتين الفارسية والأوردية.

## قضايا هامة أثارها إقبال حول طبيعة الإنسان والعالم كما حددها القرآن الكريم

• وتوصل إقبال في ممارساته الفكرية إلى حقائق ثابتة تؤكد بأن العالم لم يخلق عبثا، ويقول بالنسبة للإنسان بأنه يواجه العالم من جميع النواحي ويضيف بأن الإنسان في صميم كيانه قوة مبدعة وروح متصاعدة تسمو قدما من حالة وجودية إلى حالة أخرى، لقد قدر عليه أن يشارك في أعمق رغبات العالم الذي يحيط به، وأن يكيف مصير نفسه ومصير العالم كذلك، واسترسل يقول بخصوص التغيير الذي يعرفه العالم بأنه يقتضي من الإنسان أن يغير ما في نفسه : واستدل على ذلك بما جاء في القرآن الكريم : ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾.

• وسوف لا آتي بجديد إذا قلت بأن فلسفة إقبال كانت تضع الروح في مكانة سامية كما ينبغي لها ذلك، وانطلاقا من هذا المفهوم أوضح بأن الإنسانية تحتاج إلى ثلاثة أمور :

1) تأويل الكون تأويلا روحيا.

2) تحرير روح الفرد.

3) وضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي وقد تعرض بالشرح والتحليل للأفكار التي عبر عنها إقبال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه تجديد الفكر الديني في الإسلام.

وكان بودي لو اتسع الموضوع للتعليق عليها.

• وإذا كان من رأي صريح ينبغي أن يقال عن إقبال فهو أن ما كتب عن هذا المفكر المسلم قليل جدا وحتى هذا القليل كان التركيز فيه على الجانب الشعري في حياته غير أن شياطين الشعر عند إقبال ليست كتلك التي عند غيره بل هي كما قال أديب عربي كبير لم يحضرني إسمه :

«إن فلسفة إقبال قبس من النور الأعظم الذي يتوهج في كل آية من كتاب الله وإن القوة المبدعة في إقبال نفحة من نفحات الرسالة العظمى التي بعث الله بها نبيه ﷺ».

## إقبال كما يراه المفكرين والأدباء

• قال عنه عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين : إقبال هو الذي دعانا إلى الخير وأشاع فينا هذا الأمر، بأن نعرف أنفسنا وحقوقنا ونجاهد في سبيل الحق والخير والجمال.

• أما الأستاذ أحمد حسن الزيات فقال عنه :

إذا كان حسان شاعر الرسول، فإن إقبال شاعر الرسالة، وإذا كان لحسان من نازعه شرف الدفاع عن محمد ﷺ، فليس لإقبال من ينازعه شرف الدفاع عن المحمدية.

• وتحدث عنه عباس محمود العقاد والدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور محمد حسين هيكل وغير هؤلاء من الأعلام فأشادوا جميعا بالمكانة المرموقة التي يحتلها إقبال على ساحة الوطن الأكبر وعلى صعيد الأمة الإسلامية والعالم ككل.

• واقتطف هذه الكلمة من بين ما قاله المرحوم حسين هيكل في حق فيلسوف الإسلام :

• لم يكتف إقبال بأن يتجه برسالته هذه إلى أبناء وطنه المسلمين في الهند، بل توجه بها إلى مسلمي العالم كافة، وقصد بها أن تكون رسالة عالمية للناس جميعا حيثما كانوا من أرجاء الأرض.

• فماذا باستطاعتي أن أضيف من عنديتي من إثراء أو تنويه بشخصية وعبقرية مبدعة انتزعت كل هذا التقدير واستحودت على كل هذا الإعجاب من طرف أعلام فطاحل يقارعون الحجة بالحجة وعلى قدر كبير من العلم والمعرفة، بل كلما في إمكاني هو أن استدرج في ثنايا هذا الموضوع بعض أقوال إقبال المأثورة التي أصبحت مقدمات لنصوص تاريخية وأبحاث علمية وسياسية واجتماعية أكاديمية وميدانية.

## أقوال لها دلالات

• مهما تهددتك المخاوف فليكن لسانك ترجمان قلبك، هكذا كان القديسون والأبرار.

• إذا عمر الحب قلب الكافر كان مسلما فإن خلى قلب المسلم من الحب كان كافرا زنديقا.

• إن شعري هو الذي يعطي أوراق الورد لونها المتلالي ودمي هو الذي يتلألأ في أشعاري.

• إن قلبي لا يتعشق الشبان المغامرين الذين يرمون شباكهم على النجوم.

## المسلم المعاصر كما يراه إقبال

• لعل من الطبيعي أن يساير الإنسان المسلم مقتضيات الحياة المعاصرة ويناقش ويحاور الفكر المعاصر، لكن مع المحافظة على أصالته وعقيدته وهذا هو الوعي الحقيقي الذي حمل عبقرية إقبال وناضل في ساحته وهو يمارس دوره الإصلاحي وعلى هذا النحو تمحورت النظرة الفلسفية لإقبال التي كانت ترمي إلى تنشيط الإنسان المسلم وانتشاله من القوقعة والركود والانفتاح على العالم بتحريك طاقاته واستغلال مواهبه وثرواته المختلفة لتحقيق النهضة الشاملة وتطوير الحياة والخروج من منطقة التخلف وممارسة الحياة من موقف القوة لا من موقف الضعف وقد جاء في الأثر :

• المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

• وكلما استعملنا لفظ معاصرة وهو الضد للأصالة كلما فهمنا بأن هناك علاقة إنسانية لابد منها بين الناس جميعا لأن طبيعة التعامل البشري ضرورة حتمية لا مناص منها إذا فلابد للإنسان المعاصر أن يتعامل مع الإنسان الأصيل والعكس بالعكس ذلك لأن استمرارية العالم والتعايش تقتضي ذلك، ويبقى هنا المجال مفتوحا أمام العقل والوعي لتحديد مفاهيم ومعايير هذا التواصل الحتمي.

وإقبال لا يستحسن وضع المسلم في الحياة المعاصرة ولا يريد له أن يكون كالأروبي المعاصر في أي توجيه من توجيهاته، ونظرية إقبال في الإسلام تؤكد بأنه فهم الإسلام فهما صحيحا سيمكن المسلم من السيطرة على «الواقع».

## توجيه الإنسان من منظور إسلامي

• جاء في كتاب «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» للمرحوم الدكتور محمد البهي قال :

إقبال يرى أن الوجود عبارة عن ثلاث وحدات :

- الذات الكلية - وهي (الله)
- الذات الفردية، وهي الإنسان.
- عالم الواقع، وهو عالم الطبيعة.

• ومن هذا المنطلق يتضح بأن هذا المفكر كانت له رؤيا واضحة للكون وهذا الوضوح هو ما تتأكد حاجة الإنسانية إليه باستمرار لاستجلاء الغيوم والرؤى الضبابية التي تتسلط على العالم المعاصر لإقحامه في ظلمات الشك والتشكيك واطفاء أنوار الإيمان في قلوب الناس، ولعل هذه الأوضاع أصبحت تلاحظ في السلوك البشري من خلال الصراع المحتدم بين المادة والروح، والدارس لأفكار إقبال ينتهي إلى أنه كان مقتنعا بضرورة تحقيق الحياة الروحانية في المجتمع الإنساني، ولم ينف ضرورة الاجتهاد، بل كان مقتنعا بها كذلك كأمر بديهي.

• وما أحوجنا في هذا الظرف الذي يمر به عالمنا الإسلامي إلى مضاعفة الاجتهاد اعتمادا على القرآن الكريم والشريعة الإسلامية الخالدة.

• وذلك في سبيل تذليل المصاعب وانتقاء أنسب الحلول للإشكاليات المطروحة في الساحة الإسلامية واستغلال الصحوة الإسلامية أحسن استغلال وأفيده حتى تتحقق للأمة المحمدية العزة السرمدية والأمجاد الأبدية عبر أطوار التاريخ في الحاضر والمستقبل والقضاء على كل بذور الشقاق والنفاق، وليس ذلك على همة المخلصين الأوفياء بعزيز.

## الأعمال التي تركها إقبال تنفي عنه تأثره بفلاسفة الغرب وخصوصا أوغست كونت وهيكل ونيتشه

• إن القراءة المتأنية في التراث الفكري لإقبال فلسفة وشعرا ونثرا، تدل على عبقريته المبدعة واجتهاده الخاص، كما تدل على أنه صاحب نظرية مستقلة غير متأثر فيها بأي اتجاه فلسفي غربي، بل فهو ملهم من إيمانه العميق واتجاهه الأصيل ونظريته الواقعية للدنيا، فهو الذي حدد مفهوم الدنيا بكونها دار الفرصة للعمل وبموت الإنسان تذهب منه هذه الفرصة وفي قولته هذه يتجاوب مع الحديث الذي يقول :

• إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :
صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له.

## وخلاصة القول أن إقبال كان بعيدا عن العنف

• وإذا كان لا بد من كلمة تقال في حق هذا الرجل الذي كرس حياته للتفكير في قضايا الإسلام والمسلمين فهي أنه لم يكن عنيفا كبعض الدعاة والمجددين والمصلحين، بل مارس أدواره واتخذ مواقفه الإيجابية بأسلوب ثوري في أبعاده ومسالم في عمقه ودلالاته ومرن في تطلعاته ومراميه.

وهنا يحضرني المثل الذي يقول :

• يؤخذ باللين ما لا يؤخذ بالعنف.

ولعل هذا هو السر في الأمجاد التي حققها إقبال واستطاع بها أن يرتقي إلى مصاف الدعاة والأعلام البارزين في العالم الإسلامي والعالم ككل.

## كلمة أخيرة

• وختاما إذا كان باستطاعتي أن أقول شيئا عن إقبال فهو أنني توصلت من خلال قراءتي لبعض ما كتب عنه واستنتجت بأن المحور البارز الذي تدور في فلكه فلسفة هذا المفكر هو أنه أعلن للملأ بتفكيره واجتهاده بأن حياة الإنسان روحية في كنهها وأن التوحيد هو أصل الوحدة الإنسانية.

## المراجع :


• محاضرة السيد سجاد حيدر سفير باكستان في ج.م.ع سابقا.

• كتاب «الفكر الإسلامي والتطور» للأستاذ فتحي عثمان.

• كتاب «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للمرحوم الدكتور محمد البهي.

• كتاب الدكتور محمد عبد الوهاب عزام : «محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره».

• مقال للأستاذ محمد عبد الرحمن السبيطي مجلة دعوة الحق.

# أدب الأدارسة

للأستاذ عبد العزيز الساوري

**نواجه في عهد الادارسة عوامل ساهمت في نشر اللغة العربية وتوسع حركة التعريب ويلخصها د. عباس الجراري فيما يلي 1 :**

**1 ـ حالة الاستقرار التي سادت مناطق نفوذ الادارسة.**

**2 ـ عروبة الادارسة.**

**3 ـ انشاء جامع القرويين.**

**4 ـ خروج المغاربة في رحلات علمية الى المشرق والقيروان والاندلس وعودتهم الى المغرب.**

**5 ـ كثرة الوفود العربية التي قصدت مدينة فاس قادمة اليها من الاندلس والقيروان.**

**وقد تقدم الادب شيئا بفضل هذه العوامل، وان بقي متسما بسمات المدرسة الشرقية المحافظة : فالمدح والعتب والفخر والهجاء من فنون الشعر والخطابة والمراسلة من فنون النثر انواع ادبية ضاع كثير من نصوصها وسط تلك الفتن التي دهت المغرب غداة تفرق الادارسة.**

من ابرز شخصيات هذا العصر الامام إدريس بن إدريس بن عبد الله رضي الله عنه الذي يلقبه ابن أبي زرع بالشاعر المجيد ويورد بعض اشعاره (2). كما يورد ابن الابار ترجمته واشعاره (3). ولشعره دلالة تاريخية نتيجة تأثير الاحداث ودلالة نفسية لبعد الأهل والتشوق اليهم. فمن الشعر الأول قوله في بهلول بن عبد الواحد المدغري، وكان من خاصته وأركان دولته فاستماله إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية حتى بايع للرشيد (4) :

1) الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ج 1 ص 50.
2) الانيس المطرب ص 26.
3) الحلة السيراء ج 1 ص 53 ـ 56.
4) الأنيس المطرب ص 27.

أبهلول قد شممت (5) نفسك خطة
تبدلت منها ضلة (6) برشاد
أضلك إبراهيم من بعد داره
فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب
غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون مامنتك نفسك خاليا
ومناك إبراهيم شوك قتاد

وكان ابن الأغلب قد دس إلى راشد مولى إدريس الذي كفله منذ ولادته، من قتله غيلة وقال في ذلك (7) :

ألم ترني أرديت بالكيد راشدا
وأني بأخرى لابن إدريس راصد
تناوله عزمي على نأي داره
بمختومة في طيهن المكائد
وقد كان يرجو أن يفوت مكائدي
كما كان يخشاني على البعد راشد
ثلاثون ألفا سقتهن لقتله
لأصلح بالغرب الذي هو فاسد
فأضحى لدينا راشد يتبذنه
بنات المنايا والحسان الخرائد
فتاه أخو عك (8) بمهلك راشد
وقد كنت فيه ساهرا وهو راقد

يقول د. حسين مؤنس : «وهذه الأبيات ظاهرة النحل. فهي تخلط بين مقتل راشد وموت إدريس» (9).

وقد علق المرحوم العلامة المؤرخ عبد الله الجراري على الابيات بقوله : «كل هذا والمسلد البربري - يرى ويسمع من بين تفاعيل القريض وأراجيز الشعر واشطار القافية الجذابة - ما يرهف حسه. ويلين طبعه ويحفزه للتأثر تحت نقرات الوزن، ودندنة الترتيلات الشعرية وقد البست حلة القوة المخبوءة وراء شاشة هذا العرض الذي كان ينطوي عليه ابن الاغلب من خداع وكيد اعربت عنهما القافية بهذا اللون من الأساليب الشعرية. وشيء من هذا القبيل هو بطبيعته المنسجمة دقة ورقة لا يعتم أن يسمو بمعنوية المستمع ويشحذ إحساسه المزدوج فيثب وثبة المتفاني الولوع للتمرن على هذا الفن الرقيق من القول» (10).

وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعوه إلى طاعته أو الكف عن ناحيته، ويذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي أسفل كتابه (11) :

أذكر إبراهيم حق محمد
وعترته والحق خير مقول
وأدعوه للأمر الذي فيه رشده
وما هو لولا رأيه بجهول
فإن أثر الدنيا فإن أمامه
زلازل يوم للعقاب طويل

إن الظروف السياسية التي واجهها إدريس جعلت من إحساسه بالهموم وبعد الأحباب دائم التشكي والشكوى في عصر يكثر فيه هول الأحداث وعلامات الخطر الجاثم وحالات يقلق لها الانسان ويتشوق للأهل بيته (12) :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم
لضل في روعتي أوضل في جزعي
وما أريع إلى يأس ليسلمني
إلا (... ...) يأس إلى طمع
وكيف يصبر مطوي هضائمه
على وساوس هم غير منقطع
إذا الهموم توافت بعد هجعته
كرت عليه بكأس مرة الجرع
بأن الأحبة واستبدلت بعدهم
هما مقيما وشملا غير مجتمع
كأنني حين يجرى الهم ذكرهم
على ضميري مخبول من الفزع

---

5) أي اطمعت نفسك بخطة لم تدركها الاشيا
6) أي جوارا وميلا عن الحق.
7) الحلة السيراء ج 1 ص 98.
8) والعكي هذا هو ابن مقاتل العكي والي افريقية للرشيد.
9) نفس المصدر.

10) مجلة (دعوة الحق) العدد الرابع السنة الثانية رجب 1378 يناير 1959 ص 37.
11) الحلة السيراء ج 1 ص 55.
12) المصدر السابق ص 55 - 56.

تأوي همومي إذا حركت ذكرهـــــ
إلى جوانح جسم دائم الولــــــع

يقول عبد الله كنون : «هذه الابيات وقع فيها اختلاف في اللفظ وزيادة تركناها لعدم إنسجام المعنى بها» (13).

وفي هذه الابيات تعبير عن واقع لاسبيل إلى الصبر على شدائده ولو جمع صبر الناس وحتى لولان الشاعر باليأس ليستريح لبرق إليه بارق الطمع، ولعل ذلك إشارة إلى ما انتاب الشاعر من هواجس الركون إلى الراحة أو الدخول إلى حلبة الصراع السياسي طمعا في السلطة. فالاحداث الخارجية ومحاولاتها الانقضاض على الادارسة والصراعات الداخلية وموالاة البربر لعناصر غير إدريسية. اقلق إدريس وربما لقلة تجربته وحداثة سنه أتاح للخواطر والوساوس أن تقض مضجعه وتجرعه الهموم بمرارة، ولا سبيل إلى غير ذلك مادام بعد الاحباب وتشتت الشمل وملازمة الهم يحتل كل ذلك واقعه الذي سيصير مأوى تأوي إليه الهموم التي تجلبها الذكريات.

ومما يذكر عنه أنه أنشد في حال قتالـه لمن عانده (14) :

أليس أبونا هاشـــــم شـــــد أزره
وأوصى بنيه بالطعـــان وبالضـــرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنـــــا
ولا نشتكي مما يـؤول إلى النكـــب
ولكننا أهل الحفائـــظ والنهــــى
إذا طار أرواح الكمـــاة من الرعـــب

وينم أدب المولى إدريس الثاني عن حماسته الفياضة وعزة نفسه وثباته في الحرب. يقول المرحوم العلامة الجليل عبد الله الجراري : «.. هذه الابيات الحماسية القوية لها سبب أدبي خاص عليه انبنت قافيتها المطبوعة بطابع الرجولة الفياضة المتركزة على أناة الطويل المتوالي النبرات الهادئة والمشعرة في نفس اللحظة باندفاع كل من المنشد والمستمع عن حماسية وشعور لمنازل الأحرار...» (15).

ومثل هذا الشعر الذي قيل في المغرب في هذه الفترة لا يمثل نمطا ثقافيا وحضاريا متميزا لأن أدب الأدارسة ظل يعيش في بيئة عربية خالصة لم تعرف عوامل الاندماج أو أسباب التجانس في سبيل خلق نمط واحد يضمهم مع المغاربة داخل إطار ثقافي ونطاق حضاري يقول د. عباس الجراري : «وقد ظل الادارسة مشارقة بالروح والعقلية وبنمط الحياة وبطبيعة العلاقات ومستوى التعبير. لا يفارقهم الشعور بأرومتهم. ذلك الشعور الذي كان ثابتا فيهم متأصلا يتمثل في الحنين الذي لم يخب قط في نفوسهم. بل أن هذا الحنين ظل يراودهم بقوة في بعض الاحيان، وخاصة حين تتأزم الأحداث والظروف» (16).

أما آثار ادريس الثاني النثرية فنجد خطبته التي قالها باثر مبايعته وهو ابن احدى عشرة سنة ويذكر علي الجزنائي عجب الناس من فصاحته وبيانه ورصانة عقله وبلاغته (17) وفيها جاء : «الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه. وأعوذ بالله من شر نفسي وشرذي شر، وأشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أيها الناس أنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر، وللمسيء الوزر ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا» (18).

---

(13) امرأؤنا الشعراء ص 9.
(14) جنى زهرة الآس ص 17.
(15) مجلة (دعوة الحق) العدد الرابع السنة الثانية رجب 1378 يناير 1959 ص 38.
(16) الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ج 1 ص 71.
(17) جنى زهرة الآس ص 16.
(18) نفس المصدر.

ولعلك تعجب أن تكون هذه الخطبة الموجزة المحكمة قالها غلام في الحادية عشرة من عمره. ولكننا لا نستبعد صدورها منه. فقد روت كتب التاريخ أنه نال قسطا وافرا من الآداب والمعارف والفروسية في سن مبكرة (19). هذا إلى أنه سليل أسرة عرفت بالفصاحة والبلاغة.

ول محمد بن تاويت ود. محمد الصادق عفيفي مؤلفا كتاب «الأدب المغربي» (20) : «ونحن في ذكرنا لمثل هذه الخطبة نذكرها بشيء من الحذر رغم تواتر المصادر التي ذكرتها، لأن هذه المصادر ذكرتها بصورة مضطربة مبتورة تجعلنا نتشكك في صحتها، ولأنها ربما كانت هي أو غيرها من وحي المعجبين أو ربما كانت لبعض العرب النازحين كتبت للأمير».

وهذه الخطبة مع ذلك من السهل أن يكون قد حضرها. فما هي ـ إذا استثنينا مقدمة التمجيد والثناء ـ إلا بضع جمل يخبر فيها بولايته ويتحمل تبعاتها ومسئولياتها ويطلب من الناس في حزم وقوة إلا يقعوا في فتنة أو يتطلعوا إلى غيره وإن لهم عنده ما يحبون من خير وعدل.

وأما تمجيد اته وصلواته ودعاؤه ـ فإنها قوية «أعوذ بالله من شر نفسي وشرذي شر» ـ «أرسله إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» ـ «أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». ولعله لا يخفى عليك أن أكثر معانيه مقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف. فالجملة الأولى مأخوذة من سورة الفلق «قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد» (21) والثانية مأخوذة بنصها تقريبا من قوله تعالى : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» (22) والثالثة كذلك من قوله تعالى : «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (23). أما قوله : «يضاعف للمحسن فيه الأجر وللمسيء الوزر» فمأخوذ من أحاديث الرسول (ص) في الإمام العادل والظالم وجزاء كل منهما، وهي كالتالي (24) :

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة. وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحا. رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وإسناد الكبير حسن.

ـ وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة : قيام ليلها وصيام نهارها، ويا أبا هريرة : جور ساعة في حكم أشد وأعظم الله عز وجل من معاصي ستين سنة.

وفي رواية : عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة. رواه الأصبهاني.

ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا : إمام عادل. وأبغض الناس إلى الله تعالى، وأبعدهم منه مجلسا : إمام جائر. رواه الترمذي والطبراني في الأوسط مختصرا. إلا انه قال : أشد الناس عذابا يوم القيامة إمام جائر (25). وقال الترمذي : حديث حسن غريب.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة إمام عادل رفيق (26). وشر عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة جائر خرق (27). رواه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة وحديثه حسن في المتابعات».

وجميل تعبيره «ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا». إنه تعبير يدل على رجولة مبكرة ويكشف عن نفس سيد وعزة ملك.

وهذه خطبة ـ لعمر الحق ـ وافية شافية رغم قصرها. ويكفي أن يشعر الناس أن إمامهم شاعر بمسئولياته مقدر لخطورة منصبه. قد جعل العدل منهجه وقد صمم على قطع

(19) المصدر السابق ص 15 ـ 16. الأنيس المطرب ص 26.
(20) ص 122.
(21) الآيات : 1، 2، 3، 4، 5.
(22) سورة الأحزاب. الآيتان : 45، 46.
(23) نفس السورة. الآية : 33.

(24) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ـ الحافظ ابن عبد القوي المنذري ج 3 ص 167 ـ 168.
(25) ظالم يغضب ويأكل أموال الناس ويجور في حكمه.
(26) شفيق رحيم. قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) فالرحمة من صفات المؤمنين.
(27) أحمق غر جاهل سفيه.

دابر الفتن قبل بزوغها، فاطمأنوا الى قوته وحسن سياسته، واستظلوا بعد له وجميل رعايته.

وقد عرفنا خطبا لكثير من الخلفاء في مثل هذا الموضوع فكانت أقرب الى الايجاز وأجمع لرسم المنهج الواضح لطريقة الحكم. وفيها التهديد وفيها الوعد والوعيد. فلم تخرج خطبة المولى ادريس الثاني عن هذا الأسلوب.

لكن هل ترى أن ماينتهجه الملوك والرؤساء في العصر الحديث حين يتولون مناصبهم، من اعطاء برنامج تفصيلي أفضل أم هذه الطريقة التي تجنح الى التركيز وتكتفي بالاشارة واللمح ؟ أم ان لكل عصر مقتضياته وظروفه وطريقته في المشورة والديمقراطية ؟ وان الشعوب الواعية الفاهمة تخاطب بما لم تكن تخاطب به الشعوبالتي لم تكن تشارك في سياسة الدولة الا بعدد أصابع اليد الواحدة من الرجال الذين يختارهم الحاكم لا الشعب !

هذا ولعلنا نلاحظ أن الخطيب لم يهتم بسجع أو بديع، وأن جمله مرسلة لا يلتزم فيها نظاما مابعينه من قصر أو طول أو ازدواج أو غير ذلك.

يقول عبد الله كنون : «والحقيقة أن هذه الخطبة على قصر هاتين مدى فعالية التربية الحسنية التي قام بها راشد لادريس اعدادا للمهمة الكبرى التي تنتظره، وتدل على بعد نظر ادريس والمامه بالظروف التي بويع فيها وطبيعة الأحداث التي تواجهه. فهو لم يغتر بنصرة القوم له، والحماس الذي أظهروه في بيعته، وانما اعتمد في ولايته الحسبة وتوخي العدل وطلب الثواب من الله عز وجل. ثم ألمع الى خصومه وما يدبرونه له من المكائد، فأنذر من يصغي لهم وينخدع بكلامهم أن مرادهم هو التسلط والقهر، واشاعة الفتنة. وأما الحق والعدل وحكم الشرع فانهم بمعزل عنه، ولا يقيمه الا أهل البيت الذين ثاروا من أجله وأراقوا دماءهم الزكية في سبيله. فما أشبه هذه الخطبة في اختصارها وجمعها بخطبة أبي بكر الصديق التي خطب بها عند مبايعته. وهي إن تكن من كلامه في هذه السن المبكرة فذلك منتهى النبوغ، وان تكن مما خطب به عند تقدمه في السن واستتباب الأمر له، وانما المؤرخون هم الذين جعلوها خطبته الأولى فذلك منتهى التوفيق» (28).

وأما الخطبة الثانية، وقالها بعد الأولى بنحو ست سنوات بعد بناء مدينة فاس، فلعل حدة الشك حولها تخف، وقد ختمها بهذا الدعاء : «اللهم انك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة، وانما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم مابقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير» (29).

يقول عبد الله كنون : «وقد أثبت ادريس بهذا أنه رجل دولة من الطراز الأول، فهو سياسي بارع واداري محنك، وصاحب سيف وقلم، يحب العمارة ويسعى في أسبابها من اقامة العدل ونشر الأمن وتعميم الرخاء، فلم يزده ذلك الا شهرة وبعد صيت ورفعة ذكر» (30).

ومن اللطائف الأدبية ما حدث به دواد بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي (نسبة العزيز) قال : «شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا. فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وقدم للقتال، فقاتلناهم قتالا شديدا، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر في الجانب الثاني، فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع إلى رايته، فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم، فأعجبني ما رأيت منه من شجاعته وقوة جأشه، فالتفت نحوي فقال لي : يا داود مالي أراك تديم النظر إلي ؟ قلت : أيها الامام انه أعجبني منك خصال لم أرها في غيرك. قال : وما

28) الامام ادريس ص 12 ـ 13 سلسلة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» العدد 33.
29) الاستقصا ج 1 ص 167.
30) الامام ادريس ص 18.

هي يا داود ؟ قلت ، أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك، ومن طلاقة وجهك، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك. قال ، ذلك من بركة جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وارائة عن أبينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قلت ، أيها الامام وأراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في فمي فلا أجده. قال ، يا داود ذلك لاجتماع عقلي وقوة بأسي عند الحروب. وعدم الريق من فمك لطيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب. قال داود ، فقلت أيها الأمير وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك. قال ، ذلك مني زمع إلى القتال وحزم وصرامة، وهو أحسن في الحرب. فلا تظنه رعبا، وفي هذه اللحظة أنشأ يقول ، أليس أبونا هاشم شد أزره الابيات ـ» (31).

يقول العلامة الشهيد عبد الله الجراري ، «فهذا التجاوب الإسلامي المكسو حلة صدق وصفاء بين خليفة المسلمين وفرد من أفراد رعيته المخلصين ليهدينا في وضوح إلى ـ ما لرجال الخلافة وملوك الإسلام في عهوده المشرقة من انطلاق وانشراح ولين في الوقوف جنبا لجنب تشخيصا لروح الديمقراطية الحق ذوبانا منهم وامتزاجا بالاوساط الشعبية دون أن يتبرموا أو يأنفوا أو يعرفوا للاستقراطية والميز مدلولا يحول دون اتصالهم برعاياهم الأوفياء.. ولا أدل على هذا المعنى الكامل (والتاريخ يعيد نفسه) ما أصبحنا نراه اليوم في جلالة عاهلنا المفدى البطل الاشوس مولانا الحسن الثاني حفظه الله في رحمة الصغير، والعطف على الكبير، ومواساة المحتاج والمعوز في استرسال وتتابع. (الله عودك الجميل فقس ما قد مضى)» (32).

ويتضح من خلال هذا العرض الذي أدلى به داود الأوربي أن قائد المعركة وبطل الدولة إدريس عندما حان اللقاء تطهر وركع ركعتين ودعا ربه، ثم امتطى صهوة جواده واقتحم الساحة ضاربا مرة هنا وأونة هناك غير غافل عن جنده الباسل وهو في وطيس المعركة يستميت دون الانتصار الذي تستحلى الشهادة في ساحته المقدسة وعتياره الطاهر. وفي هذا الجو القاتم. والظرف المتزاحم الحاسم يذهب الامام ويجيء تحت ظلال البنود. وخطوط الرماح يحرص ويشجع ـ والرجل الأوربي يديم النظر إليه تباعا متعجبا من ثباته وطلاقة وجهه الشيء الذي اضطر معه الخليفة لسؤاله عن ذلك فما كان من الأوربي إلا أن صارحه شارحا له دوافع استغرابه وتعجبه.

وكان هذا من المولى إدريس فتحا للباب في وجه الرجل البربري جعله يسترسل في الاستفهام بلسان عربي مبين عن كل ما لفت نظره من حالة الامام وقوة جأشه، وخفة حركاته ومواصلة جولاته الحربية ميمنة وميسرة، وامام وخلف وقلبا ـ قلت أيها الامام وأراك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في فمي فلا أجده. قال ، يا داود ذلك لاجتماع عقلي وقوة بأسي عند الحروب. وعدم الريق من فمك لطيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب.

وقد علق فقيد العلم والدين والأدب الأستاذ الكبير عبد الله الجراري على هذا الكلام بقوله ، «انها لحقيقة ثابتة في النوع البشري كلما أصيب أودهاه مشكل، أو غمرته داهية في هذا المحيط الرهيب وفي مضيق هذا الفزع الساور يجف الريق وينقطع البصاق أن لم يغر تهائيا ويصبح الإنسان الفرق متبلما كالشرق بريقه يبحث عن جرعة ماء يدفع بها غصته. وانحراف لهواته عن الطبيعة خورا وجبنا يمنى بهما كثير ممن لم يتلقوا دروسا في الصرامة والبطولة، ولم يساعدهم الحظ بالتشبع بمبادىء التربية الوطنية التي تستطيع أن تبرز ما كمن في النفس من رجولة. واستبطن في خلاياها من نبل وقوة وإيمان وثبات ضمير وصمود امام الخطوب والشدائد مكارم يمنحها الإنسان بالطبع والوراثة أو يكتسبها أحيانا بمثاقفة اكفاء اشبعوا بروح التربية الصحيحة، وتلقفوا مبادئها المشرقة في الإسلام وسننه التربوية الخالدة التي كم اعتنت بهذا المبدأ الإنساني، وأحاطته بمزيد الاعتبار والاكبار رغبة في تحبيبه إلى النفوس الواعية لماله من تأثير في تقدم المجموعة الإنسانية وانتصارها على المناوئين والأعداء.. وهذا

(31) الانيس المطرب ص 26.
(32) مجلة (دعوة الحق) العدد الرابع السنة الثانية رجب 1378 يناير 1959 ص 38.

ما تتابع واسترسل متسلسلا منذ حقب وأجيال بعيدة حتى عصرنا الماثل حيث أصبحنا ولله الحمد وله المنة نلمسه في غير ميدان وقد ناصرنا الثبات. وحالفنا الفوز» (33).

ومن شجاعة هذا الأوربي الأدبية الشجاعة المشربة بروح البطولة التي أوحت بها طبيعة البساط ما رأى عليه من تقدم نحو الامام بسؤاله الجريء قائلا : أيها الأمير وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك. قال : ذلك مني زمع الى القتال وحزم وصرامة. هو أحسن في الحرب. فلا تظنه رعبا. ثم أردف ذلك بالأبيات الآنفة الذكر.

يقول المرحوم العلامة المؤرخ عبد الله الجراري : «هكذا قام البربري الصريح سائلا أمام الدولة ابن الرسول الاكرم دون أن يتهيبه أو يخشى سلطانه وقوته هذا السؤال العظيم الذي أوحى للامام بعض هذا الدرس الحربي الخطير الذي كان فيه توجيه وارشاد لابناء المغرب العربي الأباة الذين خلقوا مطبوعين على الشهامة والأباء. خلقوا ليكونوا أحرارا أعزاء يأبون الضيم والذل وينشدون بالتوس والطبع. لاتسقني ماء لحياة بذلة / بل فاسقني بالعز كأس الحنظل. ان هذا الدرس من الامام إدريس نور الله ضريحه - لمن ترسم خطاه. واستظل ببنوده. وطبق نقطة الحربية. ليعدل بدروس ودروس فنية بمدرسة لها مناهجها وتصميماتها السريعة التكوين - لما للبرامج العملية من فعالية وتأثيرات عاملة في النفوس الواعية - فمن هو ياترى الرجل الذي كان منتظرا يهيب بنا لشرح تلك المعاني الحربية الدقيقة ووضعها مكان الهناء من النقب سوى الامام إدريس الذي وجد مجالا فسيحا من وراء هذا السؤال الصريح المنبثق عن أمثال تلك الفوائد القيمة التي أرتنا شاشتها الحية الصادقة حنكة الامام وتبريزه الخاص في فنون اللقاء وخطط الطعان والبراز علاوة على ما توفر عليه من شيم وإخلاق أرق في طيبها من عليل النسيم» (34).

وللأمير القاسم بن إدريس. لما خرج عيسى بن إدريس على أخيه محمد. وكتب له محمد يأمره بحرب عيسى فامتنع وقال معتذرا عن ذلك (35) :

سأترك للراغب الغـــرب نهبـــا
وإن كنت في الغرب قيلا وندبـــا
وأسمو إلى الشـــرق في همـــة
يعزبها رتبـــا من أحبـــا
وأترك عيســـى على رأيـــه
يعالج في الغـــرب هما وكربـــا
ولو كان قلبـــي عن قلبـــه
لكنت لـــه في القرابة قلبـــا
وإن أحدث الدهـــر من ريبـــه
شقاقا علينا وأحـــدث حربـــا
فإني أرى البعـــد سترا لنـــا
يجدد شوقا لدينـــا وحبـــا
والبين مغرى كيده بأولى النهـــى
طبعا تطيع. والطبيعـــة أغلـــب
أيقنت أني للرزايـــا مطعـــم
ودمي لوافـــدة المكاره مشـــرب
فأنا من الآفات عـــرض سالـــم
وجوانح تكوى وعقـــل يذهـــب
ولم نجن قطعـــا لأرحامنـــا
نلاقي به آخـــر الدهـــر عتبـــا
وتبقى العـــداوة في عقبنـــا
وأكرم به حيـــن نعقب عقبـــا
وأوفق من ذاك جـــوب الفـــلاة
وقطع المخـــارم نقبا فنقبـــا

وقد علق البحاثة الجليل عبد الله كنون على الابيات بقوله : «وتعجبني هذه الابيات ويسمو القاسم بها في نفسي سمو الاحد له فمن ناحية البلاغة أراها في الذروة العليا نصاعة لفظ ومتانة تركيب وانسجام معنى ومن ناحية القصد والغرض أراها تعبر عن نفس كبيرة وهمة عالية مترفعة عن سفاسف الحياة ومهازلها التي تقطع الارحام وتجلب الموت الزؤام
(38)

ومعلوم أن القاسم كان واليا على طنجة من قبل أخيه محمد وأنه زهد في الولاية لما نشب النزاع بين أبناء

(33) المجلة السابقة ص 39.
(34) نفس المجلة
(35) الحلة السيراء ج 1 ص 132 - 133.

(36) اي رتبنا.
(37) المخارم رؤوس الجبال والنقب الطريق في الجبل.
(38) امراؤنا الشعراء ص 13.

إدريس المدعو المؤيل وكان قد سكن قرطبة إلى أن أخرجه المنصور ابن أبي عامر من الأندلس فيمن اخرجه من أهل بيته بعد قتل الحسن بن كنون كبيرهم وهذا قوله يخاطب المروانية لما رأى غلبة المنصور على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه (39) :

فيما رأى عجـب لمـن يتعجـب
جلت مصيبتنا وضـاق المذهـب
إني لأكذب مقلتـي فيمـا أرى
حتى أقول غلطـت فيما أحسـب
أيكون حيا من أميـة واحـد
ويسوس هذا الملك هذا الأحـدب ؟
تمشي عساكرهم حوالـي هـودج
أعواده فيهـن قـرد أشهـب
أبني أمية أين أقمـار الدجـى
منكم، ومالوجوههـا تتغيـب ؟

وقد روى المؤرخون لهذا الأمير غير هذه القطعة ولاشك أنك تلاحظ في القطعة التي أمامك مدح أمير علوي لأبناء أمية. !!! وهو غريب.. ! في بابه. وله في هذا الوزن قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع ويهجو في درجها غيره. وقد أورد منها ابن الابار هذه الابيات (40) :

للبين في تعذيب نفسي مذهـب
ولنائبات الدهـر عندي مطلـب
تأتي لوقـت صـادق لا تكـذب

وفي هذا الإطار يقول عبيد الله بن يحيى بن إدريس يخاطب الناصر لدين الله الأموي بعد أن فتح سبتة سنة 319 (41) :

بسيفك دانت عنـوة وأقـرت
بصائر كانت برهـة قد تولـت
وما قربت أهواؤهـا إذ تقربـت
ولا حليت بالـزي لما تحلـت
ولكن أزالت راسيـات عقودهـا
عزائم لو ترمي بها الهضب زلـت
ودولة منصور اللـواء مؤيـد
تدال بحمـد الله من شر دولـة
فهذا أوان النصـر منها وهـذه
بشائـره تروي الأنام ببيتـة

ولعله واضح من هذه القطع والابيات - وهي تمثل جل ماصدر عن الأدارسة - انها في غالبها تصوير لبعض جوانب الاضطراب النفسي الناتج عن الظروف المتأزمة التي كان يعيشها الأدارسة سواء فيما بينهم أو مع خصومهم، وانها بلغت من اليسر في الأسلوب ومن البساطة في العواطف ومن الوضوح في المعاني درجة تكاد أن تصل إلى الفتور والضعف، مما يجعلنا لا نبالغ حين نحكم عليها بالهزال. وكذلك نحكم على حال الأدب المغربي عموما في هذه المرحلة.

39) الحلة السيراء ج 1 ص 227.
40) نفس المصدر.
41) البيان المغرب ج 1 ص 201.

المراجع والمصادر

1 - القرآن الكريم
2 - الأدب المغربي - محمد بن تاويت ود. محمد الصادق عفيفي ط 2 مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت 1969
3 - الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه - د. عباس الجراري ج 1 ط 1 مكتبة المعارف الرباط 1979
4 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق وتعليق ولدي

المؤلف : جعفر الناصري ـ محمد الناصري دار الكتاب الدار البيضاء 1954
5 ـ الامام إدريس ـ عبد الله كنون سلسلة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» العدد 33 مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني بيروت
6 ـ امراؤنا الشعراء ـ عبد الله كنون المطبعة المهدية تطوان
7 ـ الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ـ علي ابن أبي زرع الفاسي درا المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1972
8 ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ ابن عذاري المراكشي. تحقيق ومراجعة ج س. كولان وإ. ليفي بروفنسال دار الثقافة بيروت
9 ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ـ الحافظ ابن عبد القوي المنذري. ضبط أحاديثه وعلق عليه المرحوم مصطفى محمد عمارة ط 3 دار أحياء التراث العربي بيروت 1968
10 ـ جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ـ علي الجزنائي المطبعة الملكية الرباط 1967
11 ـ الحلة السيراء ـ محمد بن أبي بكر القضاعي (ابن الآبار). تحقيق د. حسين مؤنس الشركة العربية للطباعة والنشر ط 1 القاهرة 1963
12 ـ اللغة العربية في المغرب (1) ـ عبد الله الجراري (مجلة «دعوة الحق» وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الرباط ع 4 س 2 رجب 1378 يناير 1959).

# السّيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلاميّة يترأس الوفد المغربي الرسمي لموسم الحج



استقبل أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي بالدار البيضاء زوال يوم الثلاثاء 28 غشت الماضي الوفد الرسمي لموسم الحج المبارك لهذه السنة والذي يترأسه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري.

وقد ألقى أمير المؤمنين بالمناسبة كلمة توجيهية سامية زود الوفد فيها حفظه الله بإرشاداته ونصائحه الغالية، كما أوصى جلالته أعضاء الوفد بالعناية بحجاجنا الميامين.



وفي المملكة العربية السعودية استقبل السيد الوزير الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري من طرف جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بحضور سفير صاحب الجلالة بجدة الدكتور زين العابدين العلوي.

وخلال هذه المقابلة أبلغ السيد الوزير صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز تحية وسلام أخيه جلالة الملك الحسن الثاني معبرا عن متمنيات جلالته للبلد الشقيق ملكا وحكومة وشعبا بالتقدم والرخاء والازدهار.

وأثناء مقام السيد الوزير في الديار المقدسة أجرى اتصالات موسعة مع المسؤولين السعوديين وعدد من رجالات الفكر والدعوة الإسلامية. كما تفقد أعمال البعثة الطبية المغربية والبعثة الإدارية التي أوفدتها الوزارة.

وأدلى السيد الوزير للصحافة السعودية بتصريح عبر فيه عن متانة العلاقات التي تربط بين المملكتين الشقيقتين.

# حسن المعالي

للشاعر الأستاذ أحمد العمراني

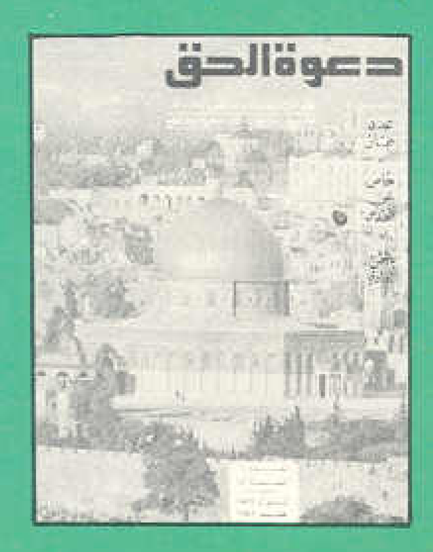
حسن المعالي دمت للأمجاد     تبني الذي لم تبن قبل أيادي
تعلي صروح المجد شامخة الذرى     وتحقق الأحلام للأجداد
نعماك تصنع فوق ما صنع الورى     لينال هذا الشعب كل مراد
خطواته بالأمنيات تحفها     نحو العلى والخير والإسعاد
تمضي بنا والله يرعاكم لنا     تقواك والإيمان خير الزاد
والشعب خلفكمو يسير ملبيا     «الله أكبر عدتي وعتادي»
والمنجزات عظيمة وكثيرة     مثل النجوم عديمة التعداد
توجتها بمسيرة حسنية     ستظل خالدة مدى الآباد
حسن المكارم يا سليل المصطفى     يا خير سبط للنبي الهادي
الوحدة الكبرى لأنت إمامها     أنت الموحد صف شعب الضاد
ناديت قادتنا لضم صفوفنا     قالوا نعم، نعم الندا ومنادي
أعمالكم للفن تعجز سيدي     عن وصفها بالشعر والإنشاد
فاهنأ بعيدك يا مليكي ولتدم     رمز البلاد وسيد الأسياد

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب رقم الايداع القانوني 1981/3




















صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957